

الاندلس عام 360 هـ (5) وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي (6) .

ويظهر أن هذه العلوم بدأت تزدهر في المغرب الأيمن منذ هذا العصر حيث كانت جامعة القرويين وملحقها جامع الأندلس بفاس تدرسان الطب ضمن الكتب المتررة وقد أشار لوكلير إلى هذا الأزهار (7) ولاحظ (8) أن المغرب أشد أقطار الإسلام عمقا من الناحية العلمية وهو يقصد المغرب الثلاثة وخاصة إفريقية ، وقد لاحظ القفطي (9) أن المعز الفاطمي نقل معه إلى مصر كثيرا من الأطباء المغاربة واشتهر تسطنطين التونسي آنذاك كطبيب ماهر وأسس مدرسة طبية منذ القرن الرابع (10) وكان القرنان الخامس والسادس الهجريان أبرز العصور العلمية في الأندلس المسلمة رغم الاضطراب الذي تخضع عن تدخل المرابطين ثم الموحدون وذلك بفضل العناية التي أولاها هؤلاء الخلفاء للعلم والعلماء، اذ يمكن القول - والدكتور لوكلير يؤكد هذا ( ج 2 ص 72 ) بان الفكر لم يسبق له أن تحرر كما وقع في هذا العصر

وشهد بذلك نبوغ أمثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد ( الذي هو أعظم فيلسوف أنجبته الأندلس ) وبني زهر الذين توارثوا الطب طوال ثلاثة قرون وأعظمهم هو أبو مروان عبد الملك الذي يعتبره بعض المؤرخين أكبر طبيب تخرج من المدرسة العربية ، يضاف إلى هؤلاء الفاطمي (11) وأبو الصلت أمية ابن عبد العزيز الداني اللذان الفسا في تاريخ الطب الطبيعى وابن الموم (12) مؤلف « كتاب الفلاحة » الذي لا يوجد له نظير في الأدب العربي لما يحتوي عليه من معارف تطبيقية ووثائق تديبية ثمينة (13) بل هو أعظم ما أنتجه ، لا العرب وحدهم، بل حتى المصور التديبية ( ص 110 ) .

وأصبحت هذه المصنفات أساسا دراسيا لرجال القرن المقبل أمثال ابن البيطار (14) المالتي وأستاذه ابن العباس النبطي وهما أعظم العلماء النباتيين العرب الذين وصلتنا مؤلفاتهم ولم ينجب الشرق في هذه الأثناء من أعظم العلماء سوى فخر الدين الرازي فاستطاع الأندلس بفضل شبكة علمائه أن يحمل راية الفلسفة والطب في العالم الإسلامي (15) .

- 5) يوجد الجزء الأول من هذا المخطوط في المكتبة الوطنية بالرباط وكذلك مختصر كتاب « الامتصاد » في الادوية المفردة لابن الجزار ومختصر الطب لابن حبيب المرادسي .
- 6) ( النسخ ج 1 ص 444 ) والزهراوي هو صاحب ( التعريف لمن هجز عن التأليف ) وهم أعظم جراح عربي ( لوكلير - الطب العربي ج 1 ص 334 ) امتدده مؤلفو الجراحة في المصور الوسطى وهو أول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصاة المثانة ومالج الشلل واستعمل خيوط الحرير في الجراحة ويوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط جزء من هذا الكتاب (( عدد 1427 د ) الذي طبع بالهند وقد مات بعد الأربعمائة كما عند حاجي خليفة والحسن الوزان الذي أرخ وفاته بـ 404 هـ ( موافق 1013 م ) وهم كازيري Casiri الذي أكد في المجلد الأول من فهرسته ( ص 137 ) أنه عام 500 هـ ( لوكلير ج 1 ص 437 ) .
- 7) نفس المصدر ( ج 1 ص 334 ) .
- 8) ( ج 1 ص 407 ) .
- 9) في ( أخبار العلماء بأخبار الحكماء ) ص 75 .
- 10) ( شهيرات المغرب ) للكائوني وهو مخطوط نقل من كتاب حول ( الإسبان بالمغرب الأقصى ) لعالم فرنسي لم أتبين اسمه بوضوح في المخطوط المذكور .
- 11) هو أبو جعفر أحمد بن محمد وهو غير محمد بن تسوم الفاطمي صاحب « المرشد » في طب العيون ويوجد « كتاب الامشاب » للفاطمي في دار الآثار العربية وهو يحتوي على 380 رسما ملونا لنباتات وعقائير وحيوانات متقنة الرسم .
- 12) هو أبو زكرياء يحيى بن محمد الذي لا نعرفه الا من خلال مصنعاته ويژهم كازيري أنه عاش في القرن السادس الهجري .
- 13) ( لوكلير ج 2 ص 11 ) .
- 14) ابن البيطار تولى عام 646 أكل عطارا تانلا نبات من ساعته ( نفع الطيب ج 2 ص 874 ) .
- 15) ( لوكلير ج 2 ص 72 ) .

والموحدين وسار معظمهم في ركاب هؤلاء الملوك الى المغرب حيث تفضوا بتيه حياتهم في العلاج وتدریس الطب - فاناد المغرب كثيرا من نكبة الاندلس .

ويظهر ان علوم الحكمة تقلص ظلها مؤقنا في عهد المنصور عندما حورب الفلاسفة حتى اضطر ابن رشد الى التخلي عن الخوض في ذلك ، والمنصور هذا وان كان لم يقصد اضهاد رجال الطب حيث اناط بابن زهر نفسه مأمورية تمتب الفلاسفة ثقة به الا انه عبد الى تدوين الاحاديث وترتيب الجرايات لحفظها فانتجه الناس اليها انجذابا للمادة فقل المعتنون بالحكمة والطب ، على ان اعتقال المنصور لابن رشد وابن جعفر الذهبي زاد الناس ريبه في مصير الفلاسفة والاطباء ولعل المنصور شعر بخطورة هذه التدابير فاعاد الحظوة الى الرجلين وكلف ابا جعفر بالسهر على مصالح الاطباء وطلبة الطب ، وتلك من المنصور محاولة لا بأس بها لتنظيم المهنة الطبية .

وقد أكد الدكتور رينو Reinaud أن المغرب لم يتم على وجه العموم بدور يذكر في العصر الذي كان الطب وبتية العلوم يتألق نورها في سوريا والعراق ومصر وحتى في اسبانيا المجاورة ، ولكن منذ اواخر القرن الحادي عشر وخاصة الثاني عشر الميلاديين - وهما أبرز عصور اسبانيا المسلمة - امتزج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين « فكيف يمكن اذن أن نفضل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين انجبتهم الاندلس او الذين تكونوا في مدارسها ثم ساروا في أعقاب ملوك المغرب من اشبيلية او قرطبة الى ماس او مراكش او اغمات ، فللمغرب الحق اذن أن يتبش ابن باجة وابن طفيل وابن رشد « الخ (18) وكانت الحكمة تشمل آنذاك جميع

وبفضل الانبعاث العربي في الاندلس (16) صارت اوربا تنفض عنها اودية الركون واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد ريموند Raimonde اسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفقر اللاتيني واذ ذاك بدأت ترجمة مصنفات العرب العلمية ، ثم ورد جيرار دوكرميون على طليطلة حيث استتر نحواً من نصف ترن نقل خلاله من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا او افريقيا معربا .

وقد بدأت حركة الترجمة في افريقيا منذ القرن الرابع لهذا قسطنطين التونسي الصقلي قد أسس مدرسة سالرنة وهي أول مدرسة من نوعها في اوربا وكانت مبعث انوار الطب الحديث في العالم الغربي ، ولد حوالي عام 400 بتونس وحمل مخطوطات طبية الى سالرنة Salerno بقيت غذاء اوربا مدة ترون وترجم الى اللاتينية اهم كتب الطب العربي منها « زاد المسافر » لابن الجزار وكتب للرازي واسحق ابن سليمان الاسرائيلي والى نحواً من 24 كتابا في الطب منها قانون الطب في 12 مجلدا و « فياتيكوم » في الطب العام في سبعة اجزاء ومات عام 475 .

وكان القرن السابع في الشرق مصر ازدهار ثم انهيار نسبي للعلوم كما كان قبله القرن السادس في الاندلس ولكن لم يكد يمضي المقدم الاول من القرن السابع (17) حتى بدأ صرح العلم ينهار وطمسست الاضطرابات ذلك الرواء الذي تألق نجه منذ عهد الناصر الاموي طوال ثلاثة ترون .

نعم في العهد الذي كانت الاندلس خاضعة لسلطان مراكش تكونت - كما يقول لوكليز ( ج 2 ص 340 ) جماعة من الاطباء التفتت حول ملوك المرابطين

(16) وقد نبغ في القرن السابع امثال السويدي صاحب التذكرة المتوفى عام 691 هـ ( يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط مختصر للتذكرة لعبد الوهاب الشعرائي المتوفى عام 973 هـ في 141 ورقة ) وابن ابي اصيبعة وجمال الدين القفطي ( على بن يوسف المصري الوزير الملقب بالقاضي الاكرم المتوفى في عام 646 ) وعبد اللطيف البغدادي ( المتوفى عام 629 هـ والذي امتاز في وصف اعشاب مصر ) وابن النفيس المصري المتوفى عام 687 هـ والذي كان اعظم اطباء عصره وهو صاحب « كتاب الشامل » الذي لم يكمل المؤلف منه سوى 80 مجلداً من بين 300 ( يوجد بالمكتبة الوطنية بالرباط موجز قانون ابن النفيس لعلي بن ابي الحزم القرشي المتوفى عام 687 في 38 ورقة ) .

(17) اي بعد غزوة العقاب التي انهزم فيها الموحدون عام 609 « وكانت السبب في هلاك الاندلس » كما يقول ابن مغازي في « البيان المغرب » ( ج 4 ص 240 ) .

(18) الطب القديم بالمغرب - رينو Reinaud نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72 ابن القاضي ( درة الحجال ص 117 ) .

الانتصاد (23) وهو اعظم من ابن سينا ولا يعدله سوى الرازي في الشرق .

وقد ترا عليه ابو الحكم ابن غلندو الاثبيلسي الشاهر عام 535 كتاب « الانتصاد » في سجن مراکش حيث مكث ابن زهر نحو العشر سنين . وكان ابن رشد يفضل ابن زهر على غيره من اهل مصره (24) . وقد نهج ابن زهر في كتاب « التيسير » اسلوبا جديدا في الحكمة القياسية مستخدما التحميم العقلي للوصول الى احسن النتائج فهو طبيب التجربة والتحميم العلمي وليس من صناع اليد كما يقول في « التيسير » ولذلك توصل بفضل قياساته الطبيعية وتجربته الشخصية الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله فقد اهتم بالامراض الرئوية وأجرى عملية القصة المؤدية الى الرئة وتمكن هو بعد ذلك من تشريح القصة في مرض الذبحة لمعولج المريض وقد اهتم في امراض الجهاز الهضمي واستعمل انبوية مجوفة من القصدير لتغذية المسابين بعسر البلع واستعمل الحتن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها سوابة كما بسط طرق العلاج القديمة واوضح ان الطبيعة — اذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر

شعب الفلسفة والعلوم وان كان مفهومها سيقتصر في القرون الاخيرة عندما يضمف الفكر العلمي بالمغرب ليتصر على جزء من الطب هو الكعالة أو مرض الميون.

ويظهر ان ابا العلاء زهر بن زهر هو اول طبيب أندلسي ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الأندلس وقد كان طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين بعد ان كان طبيب المعتد بن عباد باشبيلية (19) ووالد ابي العلاء هو ابو مروان عبد الملك ابن ابي بكر محمد بن مروان بن زهر الذي تولى رئاسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (20) وكانت له آراء شاذة في الطب منها منعه من الحمام اعتقادا منه بأنه يعفن الاجسام ويسد تركيب الامزجة (21) وقد تمخضت تجارب ابي العلاء في المغرب من تاليفه لكتاب « التذكرة » الذي ترجمه وطبعه كولان عام 1911 بباريس ) وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لولده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة في مراکش والادوية المناسبة .

وبعدما توفي ابو العلاء امر علي بن يوسف بجمع ملاحظات طبية اخرى كان ابو العلاء سجلها في أوراق وهي « التجربات » (22) وولده هو ابو مروان عبد الملك بن زهر خدم المرابطين مثل ابيه والى كتاب

(19) ذكر المراكشي في « المعجب » ان المعتد استدعى ابا العلاء لمعالجة « الرميكية » عندما كان أسيرا بأفمات .

(20) ( النسخ ج 1 ص 445 ) .

(21) الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة ج 2 ص 64 — 66 )

(22) جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط منها في الاسكوريال ( 844 ) وقد ترجم جان دوكابسو التذكرة من العبرية الى اللاتينية ( نسخة من مكتبة كلية الطب بباريس ) ثم توالى التراجم عام 1280 والمطبوعات ( عشر مرات بين 1490 و 1554 ) .

وتوجد الآن نسخة في مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعتها الى 1531 وهي تحتوي ايضا على كليات ابن رشد .

وهناك رسالة في امراض الكلى كتبها ابو العلاء لعلي بن يوسف ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام 1497 كما يوجد مخطوط له حول الخواص بمكتبة بباريس ومنه استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات ، ولابن العلاء مقالة في شرح رسالة يعقوب بن اسحق الكندي حول تركيب الادوية .

وتوجد نسخة من ( جامع اسرار الطب ) لابن العلاء في المكتبة الوطنية بالرباط وهي تحتوي على 185 ورقة .

(23) لابراهيم بن يوسف اخي علي ( يوجد منه مخطوط بباريس رقم 2959 ) وكذلك نسخة في الاسكوريال حسب رينو محررة بالعربية ومكتوبة بهروف عبرانية وخرغ من الكتابة عام 515 هـ .

(24) ابن عبد الملك في « الذيل والتكملة » .

شأن الجهاز البشري - تكفي وحدها في الغالب لعلاج  
الادواء (25) .

الذي يقتبس منها في « جامع المفردات » . ومن تلامذة  
ابن باجة سفيان الاندلسي المتوفى عام 537 الذي كان  
أحد أطباء علي بن يوسف وتعاون مع شيخه ابن باجة  
في تأليف كتاب التجريبتين (31) .

ومن الاطباء الذين نبغوا في هذا العصر : ابو  
جعفر بن هارون الترجالي طبيب يوسف وهو تلميذ  
المعاري في الحديث وشيخ ابن رشد في التعاليم والطب  
وكان عالما بصناعة الكحل ( طب العيون ) (32) .

أما الوليد ابن رشد فاهم مصنفاته كتاب الكليات  
الذي طلب من ابن زهر اعداد ملحق له (33) في  
الجزئيات لتكون جملة كتابيهما كتابا كاملا في الطب، وقد  
نتم عليه المنصور وأجبره على المقام باليسانة الآهبة  
باليهود قرب ترطبة وقد اقترح ابن رشد في شرحه لابن  
سينا ما يعنه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء في  
الامراض الرئوية ، أشار الى جزيرة العرب وبلاد النوبة  
كمراكز شتوية (34) .

والحنيد أبو بكر بن مروان كان طبيبا شاعرا متين  
الدين خدم الدولتين اللبثونية والموحدية ( هيد المومن  
ويوسف ويعقوب والناصر ) تولى عام 596 هـ بمراكش  
الف « الترياق الخسيني » ليعقوب المنصور ودرس اليه  
ابن يوجان وزير المنصور السم هو وابنة أخته وكانت  
هي وأمها عالمتين بالطب لاسيما في امراض النساء  
وتدخلن الى نساء المنصور (26) وكان أبو بكر يحفظ  
صحيح البخاري (27) ولم يكن في زمانه أعلم منه باللغة  
وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب (28)

أما أبو بكر محمد بن يحيى ابن الصائغ المعروف  
بابن باجة (29) فهو شيخ ابن رشد ، وقد استوزره  
أبو بكر يحيى بن تاشفين مدة عشرين سنة وكان يشارك  
الاطباء في صناعتهم لمحسوده وتلقوه مسموما عام  
533 هـ (30) . ولم يصلنا شيء من المؤلفات الطبية  
النسوبة لابن باجة ولا يعرف الا عن طريق ابن البيطار

(25) ( حضارة العرب ) جوستاف لوبون ص 530 من الطبعة الفرنسية . وقد وهم كودار مزعم في كتابه  
حول تاريخ المغرب ( ص 452 ) أن أبا مروان ابن زهر يهودي ثم أكد أن ابن زهر استعاض بالمنهج  
التجريبي والطريقة العقلية من التقليد في ممارسة فن الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شمس  
ثلاث حاول توحيدها وهي الصيدلة والجراحة والطب العام .

(26) ( ابن أبي أصيبعة ص 67 ) .

(27) ( الانيس المطرب ) ( ج 2 ص 180 )

(28) ( المطرب لابن دحية ) .

(29) المتولى بفاس ( ابن أبي أصيبعة ج 2 ص 63 )

(30) وقد زعم مونك أن ابن رشد لم يتلمذ لابن باجة الذي مات عام 1138 ( 525 هـ ) أي عندما كان لابن  
رشد 12 سنة وابن أبي أصيبعة كتب تاريخه بعد وفاة ابن رشد بأربعين سنة .  
( مزيج من الفلسفة اليهودية والعربية ص 420 ) .

ويذكرون أن وفاته كانت سنة 533 هـ بفاس فيكون قد أتبع بذلك لابن رشد ان يتلمذ له .  
كما خطأ عمر فروخ في كتابه « ابن طفيل وقصة حي بن يقظان » ص 31 « المراكشي » حينما زعم أن ابن  
طفيل ترا على ابن باجة » .

وأضطرب الفتح بن خاقان في ابن باجة حيث نسبته في الثلاثد للتعطيل وانحلال العقيدة وحلاه في  
« مطمح الانفس في ذكر رجال الاندلس » بالخير والدين والاستقامة ( والسولة ج 3 ص 262 ) .

(31) ( لوكلير تاريخ الطب العربي ) ( ج 2 ص 79 )

(32) ابن أبي أصيبعة ( ج 2 ص 75 ) وذكر ابن عذارى في « البيان المغرب » ( ج 4 ص 49 ) ان الخليفة  
أبا يعقوب اعتل عام 573 فموتت عليه الاطباء في الاندلس للمعالجة الى ان وجد الراحة » .

(33) وذكر أيضا ان أبا يعقوب لما خرج في الغزوة التي مات اثرها بالاندلس كان الاطباء الحاضرون لديه  
هم ابن زهر وابن مقبل وابن تاسم ( ج 4 ص 70 ) .

(34) ( حضارة العرب جوستاف لوبون ص 531 من الطبعة الفرنسية ) .

وابن رشد هو أول (35) من أشار إلى الدورة الدموية وعللها في كتابه « الكليات » الذي استمد منه ويليام هارفي William Harvey معظم نظرياته . وهناك أطباء آخرون ينيف عدد البارزين منهم على المشيرين ، ازدهر بأبحاثهم القطاع العلمي في عهد المرابطين والموحدين (36) نخص بالذكر منهم عالمين اثنين من سبته هما علي بن يقطان الطبيب الشاهر الذي زار مصر عام 544 هـ ثم اليمن والعراق ، وابن سمعون أبو الحجاج يوسف بن يحيى (37) الذي كان طبيبا ليهون أمير حلب ولملك مصر الظاهر ، وذلك علاوة على ابن الرومية النبطي الاثبيلي أحمد بن محمد بن مخرج المعروف بابن العشاب الذي رحل إلى الشرق عام 614 (38) بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب واتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وعلمه الواسع، وكان لرحلة ابن البيطار إلى المغرب أثر قوي في نقل المصطلحات البربرية إلى معجمه العربي الجديد الذي أصبح المرجع الأساسي في الشرق وخاصة بمصر حيث عين ابن البيطار رئيس المشابين (39) .

ومن أبرز من ظهر في هذا العصر أيضا الشريف الإدريسي الذي صنف كتابه «الزهوة» في الجغرافية عام 548 هـ (1154 م) ووضع كرة مضية للعالم جعلت منه أستاذ أوروبا كما شحن كتابه في الأدوية بنتائج تجاربه الشخصية الثمينة ، هدت الطبائمي الشرقي الكبير ابن البيطار إلى الانتباس منه في مائتي موضع من كتابه في الاعشاب (40) والامتناد عليه وحده في ثلاثين موضعا مع الإشارة إلى أسمائها بالبربرية . ويتجلى من هذا المرض أن العلوم ازدهرت في المغرب الأقصى إلى القرن السابع وانصهرت معطياتها ومفرداتها في

بوتقة مع مصطلحات الشرق العربي عدا غروقي ترجع إلى اللون المحلي كالفانبات والازهار والاعشاب العقاقيرية التي تحمل أسماء خاصة متأثرة بالعقائير الجبهوية ونضرب مثلا لذلك بالجوزة الصحراوية التي عرفت في المغرب بهذا الاسم بينما عرفت في كل من الشرق والجزائر بجوزة الشرك (41) وقد استعمل الطبيب هرون بن اسحاق ابن عزرون في أرجوزته التي استدرك فيها على الحميات الواردة في أرجوزة ابن سينا ( وهو من رجال القرن الرابع عشر في عهد عبد الرحمان الثالث ) نحو ثلاثين كلمة مغربية أندلسية بدل مقابلها الفصح منها :

- تين مكة ( اخضر )  
والحلحال ( = اسطوخودوس )  
والمقربان ( = اسكولوفندريون Scolofendre )  
والناسوخ ( = أشق )  
(Gomme Ammoniaque  
وشيبة العجوز ( = امستين Absinthe )  
والمجينة ( = اكليل الملك Mellilot )  
وحبة حلاوة ( = أنيسون Anis )  
والرجلة ( = بقلة حمقاء Pourpier )  
ويربوز ( = بقلة يمانية ) Blette )  
وحبق الأترج ( = ترنجان Basilic citronnelle )  
والصمصام ( = خلاف Saule ou Peuplier )  
والجزر البري ( = دوتو Carotte sauvage )  
والناعم ( = بزر الرازيانج Graine de fenouil )  
والبرستم المكور ( زراوند مدحرج )  
(Aristolochie ronde  
والهندبا ( = سريس Chicorée )  
والحمودة ( = ستمونيا Scammonée )

- (35) ابن النفيس المصري ، اكتشف الدورة الدموية الصغرى وهي الدورة الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون ( نشرة المعهد المصري ج 26 عام 1934 - بحث بقلم ماكس مايرهوف ص 33 ) وقد أشار ابن النفيس إلى ذلك في « الكتاب الشامل في الطب » الذي كان يحتوي على 300 مجلد وقد أهدى مؤلفه منه 80 مجلدا لمستشفى قلاوون .  
(36) تحدثنا عن جيمهم في كتابنا « الطب والاطباء بالمغرب » المطبعة الاقتصادية 1960 بالرباط .  
(37) القنطري ج 2 ص 160 و 193 و 256 .  
(38) توفي عام 637 هـ وصنف كتابا في الحشائش رتبته على حروف المعجم وناق أهل زمانه في معرفة النبات ( نفع الطيب ج 1 ص 635 ) وتلميذه ابن البيطار هو أعظم نباتي العرب الذي تارنه لوكلير ( ج 2 ص 225 ) بالفانقي والشريف الإدريسي ورشيد الدين الصوري والنبطي .  
(39) نفع الطيب ج 2 ص 683 .  
(40) لوكلير Leclert ( ج 2 ص 680 )  
(41) ابن البيطار في « جامع المفردات » وعبد الرزاق الجزائري في « كشف الرموز في بيان الاعشاب » ( طبعة الجزائر 1903 و 1917 ) .

— الجفن — الحاجب — الحبو — والحدبة — حك  
الورك ( أي حك وهو مغرز رأس الفخذ ) حلقوم —  
حنجرة — خرطوم — أما في عموم الحيوان فنذكر من  
المفردات :

الحيوان — البغل — الجبج ( خلية النحل )  
والجمل والحمار والبرغوث والبق والنحل — والبموض  
والنساج والتيس — والشمبان — والحية — والحنش  
والانمى — والجحش والجراد والجرثومة والجرو  
والجماد والحجل — والحدأة ، والحرجة (جماعة الفم  
والابل ) والحظيرة والحلس والحوار ( ولد الناتة )  
والحوت والحولي — والحيتان ( الدراج ) ( الحيقون  
في زهير ) وختل الصياد — والخروف والدلن —  
ودوارة البطن ( أمعائه ) والديك — والذباب — والدب  
— والخيل — والخيال — والخطاف — والخناش  
والخنفساء الخ .

أما في عصر المرينيين فإن الملكة العلمية تضاملت  
وصار حفظ النصوص هو الغالب لا في علوم الآلة  
كالنحو أو علوم الشريعة بل حتى في المنطق والحساب  
والطب وسائر العلوم العقلية (42) ويظهر أن هذه الآلة  
الفكرية قد أصابت بشلل جزئي تطاعات علمية في  
الشرق حيث بدأ عصر الانحطاط العلمي في القرن  
الثامن وبداية التاسع على أثر السيول الجارفة التي  
حطمت في طريقها معالم الدنيا تحت أمرة جنكيز خان  
وتيمورلنك ، وإذا كان ابن بطوطة قد تحدث لنا عن  
المدرسة النظامية التي كانت ما زالت قائمة البنيان فإن  
أساتذتها وطلبتها اندرسوا وقد لاحظ لوكليز أنه أمكن  
في هذه الفترة تسجيل نحو الأربعة عشر عالما فصلهم من  
الاندلس لا يوجد من بينهم طبيب مشهور لقلة الطرارة  
والاكتفاء بالجمع والتأليف (43) .

ويرى بعض المستشرقين أن جامعة فاس التي  
ظلت تدرس الطب بكتب أبقراط وجالينوس وديوجينيس  
المعربة لم تكن لتعتمد جامعات العواصم العربية  
الأخرى (44). والواقع أن الفكر العلمي بدأ يتحجر  
ليجهد على النصوص الظاهرة بالرغم مما يقال من

والحبق القرنفلي ( = شاهسبرم Petit basilic )  
ومشيشترو أو ( = نمناع Menthe فونذج )  
وحب الملوك ( = تراسيا Cerise )  
والكروية البرية ( = تردمان Carvi sauvage )  
وقصة الحية ( = تنطوريون Centaurée )  
والشمع الأبيض ( = Cire blanche = موم )  
وغير ذلك .

وكان النباتيون يسمون الشجارين والحشائشيين  
بالشرق بينما يعرفون بالعشابين في المغرب ومنهم ابن  
المشاب المعروف بابن الرومية .

ولعل العامية المغربية من أغنى اللهجات العربية  
الدارجة في مصطلحات العلوم بالرغم من وجود مرادفات  
بربرية ولنضرب لذلك أمثلة مقتبسة من معجمنا في  
« الأصول العربية للعامية المغربية » .

ففي خصوص الأعشاب والأزهار : بابونج  
( بابنوج ) — بسباس ( المعجم الوسيط ) مقدونس  
( معدنوس ترغلس ) — الترنج ( الكباد بالشام ) —  
ترياق ( دواء للسموم ) الجلبان — حب الرشاد —  
الحرف — الججلان — جلنجين — الجوز — الباذنجان  
— البهيرة ( البستان ) — برقوق — أجاص — البصل  
— العنصل — الفول — البطيخ — البرسيم — التبن —  
الثوم — الحطب — الحرمل — الحشيش —  
الحلبة — حلفاء — حماض — حمص — حناء — حنظل  
— خبيزة — خزامى — خس — خشفاش — خشاش  
— خوخ — خيار — ذرة .

وفي العلوم : التوتيا — الجلود ( الصخر ) —  
الجدول — الجذري — الجذام — الجذر — الجليد —  
الحادور ( المكان المنحدر ) — الحارة ( الفضاء ) —  
حامض الرثة أي مر النفس — الحبل ( حمل المرأة )  
والحرقة والحصاحص ( الأرض الحجرية ) — الحكة  
والحراج — والخنان والدمل الخ .

ومن أعضاء الجسم : بمصوم ( عظم بين  
الابيتين ) ( المعجم الوسيط ) جمجمة — أنف الأنف

(42) « نشر الثاني » ج 2 ص 97 « وسلوة الأنفاس » ج 1 ص 74 نقلا عن كتاب لعلي بن ميمون  
الفاشي .

(43) كتاب الطب العربي لوكليز ( ج 2 ص 258 ) .

(44) ليفي بروفنصال Lévy-Provençal ( هسبريس Hesperis عام 1952 ص 3 ) ولوكليز « الطب  
العربي » ( ج 1 ص 575 ) وقد وصف كل من الرحالة باديا ليليش المعروف بعلي العباسي والدكتور  
رينو Renaud ( الطب القديم بالمغرب ص 77 ) مدينة فاس بأنها أئنة إفريقيا أي شبيهة بعاصمة  
الفكر اليوناني بأوربا .

وجود مدرسة للطب في سلا (45) ومن ظهور دراسات مغربية حول علل وطرق علاج «الطاعون الاسود» (46) الذي ظهر في منتصف المائة الثامنة .

وأبرز من ظهر من الاطباء انما عاشوا في اوائل عهد المرينيين امثال ابي العباس الشريفي السلوي الذي ترقى الطب في الشرق على ابن بنان (47) ومحمد ابن خليل السكوني الذي صنف في الخواص الطبية والكليات في الاغذية والبيطرة ومن ركوب الخيل وتدبير الحروب (48) .

اما في القرن الثامن فان العلماء أصبحت لهم مشاركة محدودة مثل احمد ابن علي المياني المراكشي الذي جمع بين الشعر والكتابة والطب (49) بينما كانت لهذه المشاركة سمة الضلعة والعمق عند التنبؤ مثلا الى اوائل القرن السابع حيث كان الى جانب اختصاصه في علم النبات اماما في الحديث حافظا ناثقا .. « لوجود القدر المشترك بين صناعتني الحديث والنبات اذ موادهما - كما يقول ابن الخطيب في الاحاطة - الرحلة والتقييد وتصحيح الاصول » ، وقد شملت المشاركة جوانب شتى عديدة من العلوم والتقنيات اهمها الرياضيات والهندسة والهيئة . وكان العرب اساتذة النهضة الاوربية في الحساب (50) وقد مند سيديو Sedillot (51) ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما اقتبسوا من الاغريق مشورا الى ما ابدعه الفكر العربي في هذا المجال مثل ادراج الخطوط الماسة للدائرة Tangentes في الحسابات ، والاستعاضة عن الاساليب المعقدة بحلول مبسطة أصبحت اساسا في حساب المثلثات الحديث Trigonométrie

وقد لاحظ العالم ثال Charles انه كان للعرب فضل التفكير في تطبيق الجبر على الهندسة ،

وتأكد ذلك بعد ان نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمي منذ عام 1836 م من طرف روزن Rosen

ومن بينها بحث في الجبر حلت مشاكله في المعادلات الثلاثية بطرق هندسية، ويقال بان الخوارزمي هذا لم يحل سوى المعادلات من الدرجة الثانية Equation de 2° Degré وان الذي حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر ابن ابراهيم (52) ولعل لفظي الخوريتم واللوغريتم مشتقتان من اسم الخوارزمي الذي يعتبر اقدم الرياضيين العرب حيث عاش في عصر المأمون العباسي. ونقلت كتبه في الجبر والمقابلة الى اللاتينية ، وقد ابدع العرب في علم المثلثات نظرا لتطبيقاتها في علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامي اي المغرب الكبير والانفلس في بلورة هذا الاشعاع العلمي العربي نظير ابن حمزة المغربي في القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة في اللوغريتم ، واشتهر في الانفلس ابو عبيدة مسلم بن احمد ويحيى ابن يحيى المعروف بابن السبينة وابو القاسم اصبح بن السمع ( له تاليف منها المدخل الى الهندسة في تفسير اقليدس ، وكتاب كبيسر في الهندسة ) وابو القاسم ابن الصغار وابو الحسن الزهراوي ( كان عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف في المعاملات ) وابو الحكم عمر الكرماني ( من الراسخين في العدد والهندسة ) وابو مسلم بن خلدون ( كان متصفا في الفلسفة والهندسة والنجوم والطب ) وتلميذه ابن برفوث ( اختصاصي في العلوم الرياضية ) وتلميذه ابو الحسن مختار الرمياني ( كان بصيرا بالهندسة والنجوم ) وهب الله بن احمد السرقسطي ( ناقد في الهندسة والعدد ) ومحمد بن الليث ( بارع في العدد والهندسة ) وابو هي القرطبي

(45) ورد في الجزء الاول من سلسلة « مدن المغرب وقياته » المتعلق بالرباط ونهايته ( ص 32 و 225 ) ان « المدرسة البوعنانية » المنسوبة الى ابي عنان المريني بسلا كانت « مدرسة للطب » ونسب ذلك الى « الاستقما » الذي لم يشر اليه عند تعرضه للمدرسة ( ج 2 ص 151 ) .

(46) الطب القديم بالمغرب - رينو - ص 47 .

(47) توفى بالفيوم عام 641 هـ ( الاعلام للمراكشي ج 1 ص 351 ) .

(48) توفى عام 646 ( الاعلام ج 3 ص 145 ) .

(49) جذوة الاتقاس ص 73 .

(50) كويي Gautier في كتابه « عادات المسلمين واهرامهم » ص 238 .

(51) تاريخ الطب العربي - لوكلير ج 1 ص 320 .

(52) « حاضر العالم الاسلامي » ( ج 1 ص 151 )

وأبو عمران موسى بن حسن بن أبي شامة من  
أهل المعرفة بالبناء والهندسة وهو صانع « البيلة » و  
« الخسة » بصحن القرويين عام 599 هـ (58).

وفي عهد المرينيين ظهر كثير من المهندسين ، ففي  
عام 674 هـ خرج يعقوب المريني إلى ضفة وادي فاس  
« ومعه أهل المعرفة بالهندسة والبناء » توقف على  
المدينة البيضاء ( فاس الجديد ) وشرع في حفر  
أساسها (59).

ومن هؤلاء العلماء :

محمد بن عبد الله المعروف بابن حجلة شيخ ابن  
البناء في الحساب (60).

ويوسف بن أحمد بن حكم التجيبي قاضي الجماعة  
بفاس أخذ عنه ابن البناء الحساب والتعالم (61).

ومحمد بن علي المعروف بالشريف أستاذ ابن  
البناء المراكشي الذي كان يذاكره مسائل من كتاب  
الاركان لاتلديس (62).

( بصير بالهندسة ، رحل إلى مصر عام 442 هـ ) وأبو  
الوثابي الطليطي ( الهندسة ) ( النسخ ج 2 ص 874 )  
ومن العلماء الذين برزوا في الهندسة والرياضيات  
بالمغرب الأقصى في مختلف العصور : أبو بكر بن  
الصايغ المعروف بابن باجة Avempace له تعاليف في  
الهندسة (53).

والحاج يعيش الذي صنع لعبد المؤمن ابن علي  
مقصورة من الخشب لها ستة أضلاع تسع أكثر من  
الف رجل وقد وضعت على حركات هندسية ترفع بها  
لخروجه وتنخفض لدخوله (54).

والمهندس عبيد الله بن يونس الأندلسي الذي  
استخرج المياه التي تسقى بها بساتين مراكش بصنعة  
هندسية (55).

وأبو جعفر بن الحسن بن أحمد بن حسان  
القناضي الذي كان عالما بالهندسة وسائر التعالم (56)

وعبد الله بن حجاج المعروف بابن الياسمين  
الناسي وهو بربري توفي بمراكش عام 600 أو  
أوائل 601 هـ وتوجد نسخ من أرجوزته في الجبر  
والمقابلة بخزائن باريز وبرلين وأكسفورد والإسكوريال  
والقاهرة (57).

53) توفي بفاس ( « هيون الانباء في طبقات الاطباء » لابن أبي أصيبعة ص 63 ) وكانت ولماته عام 533 هـ  
( الاعلام للمعبس بن ابراهيم المراكشي ج 8 ص 6 ) .

54) فإذا قرب وقت الرواح إلى الجامع يوم الجمعة دارت الحركات بعد ربع البسط من موضع المقصورة  
تنتقل الأضلاع في زمان واحد ولا يفوت بعضها بعضا بدقيقة ، وكان باب النبر مسدودا فإذا قام  
الخطيب ليطلع عليه انفتح الباب وخرج النبر في دفعة واحدة بحركة واحدة لا يسبح لها حس ولا  
يرى ، وذكر المقرئ في النسخ ان آثار هذه المقصورة كانت باقية عام 1010 هـ .

55) نزعة المشتاق للأدريسي ص 67 من الجزء المطبوع حول أفريقيا والأندلس .

56) انتقل إلى فاس حيث توفي في حدود ستمائة ( الجذوة لابن القاضي ص 72 ) .

57) ومن شرح الأرجوزة حسب بروكلمان ابن الهائم المصدري المتوفى سنة 815 هـ ( وهو مخطوط  
بأكسفورد والقاهرة ) والقلصادي وهو « تحفة الناسمين في شرح أرجوزة ابن الياسمين » ( مخطوط  
بخزانة مكتب الهند بلندن والخزانة العامة بالرباط ) وسبط المارديني المتوفى سنة 900 ويسمى  
« اللعة الماردينية في شرح الياسمينية » ( مخطوط ببرلين والقاهرة واسطنبول ) وله أرجوزة في أعمال  
الجذور توجد بخزانة الإسكوريال ( راجع بحث الأستاذ محمد الفاسي مجلة رسالة المغرب 1942  
( السنة الأولى - عدد 1 ) ومن شرح الأرجوزة سعيد المقباتي التلمساني الملقب بزئيس المتقلاء  
( نيل الإبتهاج ص 106 ) .

58) ( الجذوة بين 37 و 57 ) .

59) ( السلوة ج 3 ص 145 ) .

60) ( الجذوة ص 76 ) .

61) ( الجذوة ص 346 ) .

62) توفي عام 682 هـ ( الاعلام ج 3 ص 192 ) .



في الحساب عارف بالمنطق والهندسة ( من أهل القرن  
الثامن ) ( 69 ) .

ومحمد الشريف التلمساني من علماء الحساب  
والهندسة والهيئة ، كان لسان الدين ابن الخطيب إذا  
الف تأليفا بمثله إليه وطلب منه أن يكتب عليه بخطه (70)  
وجمال الدين المارديني خليل بن يوسف المهندس  
المتوفى عام 872 هـ ( 71 ) .

ومحمد التوري حائظ فاس الحيسوبي الطبيب  
المتوفى عام 872 هـ ( 72 ) .

وأبى المومنين في الفرائض والحساب إبراهيم  
المصودي ، توفى بفاس عام 912 أو 913 هـ ( 73 ) .

وأحمد الغزالي الفاسي كان أستاذا مرضيا  
حيسوبيا له معرفة بالفلك توفى عام 920 هـ ( 74 ) .

ومحمد بن تاسم بن توزت التلمساني « استخدم  
مقله في حل مشاكل الهندسة » وهو من مواليد نهاية  
القرن التاسع الهجري ( 75 ) .

وأبو العباس بن البنا العددي المراكشي له  
« التلخيص » في الحساب ومقدمة في اقليدس واختصار  
في الفلاحة ( 63 ) .

وأبو جعفر بن صفوان الامام في الحساب وهو  
تلميذ ابن البنا ( 64 ) .

وعلى اليفرنى المكتاسي الشهير بالطنجي امام في  
الفرائض والحساب في وقته توفى عام 734 هـ ( 65 )

ومهد الله بن محمد بن أحمد التلمساني ولد سنة  
748 ترا الهندسة بكتاب اقليدس على والده بفاس ( 66 )

وعلى بن أحمد التلمساني موقت القرويين أيام  
أبي عثمان المريني صنع « المنجاة » المقابلة للمدرسة  
العنانية عام 758 هـ ( 67 ) .

وعبد الرحمن اللجائي تلميذ ابن البنا في العلوم  
التعليمية توفى عام 773 حسب تلميذه ابن قنفذ ( 68 )  
وأحمد الاوسي المراكشي المعروف بابن الشماع امام

( 63 ) توفى عام 221 هـ على قول ابن قنفذ ( نيل الابتهاج ص 42 ) كان يقصد شيخه عبد الرحمن  
الهميري فيما اشكل عليه من مسائل الهندسة ( 137 ) وله أيضا جزء في « المساحات » ( الجذوة  
ص 77 ) .

ذكر ابن القاضي في « درة الحجال » ( القسم الاول ص 5 ) ان له كتابا في الجبر والمقابلة سماه  
« الاصول » وكذلك « رفع الحجاب عن تلخيص أعمال الحساب » زيادة على « تلخيص أعمال الحساب »  
وذكر عباس بن ابراهيم في الاعلام ان كتاب « الجبر والمقابلة » موجود في المكتبة الخديوية ( ج 1  
ص 379 ) ومن شرح تلخيص ابن البناء أحمد بن رجب ابن طنبغا القاهري المتوفى عام 850 هـ  
المعروف بابن الجدي ومن اختصره وسماه « بالحواوي ابو شهاب القراني المعروف بابن الهائم  
المتوفى عام 815 ونظمه محمد بن غازي المكتاسي وابن القاضي صاحب « الجذوة » ( ص 384 ) ومن  
شرح التلخيص ابو العباس بن قنفذ في كتاب سماه « حظ النقب عن وجوه الحساب » ولابن قنفذ هذا  
« بغية الفرائض من الحساب والفرائض » ( الاعلام ج 2 ص 17 ) .

( 64 ) ( الاعلام ج 2 ص 2 ) .

( 65 ) ( الدرر ص 441 ) وهو بن عبد الرحمان بن غيم ( نيل الابتهاج لابن بابا السوداني ص 192 ) .

( 66 ) ( نيل الابتهاج ص 127 ) .

( 67 ) ( جذوة الاقتباس لابن القاضي ص 31 ) .

( 68 ) السلوة ج 1 ص 304 .

( 69 ) الاعلام ج 2 ص 10 .

( 70 ) نيل الابتهاج ص 258 و 264 .

( 71 ) له « غاية الانتفاع بالبخش الذي في طرف توس الانتفاع » طبع حجر ، فاس .

( 72 ) السلوة ج 2 ص 116 .

( 73 ) درة الحجال ( ص 107 ) ( وسلوة الانفاس ( ج 2 ص 4 ) تلميذه ابراهيم الزواوي تقيه كفو من

السودان ( الدرر ص 111 )

( 74 ) درة الحجال ص 91 .

( 75 ) نيل الابتهاج ص 340 .

ومحمد بن هلال « امام التعاليم في سبته وشارح  
المسطى في الهيئة » مات عام 949 هـ (76) .

ومحمد بن يوسف المعروف بابن مشون من  
اساتذة الرية رحل الى سبته ونظم رجزا في علم  
الجبر والمقابلة ، توفي عام 989 (77) .

اما في عصر السعديين فلم ينبغ من الاطباء  
والرياضيين والجغرافيين وغيرهم من العلماء سوى  
عدد محدود ، منهم الطبيب بن عزوز المراكشي صاحب  
ذهاب الكسوف (78) وعبد الرحمن سقين الفاسي  
المحدث الاديب الذي كان يدرس الفية ابن سينا (79) .  
وابو القاسم الوزير الفسائي صاحب شرح حميات ابن  
عزرون « و » وحديقة الازهار في شرح ماهية العشب  
والعقار « (80) .

وقد نشر الدكتور رينو في نشرة معهد الدروس  
المغربية العليا (81) دراسة حول « حديقة الازهار » ذكر  
فيها ان هذا الكتاب « يمتاز بمنهاجه الواضح جسدا في  
الوصف النباتي الذي يتسم غالبا بطابع من الاصاله  
والطرافه ، وتلما يخلو الكتاب من الاشارة الى منابت  
الاعشاب التي توجد بالقرب من فاس وبذلك يزودنا  
بمعلومات ثمينة حول معظم المواد الصيدلية بفاس ،  
فهي اذن محاولة مبيدة لترتيب ثلاثي يدخل منسرا  
جديدا في وصف اعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية » .

ومن اطباء هذا العصر وعلمائه :

عبد الوهاب الزقاق الذي كانت له مشاركة في  
الادب والاصلين والطب والتفسير والحديث والنحو  
وولي القضاء بفاس ( توفي عام 961 هـ ) .

وطبيب المنصور ابو عبد الله محمد الطيب (82) .  
ومحمد الاندلسي الذي كان مولعا بالكيمياء  
والرياضيات والطب والهيئة والطبيعة (83) .

وداود بن عبد الله البغدادي ثم التلمساني الطبيب  
الماهر (84) .

واحمد بن عبد الحميد المعروف بالمرید المراكشي  
الذي كان اماما في جميع الفنون حكيمًا ماهرًا في  
الطب (85) .

وعبد الرحمن الفاسي الذي انفرد بتحقيق تعاليم  
وتحدث في كتابه « الاتنوم في مبادئ العلوم » عن الطب  
وعمليات التشريح وفنون العلاج وعن البيطرة وعلم  
الزردية أي طب الحيوان وعن الصيدلة وهو علم  
الاقرباذين وآخر هؤلاء الاطباء أحمد بن محمد بن  
حمدون بن الحاج الذي ساقه رينو كانبودج أخير  
للطبيب العالم ، له كتاب « الدرر الطبية » في الطب  
والطبائع والهواء والاغذية والاشربة والامراض وطرق  
علاجها والادوية مع تقسيم فني جديد لهذه الادوية .

والسلطان أحمد المنصور الذهبي له قدم راسخ في  
المنطق والحساب والهيئة والهندسة (86) .

واحمد بن قاسم معيوب كان له معرفة بالتعاليم  
من حساب وهيئة (87) .

واحمد بن القاضي الكناسي المؤرخ له ( غنية  
الرائض في طبقات أهل الحساب والفرائض )  
( مفتوحة ) و « المدخل » في الهندسة ، ونظم تلخيص  
ابن البنا ( نشر الثاني ج 1 ص 129 ) وظهرت في

(76) الاعلام ج 3 ص 263 .

(77) درة الحجال ص 176 .

(78) اقتبس نصل طب العميون من الكحال المشرقي علي بن عيسى ( الطب القديم بالمغرب ص 75 ) .

(79) توفي عام 956 ( نيل الابتهاج ص 153 ) .

(80) الفه للسلطان المنصور السعدي عام 994 ( نشر الثاني ج 2 ص 125 ) .

(81) ج 18 ص 195 .

(82) « نزهة الحادي » طبعة هوداس ص 146 .

(83) قتل عام 980 هـ ( الاعلام ج 4 ص 318 ) .

(84) لقيه ابن القاضي في مصر عام 986 ( درة الحجال ص 143 ) .

(85) توفي عام 1048 ( الاعلام لابن ابراهيم ج 2 ص 114 ) .

(86) نشر الثاني ج 1 ص 77 . فهم كتاب افليدس من غير شيخ لعمرة وجوده بالمغرب مكان يك شكلا في

كل يوم ( درة الحجال ص 51 ) وتفضل ايضا في الجبر والمقابلة ( السلوة ج 3 ص 226 ) .

(87) توفي بمراكش عام 1022 هـ ( الاعلام ج 2 ص 82 ) .

غير أن هذه « العلوم فقدت منذ أوائل القرن الحادي عشر سميتها العلمية فأصبحت مجرد ( حرف ) تقنية سميت اختصاصيين في الحساب والهندسة والمساحات » (96) وبما يدل على عمق الصبغة وما لاحظته الحسن الوزان من أن العقائريين بناس لم يكونوا قادرين على ترتيب الأشربة والأدهان طبقاً لوصفات الأطباء فكانوا يجتمعون كلهم لاعدادها ثم يرسلونها إلى دكاكينهم لتوزيعها وهي ظاهرة أن كانت ثم من انخفاض في المستوى العلمي ماتها تدل مع ذلك على أمانة وإخلاص للمهنة . وبالرغم من تقلص شبكة العلوم فإن الروح العلمية ظلت تكفي الخاصة من العلماء الذين كانوا يشعرون بالفروق الدقيقة في الاتجاهات العلمية ، ويتجلى ذلك في تسميات أبي علي اليوسي للعلوم : إلى فلسفة وملية ، وتحديدده لماهية علم الفلسفة الذي يهدف إلى « تكميل النفس الناطقة والاطلاع على حقائق الأشياء بقدر الطاقة » وأتسه — كما يقول — أما نظري وأما عملي، والأول أما مجرد عن المادة مطلقاً وهو العلم الإلهي ، أو في الذهن فقط وهو العلم الرياضي، أو مقيد بالمادة وهو العلم الطبيعي. والثاني أما متعلق بنفس الشخص من حيث هي ، ويسمى سياسة النفس وعلم الأخلاق ، أو بها وبما يحتاج إليه من شهوات توأها وهو علم تدبير المنزل ، أو بها بعم وهو الملكية والسلطنة ..

وتد أصبحت التعاليم تنحصر على عهد العلويين في عمليات تطبيقية منها ما سنه :

محمد السنوي مريو الاندلسي المنجم الحيسوبي الذي وضع مؤلفات في « تقدير قرض النفقات » بعمل

وقته الحرف المهمة التي لم تكن بالمغرب منها الحساب والهندسة والمساحات (88) .

والرحالة محمد بن القاسم ابن القاضي أوحده مصره في علم الحساب والتنجيم والجداول ، له « البرق الوامض في الحساب والفرائض » (89) .

وأحمد القلصادي موقت القرويين كان يدرس كتاب القلصادي (90) .

ويعتوب البستاني أمام الفرائض والحساب (91) وأحمد التتليتي المعارف بالحساب والتعديل والمساحات وبعض مبادئ الهندسة ، وهو شيخ « جماعة الفنون » المذكورة بمراكش ، وهو معاصر لمؤلف درة البحال (92) .

ومحمد بن سعيد السوسي المرغيثي صاحب المنع في التوقيت (93) .

ومحمد ادراق السوسي .

ومحمد بن محمد بن سليمان الفاسي الروداني ، كان يتقن فنون الرياضة وأقليدس والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمجسطي ويعرف أنواع الحساب والمقابلة والارتباطي والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره (94) .

وقد تنافس الناس في ابتناء الآلة التي اخترعها ، وكان يبيعها بثمن غال وقد ألف رسالة في وصفها وهي منشورة في الأعلام ( ص 350 ) والآلة عبارة عن كرة مستديرة مسطرة دوائر ورسوما ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين فيها تخاريم وتجاويف (95) .

(88) الأعلام للمراكشي ج 1 ص 46 . (تولى عام 1025 هـ) .

(89) توفى قتيلا بفاس عام 1040 هـ ( السلوة ج 3 ص 287 ) .

(90) توفى عام 1063 ( نشر الثاني للقادري ص 207 ) أما علي بن محمد القلصادي (810 — 891 هـ) فاصطنع بسطة ، واستوطن غرناطة ومات بباجة بتونس له « شرح الأرجوزة الياسينية في الجبر والمقابلة » و « قانون الحساب » و « كشف الأسرار في الجبر » ( الأعلام للزركلي ج 5 ص 163 ) وله أيضا شرحان على تلخيص ابن البنا والحومي والغنية في الفرائض ، أخذ بمصر من ابن حجر كما في رحلته ( النفع ج 2 ص 684 ) . وقد طبع كتابه « كشف الأسرار من علم حروف الفجار » مرارا بحجر فاس .

(91) كان يترؤها في الهواء فإذا أراد عاملها يصورها في اللوح ضربه بالتضبيب على يده ( الجذوة ص 350 ) . وهذا يدل على استعمال السبورة في شرح العلوم بالمغرب في ذلك العصر .

(92) الدرّة 92 .

(93) توفى عام 1809 م ( نشر الثاني ج 2 ص 37 )

(94) توفى عام 1094 هـ ( الأعلام ج 4 ص 334 نقلا عن خلاصة الأثر ) .

(95) نشر الثاني ص 87 .

(96) الأعلام للمراكشي ج 1 ص 46 .

الرموز والأرقام مرتبا على أطوار حياة المنفق عليهم(97)  
والاستاذ المظني مريانو له مؤلفات في التوثيق ،  
منها كتاب في تعديل الكواكب السبعة سماه « كنز  
الأسرار » ، وآخر في أبعاد النيرات ورموده ،  
وابتكرات أخرى في علم « المزاوئ الرخامية » وغير  
ذلك (98) .

وأحمد بن الطاهر المراكشي العالم بالأحكام  
النجومية والأزياج والهندسة والجدول (99) .

وأحمد حدو الهنتيفي الأستاذ في الحساب  
والرمد والأسماء (100) .

ومحمد متجنوش أستاذ انفراد في علم الحساب  
والتنجيم (101) .

وعبد الرحمن لبريس المنطقي الفلكي  
الحيسوبي (102) .

ومحمد بن الرئيس بن الحسن على التركي  
الضليح في الهندسة والرياضة . ومن أوضاعه في هذه  
مثال سماه « الشكل الكوري » شامل لسائر الزوايا  
والخطوط وأشكال الهندسة مما تشمله أصول اقليدس  
وتهذيب الطوسي (103) .

وأحمد بن عبد الله الثنائي المعروف بالصويري ،  
كان عازما بالحساب والتنجيم وعلم الأحكام الفلكية  
وعلم الهيئة ، له مؤلفات وتعاليق في الحساب والجبر  
والمقابلة وفي اللوغاريتم ، وحل اشكالا هندسية طبقتها  
في الرياضيات ، وكان عينه السلطان سيدي محمد بن

عبد الرحمان « رئيس المهندسين » وعينه مولاي  
الحسن « رئيس قواد الطبية » ( أي المدفعية في  
العامة المغربية ) وخبينة وزير الحرب (104)

وهناك رياضيون ومهندسون آخرون تتجلى  
قيمتهم العلمية فيما صنّفوه من كتب وأبحاث تكفلت  
المطبعة الحجرية في فاس بطبعها عندما أنشأها  
السلطان محمد الرابع منذ أزيد من قرن (105) .

وقد أندرس التعليم الرسمي للطب والمعلوم  
بجامعة القرويين رغم ما أشار إليه دلفان (106) من  
استمرار اعتناء الطلبة آنذاك « بالكامل » للـرازي  
« والقانون » لابن سينا « وزبدة الطب » للجرجاني  
« والتذكرة » للسويدي « وتذكرة الانطاكي » وكليات  
ابن رشد ومفردات ابن البيطار وكشف الرموز  
للجزائري ومع ذلك ظل الأطباء يجرون بمهارة بمضى  
الممارسات التشريحية الصغرى (107) .

وقد بدأ المغرب منذ المعهد السمعي يستدعي  
« خبراء فنيين » معدودين كاطبيب الفرنسي كيوم  
بيرار (Guillaume Berard) الذي كانت له ثمانية  
متواضعة (108) . وهوبير (Hubert) أستاذ العربية  
بجامعة باريس (109) والاطبيب الانجليزي لمبريبر  
والدكتور براون الذي منحه السلطان مولاي عبد  
الرحمن رخصة لممارسة مهنة الطب بالمغرب ، وذلك  
علاوة على الأطباء اليهود الذين كانت تستقدمهم  
الجالية الاسرائيلية ، أو من كان يولد في الاجزاء  
الاحتلة من المغرب أمثال الطيب النباتي الاسباني  
السبتي كريستوف دا كوستا . وشعر المغرب

97 تولى عام 1207 ( ج 1 ص 136 - الاغتباط ) لأبي جندار .

98 تولى عام 1223 ( ج 2 ص 116 - الاغتباط )

99 مات عام 1250 هـ ( الأعلام ج 7 ص 214 ) .

100 وكان يحسن نحواً من ثمانية عشر ملها تولى عام 1285 هـ ( السلوة ج 3 ص 82 ) .

101 توفي عام 1290 - و عمره 31 سنة ( ج 1 ص 212 ) .

102 سافر إلى الحج 1307 وهو من مواليد القرن الثالث عشر ( ج 2 ص 134 - الاغتباط ) .

103 الاغتباط لأبي جندار ( ج 2 ص 192 )

104 الأعلام ( ج 2 ص 267 ) .

105 راجع مطبوعات المغرب للاستاذ ادريس الادريسي وهي مخطوطة (

106 في كتابه « فاس وجامعتها » طبعة 1889 Delphin

107 رينو - ص 128 ( راجع في كتابنا « الطب والأطباء بالمغرب » نماذج لمهارة بعض المحترمين في

هذا المجال ص 72 - 80 )

108 رينو - « نشرة معهد الدروس العليا » ج 18 ص 206 .

109 كودار - تاريخ المغرب ص 399 و ص 490 « المغرب الحديث مملكة تنهار » كامبو 1866 ص 16 .

اغلاط سلته ومنظرا بين المصادر المطبوعة ودروسه في مصر وتقاليد اطباء المغرب وصيادته وما يسميه بالطب الجديد والكيمياء الجديدة بأوروبا وأمريكا ، ويأتي أحيانا بأسماء الدواء بالعربية ومختلف لهجاتها ثم باللاتينية والأمرنجية مع تحليل ذلك بالمصطلحات الحديثة العامة كالصميد والتقطير ، وقد نقل من مصر نماذج عديدة من النباتات والعقاقير والأدوية ، ويحكي عن تجارب شيوخه في قصر العيني وأسماه الشخصي في هذه التجارب وقد ذكر أنه شاهد زرافة مصبرة بالتصمر العيني خلال ترامته على الحيوانات ( الضياء ص 57 ) وشارك في تحضيرات بالمعمل الكيماوي بمصر (ص72)

وقد نقل من نحو الخمسين مؤلفا منهم ابن الخطيب (ص 80 ) والوزير الفساني صاحب الحديقة وعبد الرحمن الفاسي وعبد القادر ابن شقرون والطبيب الصيدلي العجلاني والطبيب المصري أحمد بن حسين الرشددي الذي عاش أول القرن الماضي وابن الحشاء صاحب تفسير الألفاظ الطبية واللغوية الواتمة في الكتاب المنصوري (108) . وقد أسس الطبيب مولاي عبد السلام العلمي مصحة صغيرة بفاس قبل بها حتى توفي عام 1323 هـ ، ورسالة العلمي هذه مشهونة بالإصطلاحات الحديثة ووصف العمليات العملية التي كانت تجري بالقصر العيني وأنواع العلوم التي كانت تدرس به مثل علم التشريح الهيكلي والمفصلي والمفصلي والتشريح العصبي والتاريخ الطبيعي والكيمياء الطبية والأقربالين ( الصيدلة ) وطب الرمد والأمراض الجلدية والداء الزهري وعلم الحيوانات المصبرة وأحجار المعادن وأمراض النساء والأطفال ( في أسبطلية أمراض النساء بمصر ) .

ويعطينا كتاب « ضياء النبراس » صورة عن الاختلاف الملحوظ في المصطلحات العلمية بين الشرق العربي والمغرب الأقصى الذي عرف عشرات الأسماء والنباتات باللسان البربري انفرد بها المغرب . ويتجلى من الصراع السياسي والعسكري الذي بدأ المغرب يخوضه منذ بداية هذا القرن أن التعليم العربي أصبح يسير رويدا نحو التقلص إلى أن انحصر في جامعة القرويين ورواندها المحدودة التي بعد مهدها بالعلوم . وازدادت اللغة العربية إبان الحماية تقلصا عندما اتخذ الاستعمار اللغة الفرنسية أداة وحيدة للتلقين في المدارس وقام « التعليم الحر » المغرب برد فعل عنيف

بتساؤل الاختصاصيين فأسس مدرسة للفنون بفاس الجديد « ومدرسة مركزية للدلمية » بالجديدة (110) تخرجت منها فئات من الطلبة توجهت لاستكمال دراستها في مصر وكذلك في إنجلترا وأسبانيا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وأمريكا . وقد تابعت بعثة مكونة من اثني عشر طالبا دراستها في جامعة مونتبيلييه (Montpellier) بفرنسا خلال سنوات ( 1885 - 1888 ) درست فيها اللغة الفرنسية والحساب والهندسة التطبيقية والهيئة والرياضيات والكيمياء والتلغراف والتليفون وعلم البصريات والكهرباء والضغط الجوي وترصيف الطرق والسكك الحديدية ومسح الأراضي ولبن تحرير التصميمات الهندسية بالإضافة إلى التمارين العسكرية وبناء الخنادق وأجهزة الدفاع وصنع آلات الحصار ، وحقق هؤلاء الطلبة فاصحوا يحررون المذكرات ويتأهبون للاختطالاع برسالة تقنية هامة في المغرب الحديث ، وتم الاتفاق بين المغرب وفرنسا على توجيه فوج جديد لاستكمال الأطر المغربية تدريجيا في مدينة فرساي (Versailles) ولكن شيئا من ذلك لم يتم ، حيث تولى الحسن الأول بعد سنوات ودخل المغرب في حضم من الدسائس الدولية عرقلت توثبه للانبعاث ، ووجه الحسن الأول كذلك إلى أوروبا طلبة لدراسة الطب تابع ستة منهم تمارين بالمستشفى الإسباني بطنجة في ميدان الفحص والتفصيد والتشريح وعين ثلاثة من خريجيها أطباء في الجيش بكل من طنجة ومراكش ، أما مصر فإنه لم يتوجه إليها عدا الأستاذ عبد السلام العلمي لدراسة الطب بالقاهرة ، وكانها كانت النواة الأولى أراد السلطان الحسن الأول أن يستكنه بها قيمة الدراسة العلمية في الشرق العربي غير أن هذه البعثة لم تجدد كمثيلاتها في أوروبا بالرغم من ارتفاع مستوى التعليم في مصر آنذاك ، والواقع أن المغرب أمام كثيرا من الروح الجديدة التي تلمصها الشريف العلمي الذي ما لبث أن صنف بعد عودته كتابا سماه « ضياء النبراس » في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس (111) ذكر فيه شيوخه في « الإسبطلية الكبرى » بالقصر العيني الذي أسس عام 1827 م بأمر من الخديوي محمد ، ويعتبر هذا الكتاب في نظري نقطة تحول في تاريخ الطب المغربي حيث يحاول المؤلف التوفيق بين الشهور والبروج والأدوية وأنواع النباتات المتداولة في الشرق والغرب وفي المغرب مصححا في بعض الأحيان

(110) الاتحاف لابن زيدان ج 3 ص 367 .

(111) طبع بالمطبعة الحجرية بفاس عام 1318 .

تعريب ، ولذلك يلاحظ أن الأطر ما زالت تستعمل الفرنسية تبعا للغة الخبراء الفنيين الذين يتل عددهم نسبيا بفضل حركة التعريب (112) على أن هذه المغربية لا تواكب حركة التعريب فقد ظلت لغة معظم الاختصاصيين المغربية أجنبية في تحرير النصوص والخطابات والمناشير وكذلك التخاطب في المحافل والمؤتمرات باستثناء وزارة العدل والمرافق التابعة لها حيث شمل التعريب جميع المحاكم ) ولعل المشكل واحد في مجموع أطر المغرب العربي - عدا ليبيا - نظرا لما نتج عن تعميم التعليم ( أزيد من مليون طفل اليوم بالمغرب بدلا من ربع مليون قبل الاستقلال ) من هلهلة في تكوين الأطر وضعف في المستوى والظاهرة المغربية هي أن جامعة القرويين نفسها قد تضائل طلبتها لكون ازدواجية اللغة ما زالت مقياسا لتقييم الاهليات في مختلف مجالات الحياة ، ولم تكد ثمر أربع سنوات على الاستقلال حتى شعر جلالة المرحوم محمد الخامس بفعل الرواسب التي تباعد بين جناحي العروبة خاصة في حقل المصطلح « العلمي والتقني » فدعا عام 1960 الى عقد « مؤتمر للتعريب » أنبثق عنه في إطار جامعة الدول العربية المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي ، ذلك المكتب الذي يستهدف الاستفادة من تجربة الجناح الشرقي لدمج حركة التعريب في الجناح الغربي ، وقد نشر هذا المكتب عدة معاجم في العلوم بلغات مختلفة ، كما أصدر « اللسان العربي » وهي مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب في العالم العربي ، وأسس مكتبة للعلوم زاخرة بأحدث ما أصدره الشرق من مصنفات في مختلف القطاعات التقنية ، وقد خطط لنفسه تصميما مشاريا فاينته الأساسية استكمال الاداة العلمية والتقنية في امد محدود بتوحيد المصطلحات واستقرارها تعزيزا لصراع ثقافي تخوضه لغة الضاد كلفة عمل في كثير من المحافل الدولية ، وقد اندرج هذا العمل التنسيقي ضمن مشاريع تسهم فيها المجامع والمجالس العليا والاتحاد العلمي العربي والجامعات والهيئات الثقافية في مختلف المواسم العربية ومآت الاختصاصيين الذين يرأسلون المكتب الدائم من جميع انحاء العالم العربي .

وقد بدأ هذا الكناح يؤدي اكله بانواع النخب المغربية - القليلة الصلة بالثقافة العربية - بفعالية لغتنا القومية في مجال الحضارة والعلم كأداة طيبة للتخاطب في الحقل الدولي ، ولكن هذا الائتلاف لن يتم

تعريب تدريس العلوم وخاصة بشمال المغرب حيث توجهت اناج من الطلبة لاستكمال دروسهم في الشرق، وكانت الحماية الاسبانية في هذه المنطقة اقل مضايقا للمواطنين فنكأثر عدد المتخرجين من الشرق المغربي وشجع الباب المتوح الطلبة على متابعة دروسهم الثانوية في المعاهد المصرية على عكس ما ابتدأه الفرنسيون في منطقة نفوذهم بالجنوب من أساليب المكر والدسائس للقضاء على لغة الضاد . ومع ذلك فقد واصل « التعليم الحر المغرب » رسالته الخالدة محافظا على كيان اللغة بالرغم من « تفريس » اقلية المتقنين وازدواجية ثقافة الاقلية الضئيلة من هذه النخبة التي تزعمت بروحها العربية الإسلامية حركة الثورة ضد الاستعمار . وكان التعليم المغرب يستورد خفية من الشرق - وخاصة من مصر - جملة من المصنفات معظمها في الآداب واللغة والنحو وظل الحاجز كثيفا بين لغة عربية علمية تتطور في الشرق وتواكب النهضة الجديدة وبين عربية تص جناحها في المغرب الأقصى لا كلفة علمية بل كجهد لغة ، وقد تامت الصحابة العربية بدور هام في تجديد الصلة بين الشرق والمغرب متبعة بالبحوث الجديدة ومصطلحاتها المولدة في الاقتصاد والسياسة والقانون وتاريخ المذاهب الشيوعية والاشتراكية والنزعات الأدبية والفنية المستخرقة مقتبسة في ذلك ما راج في الشرق العربي من تعابير ومفردات وطلق المغرب بعد استقلاله في عام 1956 . يتطور ببطء نظرا لتراكم المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فرسم التخطيطات في شتى الميادين الحضارية وضاعف حصص اللغة العربية فاكتمل الآن تعريب السلك الابتدائي وان كانت قلة الأطر المغربية الصالحة تهدد بتحجر هذه الحركة، وظل الثانوي في طوره يلقن العلوم بالفرنسية عدا التعليم الحر والأصلي أي الإسلامي الذي هو من روافد جامعة القرويين بكلياتها الجديدة ( الشريعة بفاس ، وأصول الدين بتطوان ، واللغة العربية بمراكش ) كما ظل اقبال المغربية ملحوظا في مدارس البعثة الفرنسية التي بدأت منذ يناير من سنة (1969) تلقسن العربية لتلاميذها . وقد تزايدت حصة اللغة العربية في معظم الأسلاك بينما أحدثت اتسام معربة في كليتي الآداب والحقوق والدرسة العليا للاستاذة مع بقاء الكليات التقنية ككلية العلوم ومدرسة المهندسين ومعاهد الفلاحة والاكاديمية العسكرية في معزل عن أي

(112) ما عدا تسما يسيرا تعمل وزارة الوظيفة العمومية على تعريبه بدروس خاصة تنظمها للموظفين .

هذا وان مواكبة حضارة العصر الحديث لن تكتمل  
بالنسبة الينا معاصر العرب الا اذا توازت فيها ذاتينا  
العربية مع انسانيتنا الحضارية ، والمقوم الجوهري  
لهذه الذاتية هو اللغة العربية التي ظلت — كما يتول  
ماسنيون Massignon اداة خالصة لنقل بدائع  
الفكر في الحقل الدولي وعنصرا جوهريا للسلام في  
مستقبل الامم والشعوب « .

الا اذا استقصينا تدريجيا المصطلحات التقنية التسي  
اصبحت حتى عند دول كبرى كفرنسا مثار لغزو ثقافي  
بسبب ما تزج به مخابر الكشوف في الاسواق الدولية  
من مصطلحات تقنية يبلغ عددها خمسين مصطلحا في  
كل يوم



# تدريس العربية كلغة مية في الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور ساجي عياد - الدكتور نجيب جريس  
الولايات المتحدة

مع الناس في أحداث كل يوم العادية . وهناك من يومن بتعليم الفصحى اولا ثم بعد ذلك العامية عن طريق احدى لهجاتها .

وهذه الحلول المختلفة تبدو غير مرضية بتاتا في نظر آخرين يومنون بأنه اذا كان الهدف من تعليم العامية هو تمكن الطالب من محادثة الرجل العادي العربي فهو يضيع وقته سدى لان بتعليمه العامية سيحدد له لهجة معينة كما انه وان لم يستعملها في مكانها فهو لن يستفيد منها . فمثلا اذا تعلم لهجة مراكش فقط وذهب بعد ذلك الى بنغازي فلن يتمكن التفاهم الكامل معها . اما اذا تعلم الطالب الاجنبي اللغة العربية المكتوبة او بالاحرى الفصحى بدون التعرض الى اللهجات فهذا يعده البعض اسلوبا غير واقعي في تعليم لغة حية كما انه لا يتفق ونظريات علم اللغويات الذي يدور حول محور هام وهو ان الكلام ياتي اولا وان الكتابة انما هي رمز لما ينطق به المتكلم . وعلى هذا يبدو ان الحل المثالي للمشكلة في نظر هؤلاء العلماء لابد ان يكون عمليا ويتفق مع الواقع اللغوي العربي وفي نفس الوقت مع نظريات علم اللغويات الحديثة . معنى هذا انه اذا وافقنا على ان نبدأ تدريس العربية للاجانب بلغة الحديث فلا بد من البدء باللغة العامية . ولكن اية لهجة نختار ؟ والاجابة على هذا السؤال تتوقف الى حد كبير على الهدف من تعلم اللغة نفسها .

بالرغم من ان دخول اللغة العربية في برامج عدد كبير من الجامعات الامريكية ظاهرة حديثة ، فان الاهتمام بها نما نموا مطردا خلال السنوات العشر الاخيرة . وهناك من الادلة ما يفيد بان الدراسات العربية اصبحت ميدانا علميا هاما وان عدد الجامعات الامريكية التي تقدم في برامجها اللغة العربية وحضارتها العريقة تد بلغ أكثر من ثلاثين جامعة .

ولكن هذا الاهتمام وهذا التوسع اثار مشاكل تربوية وأصبح السؤال الذي يردده كل استاذ هو كيف ندرس اللغة العربية ومن اين نبدأ .

فهناك الفصحى والعامية . اما العامية فنحن نعلم ان هناك لهجات عربية عديدة فمنها اللهجة اللبنانية والمصرية والتونسية والمغربية وهكذا .. وتزداد الصورة تعقيدا بان كلا من هذه اللهجات لها لهجات محلية . ففي مصر نرى اللهجة القاهرية واللهجة السعيدية . ثم تزداد المشكلة تعقيدا بان الكتابة العربية نفسها - بدون شكل - تسمح بنطق كلمة واحدة في عدة اوضاع بمعانيها المختلفة . فمثلا ( ك ت ب ) يمكن نطقها بأشكال مختلفة .

اتدم عدد من اساتذة علم اللغويات والتربية الحديثة على عدد من الحلول . فمنهم من يمتد ان الطالب الامريكي يجب ان يتعلم الفصحى فقط قراءة وكتابة . ومنهم من يدعي ان العامية هي التي يجب ان ندرسها لان الهدف من تعليم اللغة هو الاتصال والتفاهم



لناخذ تعلم الانجليزية كمثل لنا . فالانجليزية الامريكية مثلا التي يتعلمها الاجنبي هي لغة الشمال وليس الجنوب . وفي انجلترا ايضا يتعلم الاجنبي اللغة المعروفة Received English وقد يكون لاختيار هاتين اللغتين عدة اسباب . اولاً : انها لغة مهذبة للحديث . وثانياً ان لها أهمية خاصة في التطبيق والاستعمال العام . بمعنى آخر ان اللغة التي تدرس هي التي تمكن الطالب من تحقيق الاتصال والتفاهم الكامل مع اصحاب هذه اللغة بحيث يفهمهم وهم يفهمونه .

العربية في كثير من المدن العربية الكبرى . والسبب في اختيار هذه اللهجة هي انها مفهومة تماماً في جميع البلاد العربية . وشكراً لوسائل الاعلام الحديثة من تلفزة وراديو واللام سينمائية التي تربت هذه اللهجة الى عدد كبير من الشعوب العربية . فهي لغة مقبولة للجميع وتتمتع بشهرتها المعروفة واحترامها .

فالذي يقترحه اصحاب هذه النظرية في اول خطوة لتعليم العربية هو البدء باللهجة المهذبة .

وهنا يجب تحديد العلاقة بين ما نسميه « بالعامية » « والفصحى » . غاية لغة من لغات العالم لا تتكون من عنصرين فقط يمكن تحديدهما تحديداً واضحاً . بل بالاحرى تتكون من « مستويات كثيرة » وكل مستوى يرتبط بمستوى ثقافي معين ووظيفية معينة . ولكي يكون استخدام العربية عملاً يجب على الدارس والمدرس ان يكونا متيقنين لهذه المستويات وان العربية نمت وزادت بلافتها على مر الايام والاجيال . وعلى ذلك يمكن ان نميز على الاقل ثلاثة مستويات عامة :

اولاً : العربية الفصحى او لغة القرآن الكريم .

ثانياً : العربية الحديثة وهي تشمل ما تقراه في الصحف اليومية والمجلات والاذاعة . وفي نطاق هذا المستوى لابد من تأكيد الكتابة الرسمية رغم ان هناك الآن كتابة لبعض العامية : الاغاني مثلاً ، والامثال العامية ، والقصص الخرافية .

ثالثاً : العربية الخاصة بالحوار او التحدث اليومي وهي تمثل اللهجة المهذبة التي تحدثت عنها . وهنا يجب ملاحظة ان العامة العرب فيسر المتعلمين يستخدمون الكثير من النماذج بالعربية الفصحى ( عند ذكر بعض آيات القرآن الكريم او الحديث الشريف او اصطلاحات معينة مثل « حالا » و « بسرعة » . و « أهلاً وسهلاً » . الخ ) .

ولسنا في حاجة الى تأكيد الحقيقة وهي ان هذا التقسيم لا يعني مطلقاً ان كل قسم منفصل تماماً عن الآخر . لهذا ليس من شأن اللغات الحية . ومن هنا يؤكد لنا اصحاب هذا الرأي — وهو رأيي انا ايضا ان « اللهجة المهذبة » تستخدم كقنطرة تسهل الانتقال من لغة الحديث الى اللغة الفصحى بمثل حرف « القاف » يتردد كثيراً في لغة الحديث خصوصاً عند ذكر كلمة « القرآن » و « القاهرة » هذه اللهجة المهذبة تحتوي

لنعد الآن الى العربية التي هي لغة ما يقرب من تسعين مليون عربي كما انها لغة القرآن الكريم التي يعرفها ما يقرب من سبعمائة مليون مسلم في العالم . ونحن نعلم ايضا انه منذ ظهور الثورة العربية فقد ظهر في الافق العربي يقظة ورغبة قوية في تحقيق الوحدة الثقافية واللغوية . شكراً للتبادل الثقافي ووسائل الاعلام المختلفة في البلدان العربية . اما الفروق اللهجية فلم تعترض قط طريق الوحدة الثقافية . وظهر خلال هذه العملية نوع جديد من لغة الحوار وهو ما يمكن ان نسميه باللغة المهذبة او لغة المتكلمين خصوصاً تلك اللغة التي تتميز بها مراكز الثقافة الكبرى التي يفهمها الجميع حتى الذين لا يتكلمونها . وهذا هو بالضبط السبب الاهم في ان الطالب الاجنبي الذي يرغب في تعلم اللغة العربية يجب ان يتجه الى احد هذه المراكز الكبرى حيث يمكنه ان يجد وسيلة للتفاهم تساعده ليس فقط على فهم جزء من العالم العربي بل جزء مهم من الحضارة العربية .

ولا شك ان هنالك مراكز هامة للثقافة العربية مثل القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وناس . وكلنا نعلم ان القاهرة بالذات تمتع بكثير من الامتيازات كما ان لهجتها « المهذبة » او لهجة المتعلمين فيها تعتبر مهمة جداً بالنسبة للطالب الامريكي الذي يبحث عن وسيلة تمكنه من التفاهم مع أكبر عدد من العرب في بلادهم المختلفة . ولكن ليس معنى هذا ان اللهجة المهذبة القاهرية هي الوسيلة الوحيدة لهذا التفاهم بل اللهجة المهذبة الرياطية والبيروتية والبغدادية يمكنها ان تقوم بنفس العملية وتحقق نفس الاهداف .

واللهجة التي يفترضها اصحاب هذه الطريقة الحديثة هي التي يتحدث بها الشباب العربي المتعلم الذي حصل على قسط وافر من التعليم الجامعي . وهي ايضا التي يداع بواسطتها بعض البرامج الاذاعية

على كلمات كثيرة من الفصحى وتتبع أيضا من تروى  
تواعد الفصحى .

كما ان اللغة العربية المعاصرة او الحديثة يمكن  
بسهولة تمييزها عن الفصحى من طريق الكلمات  
الجديدة التي تحتويها . فنحن نقول الآن « تلفزيون »  
او « تلفزة » و « فيلا » .

وبالنسبة للعامة يمكن تمييزها عن الفصحى بما  
يحدث من تغيير في بعض الاصوات لمثلا نقول « كتب »  
بدلا من « كتب » و « ولد » بدلا من « ولد » ولدا -  
ولد .

وايضا الولد او الولد بدلا من الولد - الولد -  
الولد ، ينتج بدلا من ينتج ( باللهجة المهذبة القاهرية  
مثلا ) .

وايضا تغيير صوتي في بعض الحروف مثل ( ت )  
بدلا من ( ث ) فنقول مرة « ثانية » ، وعشرين ثانية ،  
( داب ) بدلا من ( ذاب ) و ( ازا ) بدلا من ( اذا ) .

ثم ايضا نلاحظ التنخيم : / مرد / و / فرض /

والانسان الهام الذي يبنى عليه تعليم اية لغة  
اجنبية هو التقدم من لغة الحديث الى الكتابة او من  
الصوت الى الرمز . ولهذا السبب تستخدم الرموز  
الصوتية فقط في المرحلة الاولى حتى يمكن للطالب ان  
يتقن كل الاصوات ويميز بينها بدقة . ولكي يتم تحقيق  
ذلك نقدم نماذج « زوجية » خاصة Minimal Pairs  
مثل : ( دم ) ، ( ضم ) لتوضيح التنخيم .

( كلب ) / ( قلب ) لتوضيح اهمية نطق احرف  
معينة في معنى الكلمة .

( س ) / ( ساد ) لتوضيح اهمية الاصوات  
الطويلة .

وفي هذه النماذج يكون التركيز على ابراز اختلاف  
واحد فقط لان الاستماع يأتي قبل النطق وان القدرة  
على تمييز الاختلاف في الاصوات يأتي قبل اعادة انتاجها .  
وبمجرد ان يتمكن الطالب الاجنبي من ترديد النماذج  
الصوتية الاساسية يمكنه بسهولة ان ينتقل الى الكتابة  
ومنها الى الفصحى .

كيف نقدم الفصحى بعد ذلك ؟

لعلنا نذكر كثيرين منا عندما بدأوا يتعلمون  
العربية الفصحى في اول سنة ابتدائية رددوا كلمات

وامعلا مشهورة مثل ( قتل ) ، ( ضرب ) ، اما في  
اللاتينية مثلا نعلمنا « حب » وما شابهها . وليس  
المشكلة في الواقع مشكلة معان ولكن المشكلة هي انه لم  
يكن هناك اهتمام بفكرة « التدرج » في تقديم « الاصوات »  
وتركيب الجملة او مميزات تركيبية خاصة  
Morphological distinction وانتقلت هذه الطريقة الى  
العرب في تعليم العربية واصبح الاهتمام منصبا على  
المفردات والتواعد الصماء .

وفي السنين الاخيرة لاحظنا ان بعض اساتذة  
العربية في الجامعات الامريكية التي تقوم بتدريس  
العربية تد الفوا كتبنا خاصة لتعليم العربية للمبتدئين  
ووصلوا في تفكيرهم الى اعمال كل المستويات اللغوية  
والتركيز على ما اطلقوا عليه اسم « العربية الحديثة »  
Modern Standard Arabic وهذا الاسلوب يبدو انهم  
قد فشلوا في تقديم العربية كلفة حية لها مستوياتها  
الثقافية والنشاطية المختلفة . فالرمز المكتوب هو  
التعبير الوحيد للعربية وينتج من هذا انه من المستحيل  
للطالب ان يفهم الكثير مما يسمى « العربية الحديثة »  
عندما يستمع الى حديث او اغنية عربية بالاذاعة او  
خطبة عامة او ادب شعبي . اضف الى  
ذلك انه اذا استخدم الفصحى الحديثة في حواراته  
يكون يتكلم ككتاب لا يعبر عن واقع لغة الحوار .

وعلى ضوء هذه الانتقادات تقدم الفصحى في  
المرحلة الاولى من تعليم العربية في نطاق الاساليب  
الآتية :

اولا : ان المحتويات التركيبية يجب ان تقدم بالتدرج  
على اساس البساطة في التركيب ، التكرار ،  
والقيمة العلمية . وبناء على ذلك فمن الناحية  
الصوتية تقدم الاصوات السهلة والتي تماثل  
لغة الطالب الاجنبي اولا ( محروف الفاء والميم  
والحاء والخاء والظن تؤول الى مترة مقبلة )  
ومن الناحية الاربابية والصرفية فالجمل الاسمية  
تقدم قبل الجمل الفعلية : مثل انا من ليبيا ،  
الرباط مدينة جميلة .

ومن الناحية التركيبية تقدم بعض الضمائر  
الهامة فقط مثل : انت ، انت ، انتم .

ثانيا : يجب على النماذج التركيبية ان تمثل الثقافة  
والحضارة العربية وان تبرز الهام منها . كالصالح  
وشهر رمضان المبارك والمائلة العربية وخلافه  
بدلا من « اين الفيل يا خليل » او « مقعد مجلس  
الوزراء جلسة خطيرة » .

ثالثا : في تطبيق مبدأ التدرج وربط النماذج بالحفارة يتحقق غرضان مهمان : الأول هو ان الطالب في هذه المرحلة الاولى الحرجة يبدأ بالشمور بالنجاح بدون الالتجاء الى « ضغط من الذاكرة » وثانيا ان رغبتة في المزيد من التعليم تزداد ومعها تزداد شهيته لمرة الثقافة الجديدة التي تمثلها اللغة . او بمعنى آخر ان النماذج اللغوية يصبح لها معنى في ذهن المتعلم مما يجعل عملية التعلم ممتعة وفعالة . وكلنا نعلم ان اول اتصال في تعلم لغة اجنبية له اهمية قصوى في مواصلة تعلم تلك اللغة .

نعم فهناك في بعض الاحيان مرق واضح بين كلمة عامية ومقابلها بالفصحى — مثل ( بالزاف ) و ( كثير ) ولكن هنا تبدو ابداعية استاذ اللغة في اختيار النماذج المشتركة بين اللهجة المهذبة والفصحى — كالمثلة التي سبق الاشارة اليها . هذا هو القاسم المشترك الذي عليه يبني المعلم المرحلة الاولى من تعليم اللغة العربية للاجانب .

اما من حيث القواعد فكلما ذكرت ان النماذج التي تقدم يشتق منها الطالب القاعدة بدلا من تقديم القاعدة في قالب اجوف لحفظها فقط .

وهنا تلعب التمارين الخاصة بكل درس دورها الهام في عملية التعلم فبدلا من سؤال الطالب اهراب ما ياتي : او استخراج اسم المفعول من كل فاعل — نقدم

تمارين من نوع جديد متفق عليه ونظريات اصول التعلم وعلم اللغويات . فتمارين الاستبدال Substitution مثلا والتحويل Transformation وغيرها من التمارين الفعالة التي « تثبتت » ما يتعلمه الطالب .  
مثلا : هو من القاهرة

هي

انا

انت

بيروت

هذا مسجد

هذه مدينة

هذا مسجد جميل

هذه مدينة جميلة

اما المفردات فيجب الا تبمثر في الدروس بلا نظام او احكام . فالكلمات التي تتركب منها النماذج التركيبية يجب ان يكون اختيارها في غاية الدقة والتحديد مع تكرارها في الدروس المتتالية حتى يتمكن الطالب من التركيز على النماذج الاساسية التركيبية بدلا من مجرد ضغط كلمات لا معنى لها .

هذا ملخص مختصر لحدث طرق تدريس اللغات الاجنبية ومن ضمنها العربية بمستوياتها التقايبية المختلفة .



# أبحاث مختلفة

- العلوم الطبيعية في القرآن  
للشيخ طه الولي
- الامداد العلمي في الوطن العربي  
المؤتمر الثقافي العربي الثامن
- التانيث في العربية  
للاستاذ عبد الحق فاضل
- علم الأصوات الحيوانية عند العرب  
للاستاذ عبد الهادي الفضيلي
- ملاحظات حول النقد الادبي  
للككتور محمد رجب البيومي
- الحضارة الاسلامية بين الماضي .. والمستقبل  
للاستاذ احمد عبد الرحيم السايح
- نقد الكتب  
للككتور ممدوح حقي
- الموسيقى لغة السروح  
للاستاذ ابراهيم الدرويش المصري



# العلوم الطبيعية في القرآن

الشيخ طه الويلبي «بيروت»

الاسترسال ، من شأنه ان يقودنا الى الخروج عن جادة الموضوع الرئيسي الذي نريد ان نأخذ به نفسنا الآن ، وهو الموضوع الذي أردنا قصره على ما جاء في الكتاب الذي تصد به مؤلفه الاستاذ يوسف مروه اثبات العلاقة الحتمية الوثيقة بين التفسير العلمي الحديث للظواهر الكونية المادية البحتة ، وبين المعاني الالهية الخالدة التي تتعلقت بها ، بين حين وحين بعض آيات القرآن الكريم في اثناء دعوتهما الناس من كافة الاجناس الى الايمان بوجود الله الخالق الديان .

على انه ، لا بد لنا من التقديم بين يدي موضوعنا ، ان كتاب الاستاذ مروه الذي تدور فصوله وابوابه ، حول رغبة المؤلف بربط اغراض القرآن الكريم مع ما توصل اليه العلماء المعاصرون من آراء وافكار ونظريات في الجغرافية والفيزياء والفلك وما الى ذلك من العلوم الانسانية الوضعية والمادية ، نقول ، انه لا بد لنا من التقديم بان هذا الكتاب ليس جديدا في بابيه او مادته ، فلقد سبق ان نحا هذا النحو الجدلي ، في دراسة القرآن الكريم وتفسيره ، غير الاستاذ مروه من الكتاب المسلمين الذين ارادوا ان يلتقطوا قفاز التحدي ويرموا به في وجه المستكشفات والاكتراعات العلمية ، من طريق اقامة الدليل العقلي بان القرآن الكريم كان اسبق من كل ما عدها من كتب البشر الى التحدث عن هذه المستكشفات والاكتراعات في العديد من آياته وسوره التي نزل بها الروح الامين بالوحي السماوي ، على قلب الرسول الاعظم سيدنا وسيد الخلق اجمعين محمد صلى الله عليه وسلم .

بين ايدي الناس الان كتاب جديد عنوانه «العلوم الطبيعية في القرآن» من تأليف العالم الفيزيائي الكبير الاستاذ يوسف مروه من افاضل جبال عاملة في جنوبي الجمهورية اللبنانية ، وقد تفضل المؤلف الكريم فاهداني هذا الكتاب . وانه ليهمني التاكيد بانني لدى مطالعته ، وجدته امام محاولة جريئة لدواسة القرآن الكريم بأسلوب الرجل المسلم المؤمن الذي اراد ان يتصدى للحملة التي اثارها وخاض غمارها بعض اساتذة الجامعة الامريكية ببيروت تحت شعار التنافس المزعوم بين المعطيات العلمية ، الحديثة ، وبين مسلمات العقيدة الدينية ، القديمة . وليس من شك بان هذه الحملة التي اضطرت بضجيجها اروقة الجامعة المذكورة ورددت صداها بالنقد والتعليق اقلام الكتاب في عدد من الصحف ببيروت وخارجها ، ليس من شك في ان هذه الحملة ليست وليدة العصر الذي نعيش فيه اليوم ، بل انها مألوفة من قبل ، وهي ما زالت تتردد وتتجدد من قديم الزمان حتى اليوم لاسباب متفاوتة من حيث منطلقاتها وغاياتها ما بين الفلق الفكري المجرد وبين النزوات الشخصية المشبوهة .

وليس لنا الان ، ان نرسل القلم على غاربه في جولة استعراض تفصيلي للمراحل التاريخية التي مر بها مبدأ الايمان بالله الذي ارسى قواعده الاديان السماوية مع تلك الطائفة من الكتاب الذين تجلببوا برداه الافكار الفلسفية او قطروا اسماءهم بغافلة من الالجاب العلمية الجذابة ، لاننا نرى ان مثل هذا

ففي أواسط العقد الثالث من النصف الأول للقرن العشرين الذي نحن فيه ، كثر الحديث عن أحد المؤلفين المصريين الذي حاول تفسير القرآن الكريم تفسيراً علمياً يتجاوب فيه مع روح العصر الذي تطورت فيه الأفكار الإنسانية وراح يطلق قلمه وراء ما يسبح عبر الفضاء الرحب من الكواكب والاقمار والشموس ، أو يفوس بهذا القلم ، الى داخل أحشاء الأرض باحثاً في هذه الأحشاء عما يتقلب فيها من عوالم الجماد والحيوان والنبات ليبرهن للناس أن الغلاف الخارجي للكون والاعماق الداخلية فيه ، أحاط به كتاب الله في كلامه الأزلي بالتفصيل والبيان والايضاح ، وهذا المؤلف هو الشيخ طنطاوي جوهرى ، الذي كان استاذاً في دار العلوم المصرية والمتوفى سنة 1358 هـ ( 1940 م ) فقد صنف هذا الشيخ كتاباً تحت عنوان : « الجواهر في تفسير القرآن الكريم » وطوى صفحاته التي تجاوزت المئات عدداً ، على تفسير القرآن الكريم « تفسيراً ينطوي على كل ما وصل اليه البشر من علوم » على حد قوله .

فقد أخذت فكرة تفسير الظواهر الكونية من خلال تفسير القرآن الكريم ، بلب الشيخ طنطاوي جوهرى وملكت عليه أحاسيسه ومشاعره حتى اعتقد بأن العناية الإلهية اختارته من بين سائر الناس للقيام بكبر هذا العمل فأطلق قلمه صير كتابه ببناء وجهه الى المسلمين قاطبة قال فيه :

« يا أمة الإسلام ، آيات معدودات في الفرائض اجتذبت فرما من علم الرياضيات ، فما يالكم أيها الناس بسبعمائة آية ، فيها عجائب الدنيا كلها .. هذا زمان العلوم ، وهذا زمان ظهور الإسلام .. هذا زمان رقيه . باليت شعري ، لماذا لا نعمل في آيات العلوم الكونية ، ما فعله آباؤنا في آيات الميراث ولكني ، أقول ، الحمد لله ، الحمد لله ، أنك تقرأ في هذا التفسير (ويقصد كتابه) خلاصات من العلوم ودراساتها أفضل من دراسة علم الفرائض ، لأنه فرض كفاية ، أما هذه ، فإنها للازدياد في معرفة الله وهي فرض على كل قادر .. أن هذه العلوم التي ادخلناها في تفسير القرآن ، هي التي أفلتها الجهلاء المعزرون من صفاء الفقهاء في الإسلام .. فهذا زمان الانقلاب وظهور الحقائق .. والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

ثم ان هذا الشيخ يتابع نداءه مسترسلاً في حماسته واندفاعه ويقول :

« ان نظام التعليم الاسلامي ، لا بد من ارتفاعه ، فنلوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن بل هي علوم لفظه ، وما تكتسبها اليوم ، علوم معناه ، وانطباقها على العلوم التي أظهرها الله في الأرض وبعد هذا الزمان سيظهر فيه آثار قوله تعالى « ثم ان علينا بيانه » فان البيان المذكور ، في سورة القيامة ، فسر بمعنى اننا نبينه بأسانك فتقرأ كما قرأه جبريل ، وبمعنى انه اذا اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك ، وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والعجائب ، ولا جرم ان ما يتحدد اليوم من العلوم مما ذكر في هذا التفسير ، وما لم يذكره ، من البيان الذي أكد الله انه يظهره لامة الإسلام»

وهكذا ، يمضي الشيخ طنطاوي ، من خلال حماسته بما اقتنع به ، في تحميل كل آية من كل سورة في القرآن الكريم من التأويل والتحليل والعليل ، ما لم ينزل به من عنده الله برهان ولا شاهد ولا دليل .

وإذا كان المتقدمون من العلماء قد انفقوا حياتهم في استنباط المعاني التي تؤدي اليها آيات القرآن الكريم لتحديد العقيدة الاسلامية في توحيد الله عز وجل وبيان أغراض الشريعة في ضبط علاقة الناس بخالقهم من جهة وبانفسهم من جهة ثانية ، فان الشيخ طنطاوي جوهرى قد انفق حياته في تتبع هذه الآيات وتخريج معانيها وفق ما توهمه فيها من اشارات الى الدراسات التي يقوم بها رواد العلوم النظرية والمادية وراء مكاتبهم وتحت أضواء مختبراتهم ومعاملهم ثم هو لا يكتفي بمرض آرائه وتقريرها بصورة متحدية جازمة ، بل انه يتوجه باللائمة على أولئك العلماء السابقين بقوله :

« لماذا الف علماء الإسلام عشرات الألوف من الكتب الاسلامية في علم الفقه .. وعلم الفقه ليس له في القرآن الا آيات قلائل لا تصل مائة وخمسين آية ؟ فلماذا كثر التأليف في علم الفقه ، وقل جدا في علوم الكائنات التي لا تخلو منها سورة ؟ بل هي تبلغ سبعمائة وخمسين آية صريحة ، وهناك آيات أخرى دلالتها تقرب من الصراحة ، فهل يجوز في عقل أو شرع ان يبرع المسلمون في علم آياته القليلة ، ويجهلوا علما ، آياته وهي كثيرة جدا ، ان آباءنا برعوا في الفقه ، فلنبرع نحن الآن في علم الكائنات ، لنتم به لترقي الأمة » .

وإذا نحن أتينا على قراءة كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » نجده يحشد في هذا الكتاب الفريد من نوعه كثيرا من صور النباتات والحيوانات ومناظر



11 آية	علم الفضاء
12 آية	علم الحيوان
21 آية	علم الزراعة
32 آية	علم الاحياء
73 آية	الجغرافية العامة
10 آيات	علم السلالات البشرية
20 آية	علم طبقات الارض
36 آية	علم الكون وتاريخ الاحداث الكونية
	وصف العلم والعلماء والحث على طلب العلم
64 آية	

وجريا على العادة التي يتبعها كثير من الكتاب المسلمين بالاستشهاد على صدق الدعوة الاسلامية وصحة ما جاء في القرآن الكريم من قوانين تشريعية ومفاهيم اجتماعية واخلاقية ، فانا نجد الاستاذ يوسف مروه يستهل كتابه تحت عنوانه : « آراء وافكار حول القرآن » بطائفة غير قليلة من الاقوال التي وردت في كتب غير المسلمين من علماء اوربا وفلاسفتها ونختار من هذه الاقوال قول رينورت :

« يجب ان نعترف بان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة والرياضيات التي انعمت اوربا في القرن العاشر مقتبسة من القرآن » .

« وقول ريتونورت » :

« يجب ان نعترف ان العلوم الطبيعية والفلك والفلسفة مقتبسة من القرآن . فجميع العلماء مدينون له ولعل الاستاذ مروه والذين سبقوه او يحاكونه في الاستنجاد باقوال الغربيين لدعم الايمان بالاسلام والقرآن ، لعله وهؤلاء انما يريدون العمل بالقول المأثور . والفضل ما شهدت به الاعداء . ولسنا ندرى اذا كانت شهادة الاعداء تصلح دالما لان تكون دليلا يمكننا الاحتجاج به فيما ندلي من آراء واجتهادات وتفسيرات وتاويلات بصدد القرآن الكريم بالذات لا سيما اذا كانت هذه الشهادة تريد ان تصنف كلام الله في مداد التقارير العلمية التي كثيرا ما يناقض بعضها بعضا بين حين وآخر بسبب ما يلابس البحوث العلمية عادة من تطورات مع تقدم الافكار البشرية التي تخضع لظروف الحضارة المليئة بالمفاجآت غير المنتظرة .

لطبيعة وتجارب العلوم لكي يؤكد لقائله ان ما يقوله في تفسيره من طرائف وغرائب هو الحقيقة بعينها بناء على ما يقدمه من تلك الصور والمشاهد الحسية .

وعندما تعوزه الصور والمشاهد الحسية فانه يستنجد بما جاء عن افلاطون في فلسفته او بما رده اخوان الصفا في رسائلهم فاذا لم يجد عند افلاطون او اخوان الصفا ما يرتكز عليه في آرائه فانه لا يتورع عن الاعتماد على الارقام العددية التي ينظمها حساب الجمل المعروف .

ومن الغريب حقا ، ان نجد الاستاذ يوسف مروه يعالج موضوعه في كتابه « العلوم الطبيعية في القرآن » بنفس الاسلوب الذي اعتمده الشيخ طنطاوي جوهرى في كتابه « الجواهر في تفسير القرآن » حتى يتكاد يخيل لنا ان كلا الرجلين نهلا من معين واحد وهما يدركان القرآن الكريم ويفسران آياته . فالاستاذ يوسف مروه يؤكد في كتابه المذكور ان « ميزة القرآن الكبرى انه يورد صورة بسيطة واضحة وسهلة للكون والطبيعة تنسجم تماما مع صورة الطبيعة البسيطة التي كشفت عنها الفيزياء الحديثة . »

ومثما فعل الشيخ طنطاوي جوهرى حين احصى في القرآن الكريم حوالي سبعمائة وخمسين آية من الآيات التي تحتوي على مبادئ العلوم الكونية فان الاستاذ يوسف مروه قام بدوره باحصاء هذا النوع من الآيات فقال :

« واذا عبرنا بطريقة كمية عن هذه المواضيع العلمية القرآنية ومقدار ورودها ووجودها في القرآن لتبين لنا اكثر من عشر الآيات القرآنية تتعلق بمواضيع العلوم الطبيعية وعلى وجه التدقيق 670 آية تبحث في شتى المواضيع العلمية موزعة كما يلي :

61 آية	الرياضيات
64 آية	الفيزياء
5 آيات	الذرة
9 آيات	الكيمياء
62 آية	النسبية
100 آية	الفلك
20 آية	المناخيات
14 آية	الماليات
57 آية	الرياضيات

وعندما وصل الاستاذ مروه الى آخر هذا  
الفصل اعلن قائلا :

« وانني في محاولتي هذه سأقتصر على اهم  
واخطر مواضع العلم الحديث وهي الذرة والفضاء  
والنسبية في الباطني لنفي التنافس بين العلم والدين».

ولم ينس الاستاذ مروه ، وهو في ذرة حماسه  
لابتات الانسجام التام بين العلوم الطبيعية وبين  
معاني الايات القرآنية، لم ينس ان يشير الى آخرين من  
العلماء المسلمين الذين عالجوا بدقة وتفصيل مدى  
انطباق وتوافق هذه الايات او بعضها مع مواضيع العلم  
الحديث وذكر منهم الاساتذة احمد امين واحمد  
محمود سليمان والشيخ طنطاوي جوهرى ( السدي  
تناولناه في حديثنا هذا من قبل ) وكذلك الدكتور  
احمد زكي في كتابه « مع الله في السماء »

واذا كان الاستاذ مروه قد اختار لمواجهة  
التحديات المصرية الحديثة للاسلام بالكشف عن  
المعطيات العلمية التي فصلت بها آيات القراءن الكريم  
فان الاسلوب الذي التزمه في كتابه للتعبير عن هذه  
المواجهة قد تجاوز من غير شك الاغراض التي ارادها  
الله في هذه الايات حتى انتهى به الامر اخيرا الى انتزاع  
القرآن الكريم من حدود مقاصده التشريعية والتوجيهية  
وحشره حشرا غير طبيعي الى جانب الكتب الوضعية  
التي طوى اصحابها صفحاتها على مبادئ نظرية تخضع  
في طبيعتها لقوانين العقل البشري هذا العقل الذي  
هو مستعد دائما وابدا ، لان يرفض اليوم ما قبله  
بالامس ، وان ينفي في الغد ما اثبتته اليوم وهكذا تبعا  
لما يعرض له من ظواهر الاشياء التي يعالجها وهو في  
طريقه الى الحقيقة العلمية المطلقة التي يبشر بها  
الانسان في مسيرته الحضارية غير المحدودة في هذه  
الحياة .

وان من يعنى قراءة المقدمة التي استهل بها  
الاستاذ يوسف مروه كتابه لا بد انه يلاحظ بان الكاتب  
الفاضل ، كان شديد الحرص على تأكيد دور القراءن  
الكريم في حث المسلمين على اعتماد العقل والتفكير  
واحصى 64 آية من آياته تحت عنوان « وصف العلم  
والعلماء والحث على طلب العلم » ولم يكتف بذلك بل  
انه اختار من آثار الرحوم الشيخ مصطفى الغلاييني ما  
كتبه من نحو اكثر من ثلث قرن حول الدين والعلم  
وجعله في مطلع كتابه وقال : « اهجبت بدقة وعمق  
بعثه ورايت من الواجب ان انقل للقارئ بعض ما كتبه

على اننا نرى بانه لا يجوز لنا حمل آراء الاستاذ  
مروه وامثاله من الكتاب والعلماء المسلمين على محمل  
التنطع في جر آيات القراءن الكريم الى ساحة الابحاث  
العلمية البحت بدافع من الفضول والرغبة في التجديد  
بما لا طائل منه لصالح القراءن واهدافه الدينية  
والدينيوية . بل نحن نرى ان ما يذهب اليه الاستاذ مروه  
واحزابه في هذا الصدد ، انما هو في الواقع ، رد  
فعل عفوي لمواجهة التحديات العنيفة التي تفرضها  
الافكار المبهورة بما بلغته الحضارة الانسانية من تقدم  
وتطور وازدهار في هذا العصر . كما انه يعتبر بمثابة  
جواب غير مباشر على الشكوك التي تراود بعض  
الافهام السقيمة التي اقلت على كاهل الدين الاسلامي  
وزر ما يعانيه المسلمون اليوم من مظاهر التقصير عن  
ادراك شأو الحضارة الغربية في مستواها العلمي  
الرفيع .

وها هو الاستاذ يوسف مروه يعلن في اوائل  
الفصل الثامن من كتابه الذي نحن بصدده :

« ان الغاية الرئيسية من هذه الفصول المتواضعة  
هي :

اولا : ان نثبت للمؤمنين والمتعصبين ضد طلب  
العلوم الحديثة ، ان القراءن قد دعا وشدد في طلب  
جميع العلوم ( الدينية والطبيعية ) بلا استثناء ، ولذلك  
فاننا ندعو رجال الدين للاطلاع بانفسهم على معطيات  
العلم الحديث لان عدم المامهم بهذه المعطيات قد  
شجع على انتشار الكفر والالحاد بين افراد شباب  
المسلمين المثقف ، ذلك ان بعض رجال الدين الذين  
يجهلون كل شيء عن العلم الحديث ، قد فشلوا فشلا  
ذريعا في توجيه الشباب المسلم الى التمسك بتعاليم  
الدين الحنيف .

ثانيا : ان نثبت للمثقفين المسلمين وغير  
المسلمين الذين يحاربون الدين باسم العلم ، ان هذا  
الدين قائم على العلم وان آيات القراءن وتعاليمه  
تتسجم انسجاما كليا مع معطيات العلم الحديث  
في ادق واخطر مباحثه وتجاربه واكتشافاته من ذرة  
وفضاء ونسبية وغير ذلك من المواضيع العلمية الخطيرة  
ولنؤكد ان العلم الذي دعا القراءن الى طلبه ، والذي  
اقبل عليه المسلمون ، لم يكن العلوم الدينية والشريعة  
فحسب ، بل دعا الى طلب العلوم الطبيعية ايضا وان  
تراث الاسلام في حقل العلوم الطبيعية لهو اكبر دليل  
على ما نقول :

هذا المفقيه العالم كتقديم للموضوع الخطير السدي اعاليه .

وانا لا ندري ، لماذا يصر الاستاذ مروه على اقتناع قارئه بان الاسلام يدعو الى التعلم ويطلب الى الناس احترام العلماء ، مع العلم بان احدا منهم لم يزعم يوما بان هذا الدين يدعو الى الجهل او يطلب الى اتباعه تقدير الاميين . حتى خصوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم واعداء رسالته السماوية ، فانهم لم يعلوا في شنائهم للنبي ورسالته الى حد اتهامها بانها ضد العلم واهله . ولو ان المؤلف حصر جهوده في اقتناع قارئه بموضوعه الاساسي ، وهو توافق الآيات الكريمة مع ما حققه الانسان المعاصر في حقل العلوم الطبيعية ، لو انه حصر جهوده في هذا الموضوع فقط لكان وفر على نفسه وعلى قارئه كثيرا من الوقت والجهد .

ثم ان الاستاذ مروه كما يقول الشيخ موسى الصدر ، ساير ذلك الذي قال في كلمته ان علماء الدين يحمان مسؤولية عدم تفسير النصوص القرآنية والسنة المطهرة . على ضوء العلوم الحديثة . واني من رأى الشيخ المذكور بان الاطلاع على ظروف علماء الدين الاسلامي يكشف انهم بدلو اصعاف امكاناتهم في سبيل هذه الغاية الشريفة وفتحوا عشرات الكتب بهذا الصدد ، حتى ان بعضهم القوا كتباً في خواص العلم التجريبية زائداً على تاليف كتب تحاول عرض النصوص والاحكام الدينية بصورة علمية دقيقة في حقل الفلسفة والاقتصاد والاجتماع والثقافة والحقوق وغيرها .

ونحن نزيد على ما قاله الشيخ الصدر بهذا الصدد بأنه لا يوجد كتاب في طول الأرض وعرسها من بداية التاريخ حتى اليوم ، خدسه أهله من العلماء مثلما خدم علماء المسلمين كتاب الله وان رفوف المكتبات تكاد تنوء بأعمالها من آلاف الكتب التي تتناول القرآن بالدرس والتحقيق والشرح والتفسير وبيسان دوره الجبار في توجيه البشر بمختلف اجناسهم والوانهم الى الحقائق الازلية التي تضمنتها آياته البينات .

ولعلنا نستطيع ان نلفت نظر الاستاذ المؤلف الى الكتاب الذي ألفه سماحة الشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس ولبنان الشمالي تحت عنوان « قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن » لان هذا الكتاب الذي صدر مؤخراً وأعيدت طباعته مراراً ، من شأنه على ما نعتقد ان يقنع الاستاذ مروه بان أهل العلم الصحيح من شيوخ المسلمين لم يبخلوا في أداء واجبههم نحو

القرودان الكريم في العاضن كما ان السلف الصالح من امثالهم وزملائهم ، لم يبخلوا كذلك في الماضي في القيام بهذا الواجب . على ان الفرق بين الاستاذ مروه وبين هؤلاء وأولئك انهم فهموا القرآن الكريم على حقيقته وعلى طبيعته في التشريع التنظيمي والتوجيه الاخلاقي بينما اراد استاذنا الفاضل ان نفهم هذا الدستور الالهي عبر الانفعالات النفسية التي اثارها موجة التحديات المصرية الوافدة علينا من آفاق العالم الغربي .

وهنا ، اجدني اعود مرة اخرى الى تأييد وجهة نظر الشيخ موسى الصدر الذي يقول :

« ان القرآن الكريم كتاب دين وهداية ، وليس من مهمته الابحاث العلمية وذكر القوانين التجريبية ، او وضع أسس للانتاج الثقافي البشري ، فالقرآن الكريم يحاول ان يصنع الانسان الكامل الذي هو مبدا العلوم وغايتها ، ويتقن هذه المحاولة باحكامه الفردية والاجتماعية وتعاليمه المقدسة .

ويقول الشيخ الصدر كذلك :

« واعد لاؤكد ان تناول القرآن لهذه المباحث ( اي العلوم الكونية ) هو استطراد ذكر وامثال ، وليس من مهمة القرآن وضع الاسس ونقل القوانين العلمية ، شان الكتب العلمية .

ونحسب انه لا يمكننا ان نزيد على كلام الشيخ الصدر ما يزيده بياناً وايضاحاً فوق ما هو عليه من البيان والوضوح ، اذ لا يعقل ان يأتي القرآن الكريم ولا اي كتاب سماوي آخر الى الناس بالقواعد المادية والطبيعية التي يقوم عليها الكون لان مهمة الدين ، اي دين ، هي ان يأخذ البشر بالمبادئ التوجيهية التي ترسم امامهم طريق الايمان بالله عز وجل والعمل بما فيه انضباطهم وصلاحتهم في هذه الحياة الدنيا . وليس من مهمة الدين ، في قليل او كثير ، ان يتناول العناصر التي يتألف منها الكون في مادته المجردة الا في حدود المقدار الذي يفسر به المثل للمظة والاعتبار والتأمل .

ومثل الكتب السماوية في هذا ، مثل الدساتير التي يضبطها قادة الامم لضبط الافراد والمجتمعات في نطاق الروابط التي تحكم اواصرهم وتشدهم الى العيش بعضهم مع بعض دون اي تناقض ولا اصطدام .

ورد فعلا في سورة الجمعة حيث يقول تعالى « وتركوك قالما » فكانت تكتة ما يزال الناس يتبادلونها حتى اليوم ...

وبعد ، فلقد اطلنا الكلام في نقد كتاب « العلوم الطبيعية في القرآن » حتى كلنا نوهم قارئنا بأن الاستاذ يوسف مروه قد خرج من جهده في هذا الكتاب على غير طائل ، بينما نحن ، علم الله ، ما لهذا قصدنا وما كنا لنضبط هذا المؤلف العالم حقه من التنويه بالروح الدينية العارمة التي تشيع في كل من سطور كتابه ، بل وفي كل كلمة من كلماته ، وما كنا كذلك ، لنجحد له فضله في الإنكباب على دراسة كتاب الله سورة سورة ، وآية آية ، كي يخرج من هذه الدراسة بهذا الكتاب الغد الذي تضمن من المعلومات القيمة ما يدل على الثقافة العلمية الغزيرة التي يتمتع بها مؤلفه لا سيما في حقول الفيزياء وما إليها من نظريات حديثة مما يجعله في نظرنا ونظر كل منصف مفخرة شباب العرب والاسلام في هذا العصر ، بل نحن خرجنا بمد دراسة كتابه ، على قناعة وثيقة بأن هذا الشاب النابغة يستحق ان يوضع اسمه بين أسماء فطاحل العلماء المسلمين الذين اضافوا لثرائنا القومي صفحة مشرفة ليس في تاريخ العرب والاسلام وحسب بل في تاريخ الفكر الانساني قاطبة . وانه جدير بامتنا ان تباهل بمكانته العامية وان تفاخر بذهنه المتفتح أكثر الامم تقدا وابعدها شاوا في مضمار الحضارة والتطور والازدهار .

وإذا كان لنا ما نختم به هذا الحديث ، فإننا نختمه بالتمني على المسؤولين العرب ، بأن يفيدوا من مواهب الاستاذ مروه وكفائاته في علوم الذرة والفيزياء والكيمياء . هذه العلوم التي أصبحت اليوم ، ميدانا تتزاحم فيه الامم الحية لاحتراق قصب السبق في خدمة اغراضها القومية وتحقيق انتصاراتها العلمية من أجل مستقبل افضل للمجتمع الانساني والحضارة العالمية .

وان الطريقة التي اخذ بها الاستاذ يوسف مروه في تفسير القرآن وتاويل آياته وفق النظريات العلمية الحديثة يمكننا ان نقول فيها ما سبق ان قاله في امثاله غيرنا من جهاذة العلماء المسلمين امثال الشيخ رشيد رضا الذي نجده ، في مقدمة تفسيره «اللمعان» يعني على من تآثروا في تفسيرهم بالتزعة العلمية المادية . وان الشيخ رشيد قد نعا على الفخر الرازي ما اورده في تفسيره من العلوم الحادثة في الملة ، واعتبر ان هذا العمل من شأنه ان يصرف الانسان عن القرآن وهديه ، كما توجه بمثل هذا اللوم على الذين قلدوا الفخر الرازي في طريقتة من المفسرين المعاصرين . فلقد قال .. وقد زاد الفخر الرازي صارخا آخر عن القرآن هو ما بورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده ، كاهيئة الفلكية اليونانية وغيرها ، وقلده بعض المعاصرين ( ويقصد الشيخ طنطاوي جوهرى ) بايراد مثل هذا من علوم العصر وفنونه الكثيرة الواسعة فهو يذكر فيما يسميه تفسير الآية ، فصولا طويلة بمناسبة كلمة مفردة ، كالسما والارض من علوم الفلك والنبات والحيوان ، تصد القارىء مما انزل الله لاجله القرآن .

وبمناسبة الكلام عن جنوح بعض المفسرين الى الاستطراد في تاويل بعض آيات القرآن الكريم على غير مقاصدها الاخلاقية والتشريعة . فاننا لا نرى باسا من ايراد قصة ذلك المستشرق الذي اراد ان يياسط الامام الشيخ محمد عبده فقال له : انتم معشر المسلمين تزعمون ان القرآن يحتوي على كل شيء من العلوم والاحداث كما جاء في الآية 38 من سورة الانعام: « ما فرطنا في الكتاب من شيء » فهل ورد في القرآن ذكر لاسم شركة « كوك » الانكليزية للسفريات . فما كان من الاستاذ الامام الا ان اجابه ، على سبيل المباشرة ، لذلك فورا اجل فان اسم هذه الشركة

# الإعداد العلمي في الوطن العربي

أصدر المؤتمر الثقافي العربي الثامن الذي انعقد بالقاهرة بين 20 و 30 ديسمبر ( كانون أول ) 1969 توصيات في موضوع اعداد المعلمين في الوطن العربي جاء فيه :

## « التوصية الأولى »

اللغة العربية لغة العلم في التعليم العالي :

شأن معرفة العلمية والحضارية ، وكان لها اثرها الواضح في النهضة العلمية الاوربية .

واعتمادا على طبيعة اللغة العربية وسعتها ومرونتها وقدرتها على التطور والاستيعاب والتعبير من العلم الحديث وتطبيقاته ، وقد تمثل ذلك في التجربة الرائدة التي نهضت بعينها الجامعة السورية خلال نصف قرن بالتدريس والتأليف في الكليات العلمية العملية باللغة العربية ، والتي تتطلب من الجامعات العربية الأخرى الإسراع الى التعاون والدمج والمساندة.

ومع الاعتراف بالصعاب الحالية التي تمتعرض سبيل استعمال اللغة العربية لغة تدريس وبحث علمي في الكليات الجامعية والمعاهد ، والتي تستدعي :

- 1 - اعداد هيئة التدريس .
- 2 - ترجمة المصطلحات وتعميها وتوحيدها .
- 3 - استكمال النقص في المراجع والصادر العلمية .

وهي الصعاب التي أمكن التغلب عليها عملا في مراحل التعليم العام وفي كليات الحقوق وفي الدراسات الاجتماعية والنفسية ، التي أصبح التدريس فيها منذ زمن باللغة العربية في كثير من البلاد العربية أمرا واقعا وحقيقة مخررة ، بعد ان كان التدريس فيها

لما كانت اللغة القومية لكل امة هي الوعاء الفكري للمواطن ، اذ انها اداة التفكير كما انها وسيلة التعبير. وتحقيا للاهداف العلمية والتربوية لوضع المادة العلمية في متناول ادراك الطالب وفهمه دون هوائق لغوية خارجية تزيد من سموية المادة وتميل على الابطاء في استيعابها .

وايمانا بأن تأصيل العلم والتفكير العلمي لدى اية امة يتطلب استعمال لغتها القومية في كل من التدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة .

وادراكا ان استعمال اللغة القومية في التدريس والبحث العلمي يزيد من ارتباط العلماء بشعوبهم ومن ارتباط العلم وتطبيقاته بقضايا وطنهم وحاجات أمتهم ومتطلباتها ، ويساعد على الاحتفاظ بهم والحد من هجرتهم .

وتقريبا للحقيقة التاريخية المعروفة ان اللغة العربية وسعت في عصور ازدهارها جميع جوانب

بلغات اجنبية ، وكانت الافتراضات على تعريبها والصعاب امام ذلك هي الافتراضات والصعاب نفسها التي تثار الآن في مجال استعمال اللغة العربية للتدريس والبحث العلميين .

ومع التأكيد على ضرورة بذل مزيد من العناية باللغات الاجنبية لتكون نافذة تطل على سير العلم في البلاد الاخرى ووسيلة لمتابعة التطور العلمي في العالم.

فان المؤتمر يوصي بما يلي :

1 - المبادرة الى استعمال اللغة العربية لغة للتدريس والبحث العلمي في جميع مراحل الدراسة بالكليات والمعاهد العلمية والتقنية في البلاد العربية ، على ان يصدر في كل بلد عربي تشريع ملزم بذلك ، وان يكون البدء بتنفيذه في السنة الاولى ( الصف الاول ) بظك الكليات والمعاهد في بداية العام الدراسي التالي مباشرة لصدور التشريع ، وان ينص على ان يكون التنفيذ في السنوات ( الصفوف ) التالية متتابعاً عاماً بعد آخر دون فواصل زمنية .

2 - انشاء مركز لترجمة امهات الكتب والمراجع اللازمة لتعريب التدريس في الكليات والمعاهد العلمية .

3 - اعادة تاسيس اتحاد الجامعات اللغوية العربية الذي سبق ان وافق مجلس جامعة الدول العربية على تاسيسه وعلى نظامه الاساسي ، وحث مجلس جامعة الدول العربية على ان يرصد له اعتماداً مالياً كافياً يمكنه من القيام برسائلته العلمية والقومية الجليلة في مجالي التعريب والترجمة العلمية . على ان يتطور هذا الاتحاد في المستقبل ليصبح مجعماً لغوياً عربياً مركزياً وتصبح الجامعات الاخرى في البلاد العربية فروماً له .

4 - ارتباط المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط باتحاد الجامعات وفقاً لترتيب خاص يمنع الازدواج في العمل والتكرار في الجهد .

5 - حث الحكومات العربية التي لا توجد في بلادها مجامع على تاسيس مجامع لغوية ، تكون رسالتها العمل في نطاق التطور نفسه على قيام نهضة لغوية فكرية بشتى الوسائل وتكون في

الوقت نفسه شعباً لاتحاد المجامع ودعامة له في عمله .

6 - تاسيس الجمعيات العلمية لمختلف فروع العلم في كل بلد عربي لتكون عوناً للجامعات والمجامع واتحاداتها والاتحاد العلمي العربي في النهوض بالتعريب والترجمة العلمية .

7 - بذل مزيد من العناية باللغات الاجنبية في التعليم الاعدادي والثانوي والجامعي ، والعمل على رفع مستواها للاستفادة بها في نشر البحوث العلمية العربية على الصعيد العالمي .

### « التوصية الثانية »

#### السياسة العامة للاعداد العلمية :

لما كان المؤتمر يدرك ان المعركة التي تخوضها الامة العربية هي معركة حضارية في المقام الاول وان الامة العربية في حاجة الى تقدم حضاري يستفيد من العلم مضموناً واسلوباً في تدعيم الجبهة العربية ، ولما كان المؤتمر يرى ان التفاعل بين الحركة العلمية والتطور الصناعي والانتاجي امر ضروري للنهوض بها جميعاً ، فانه يوصي بما يلي :

1 - وضع الخطط طويلة الامد لتربية الجماهير العربية تربية علمية اصيلة تقوم على الايمان بالاسلوب العلمي في التفكير والوعي بدور العلم في تطوير الحياة الانسانية ، وباهمية العمل العلمي في حل المشكلات .

2 - ان تقوم اجهزة التعليم والاعلام بالعمل على ازالة العراقيل التي تعوق الحركة العلمية حتى يفسح لها مجال العمل على رفع مستوع الثقافة العلمية بين الجماهير واشاعة الفكر العلمي وتاصيل النظرة العلمية للامور وتربية الاجيال الصاعدة تربية علمية شاملة .

3 - اعتبار عملية الاعداد العلمي عملية متكاملة تبدأ مع الطفل وتستمر حتى الدراسات العليا وان هذا التكامل يقتضي الربط بين مراحل الاعداد المختلفة وتحديد مستوياتها في كل مرحلة ، ولذلك فالمؤتمر يوصي بانشاء هيئات او مجالس دائمة تكون مسؤولة عن تطوير خطط ومناهج الدراسات العلمية في المراحل المختلفة ورسم

سياسة شاملة للاعداد العلمي ، والقيام بالدراسات والابحاث الخاصة بتحديد نومييات الاعداد ومستوياته .

4 - توثيق العلاقات بين المؤسسات العلمية ومراكز الانتاج والخدمات بحيث يتم تبادل الخبرات العلمية فيما بينها والعمل على حل المشكلات التي تواجهها تلك المراكز ، واتاحة الفرصة لتدريب الطلاب العلميين بصورة دورية في مراكز الانتاج والخدمات وانتقاء موضوعات البحث من المشكلات التي تطرحها هذه المؤسسات والمراكز .

#### « التوصية الثالثة »

#### الاعداد العلمي في التعليم العام :

يقدر المؤتمر الجهود التي تبذلها جميع الدول العربية في مجال تدريس المواد العلمية في التعليم العام ، ويرى وجوب اعطاء مزيد من الاهتمام لتحسين نوعية الاعداد العلمي في جميع مدارس التعليم العام نظرا لاهميته سواء لاعداد المواطن القادر على مواجهة مشكلات مجتمعه والمساهمة في حلها او لامداد العلميين المتخصصين .

ولذلك يوصى المؤتمر بما يلي :

1 - العناية اثناء تدريس العلوم في المرحلة الاولى بالدراسات التطبيقية على الطبيعة ، أي ان تقرر عملية التعليم بالشاهدة ما أمكن ذلك وان تنمي المبادرة الفردية واكتساب بعض المهارات العلمية بحيث يمكن تنمية الشخصية العلمية المزودة ببعض المعارف العلمية الاساسية .

2 - اعادة صياغة المناهج العلمية بحيث تهتم بأساسيات المعرفة العلمية دون ازديادها بالتفصيلات على ان تجري عملية متابعة وتقييم لهذه المناهج باستمرار في ما تسفر عنه من نتائج وما يستجد من احتياجات تمثيا مع التطور العلمي الحديث .

3 - تطوير أساليب التدريس ، وهذا يرتبط باعداد المعلم ، ولذلك فالمؤتمر يوصي بالاهتمام باعداد المدرس وتوفير الجو والظروف المناسبة لكي يقوم بدوره على احسن وجه ، وذلك عن طريق تحسين ظروفه المادية والمعنوية وتزويده

بوسائل التدريس اللازمة ومدته باستمرار بالجديد في العلم وفي طرق التدريس وتنظيم السدورات التدريبية والتجديدية المناسبة .

4 - الاهتمام بمزج الاعداد العلمي بالاعداد الانساني والقيومي ، وبوجه خاص اثناء احساس الطالب بالانتماء للوطن وادراكه لمسؤولياته تجاهه .

5 - العناية بتدريس اللغة العربية باعتبار ان اللغة القومية هي الوسيلة المثلى للتعبير عن الافكار العلمية وتبادلها بين اجزاء الوطن العربي . كما يؤكد ضرورة العناية بتدريس اللغات الاجنبية لانها وسيلة هامة من وسائل تحصيل العلم .

6 - العناية بالمدارس المهنية وزيادة عددها وتنوعها طبقا لمتطلبات خطط التنمية على ان يرتفع مستوى الدراسة العلمية النظرية في هذه المدارس الى ما لا يقل عن مستواه في المدارس العامة على ان لا يكون ذلك على حساب النواحي المهنية مع اتاحة الفرصة للمتخرج في هذه المدارس بمواصلة دراسته في التعليم التقني العالي اذا كان صالحا لذلك ، على ان يراعى في قبول الطلاب في هذه المدارس الميل والكفاءة .

#### « التوصية الرابعة »

#### الاعداد العلمي في المرحلة الجامعية :

يقدر المؤتمر الجهد الذي تبذله جميع الدول العربية في التوسع في التعليم الجامعي العالي ، ويرى ان الوقت قد حان للاهتمام بنوعية الاعداد في هذه المرحلة بما يلي باحتياجات الامة العربية . ولهذا يوصى المؤتمر بما يأتي :

1 - ان تحدد كل دولة عربية اهداف التعليم الجامعي بصورة واضحة في ضوء احتياجاتها المحلية من علميين على مختلف انواعهم ، اخذة في الاعتبار الحاجات القومية على نطاق الوطن العربي .

2 - ولما كان تحديد التخصصات وانواعها ومجالاتها امرا يرتبط بخطط التنمية الوطنية والقومية ، فان المؤتمر يوصي بانه اذا لم تتوافر خطط للتنمية طويلة الامد فيفضل ان تكون التخصصات مريضة تتيح للمتخرجين في الجامعة العمل في مجالات متنوعة بحيث يستطيعون سد حاجات

مختلف القطاعات والمشروعات التي يتقرر انشاؤها في المستقبل .

3 - تجنب الازدواج بين الاعداد الاكاديمي والاعداد التطبيقي ومراعاة الاحتياجات الفعلية للمجتمع

5 - زيادة الاهتمام بالعلوم الانسانية والاجتماعية في الكليات العملية العملية .

6 - لما كان توفير المختبرات والاجهزة العلمية والمكتبات يحتاج الى نفقات كبيرة قد لا تتحملها الطاقات المحلية ، فان المؤتمر يوصي بالتنسيق بين مراكز البحث والجامعات بحيث يستفاد من الامكانيات الموجودة وذلك بانشاء معامل وبنكبات مركزية وتوفير خدمات التوثيق العلمي. وفي هذا المجال يوصي المؤتمر بان تتبنى البلاد العربية مشروع انشاء مؤسسة عربية لتصنيع وصيانة ادوات واجهزة المختبرات والوسائل التعليمية .

7 - توفير اعضاء هيئات التدريس اللازمين للقيام باعباء التدريس بحيث تصل نسبة هيئة التدريس الى الطلاب في اقرب وقت ممكن الى النسب المقبولة عالميا .

8 - ان تتحمل الجامعات والمعاهد العليا مسؤولياتها في متابعة النمو العلمي للخريجين عن طريق البرامج التدريبية ووسائل النشر والاعلام ومراكز خدمة الخريجين .

#### « التوصية الخامسة »

#### اعداد الباحثين العلميين :

ان المؤتمر اذ يدرك ان اية نهضة علمية اصيلية تقوم اساسا على اكتاف مجموعة من الباحثين في المجالات المختلفة ، تادرين على تنشيط حركة البحث العلمي وربطها بالحركة الاجتماعية والاقتصادية ، فانه يوجه النظر الى ضرورة الاهتمام باعدادهم وتوفير الظروف الملائمة لهم ، وفي هذا المجال يوصي بما يلي :

1 - لما كانت اساليب البحث العلمي واهدافه في الجامعات قد تختلف عنها في مؤسسات البحث العلمي الاخرى والتي ينبغي ان يرتبط العمل فيها باحتياجات تنمية المجتمع ، فان المؤتمر يوصي عند تقويم اداء العلميين العاملين في مجالات

البحوث التطويرية والتطبيقية بالاعتماد على الانتاج العلمي بدلا من الاقتصار على اعداد رسائل الماجستير والدكتوراه .

2 - لما كان خريج الجامعة يحتاج قبل قيامه بالبحث الى تدريب خاص يكسبه المهارات الاساسية اللازمة للبحث فان المؤتمر يوصي بانشاء دراسات خاصة للخريجين الذين يدخلون ميدان البحث العلمي وتقوم مهلم فيها للتعرف على صلاحياتهم لمتابعة البحث العلمي .

3 - تشجيع الربط بين بحوث الماجستير والدكتوراه وغيرها من البحوث الجامعية وبين احتياجات المجتمع ما أمكن ذلك .

4 - يرى المؤتمر ان هناك حاجة الى مزيد من الاهتمام بالدبلومات المهنية التطبيقية بحيث تتنوع وتأخذ صورة ذات طبيعة تطبيقية يقصد بها اعداد المتخصصين المهنيين اعدادا علميا وعمليا للعمل في فروع التخصص التي يحتاجها المجتمع .

5 - تشجيع الباحثين على متابعة تكوينهم العلمي بالانتساب الى دراسات ودورات تدريبية لرفع مستواهم بشكل مستمر .

6 - الاهتمام باعداد وتدريب اخصائين في التوثيق والنشر العلمي .

7 - الاهتمام باعداد وتدريب اخصائين في اعمال الادارة العلمية والتخطيط العلمي .

#### « التوصية السادسة »

#### اعداد الفنيين والمعاونين في البحث العلمي :

لاحظ المؤتمر ان مرافق المؤسسات العلمية والانتاجية لاسيما المراكز الصناعية في الوطن العربي تعاني نقصا كبيرا في الفنيين ، مع ان العمل في هذه المرافق يستند الى خدمات الفنيين في عمليات التنفيذ بقدر ما يحتاج الى المهندسين والعلميين من ذوي الاختصاصات العالية في عمليات التصميم والبحث . لذلك يوصي المؤتمر بما يلي :

1 - الاهتمام باعداد ورعاية الفنيين والمعاونين في شؤون البحث العلمي في قطاعاته المختلفة بخامة الفئات التالية :



١ - القيد التي تفرض في بعض البلدان العربية على حرية الملمين في التفكير والعمل وعدم الاستقرار في مجالات العمل العلمي وهيئاته : مما يضر باستمرارية العمل .

كما يوصي المؤتمر كل دولة عربية بالعمل على الاحتفاظ بالملمين داخل الوطن العربي وعلى حسن الافة من طاقاتهم ، وعلى ترغيب من هاجر منهم في العودة ، وذلك بتوفير المناخ العلمي الملائم والمشجع من طريق اتخاذ الاجراءات التالية :

١ - توفير الدخل المادي الكافي الذي يضمن تكريس كل جهود الملمين لواجباتهم العلمية مع وضع الحوافز المادية والمعنوية لهم .

٢ - رفع القيد على تحركات الملمين داخل الوطن العربي للاغراض العلمية واطاء العلماء العرب الالوية في شغل الشواغر في الوطن العربي ضمن برنامج المنظمات الدولية .

٣ - انشاء مركز عربي لجمع بيانات عن احتياجات الوطن العربي من الملمين في حقول التخصص المختلفة وكذلك جمع بيانات عن القوى العلمية العربية العاملة في الوطن العربي وخارجه ، وذلك من اجل التنسيق بين احتياجات الدول العربية المختلفة بما يضمن توزيعا متكاملا للملمين واستخدام اكبر عدد ممكن منهم داخل الوطن العربي .

٤ - مبادرة الدول العربية الى وضع خطط مشتركة تحدد فيها مشكلاتها العلمية واحتياجاتها من الملمين وترصد لها الامكانيات اللازمة لتنفيذ الخطة العربية المشتركة وحل ما يعترضها من عقبات .

٥ - متابعة القيام بدراسات ميدانية تهدف الى التعرف على المشكلات التي واجهها ويواجهها الملمون العرب داخل الوطن العربي ومسببات هجرتهم .

٦ - اعادة النظر في مؤهلات الملمين في مختلف الحقول الانمائية في البلاد العربية وشغل تلك الحقول بذوي المؤهلات العلمية التسادرة المتخصصة .

١ - المختصون بصيانة واصلاح الاجهزة العلمية .

ب - المختصون باجهزة القياس الدقيقة والتحليلات ومختلف التحضيرات العلمية

ج - الفنيون المدربون على الاجهزة الالكترونية واجهزة الصناعات الكيميائية والتمدينبة وغيرها .

د - الفنيون في اعمال التصميم والتجارب نصف الصناعية .

هـ - الفنيون في اعمال الرسم والتصوير العلمي .

و - الفنيون اللازمون للمعاونة في اعمال المكتبات والتوثيق والنشر العلمي .

ويجب ان يكون اعداد الفنيين متناسبا مع متطلبات العمل .

٢ - تشجيع الفنيين ماديا ومعنويا وذلك بتحسين اوضاعهم المادية وتنمية الشعور بان عمل الفنيين لا يقل اهمية عن الامال العلمية الاخرى .

٣ - ان يكون المشرفون على اعداد وتدريب الفنيين من مدرسين ومدرسين من ذوي الخبرة الفنيين المترسين بمثل هذه الامال .

### « التوصية السابعة »

هجرة الملمين ووسائل الاحتفاظ بهم :

يوصي المؤتمر بان تراجع كل دولة عربية الظروف التي تدفع الملمين العرب الى الهجرة مثل :

— ضعف التصميم المادي للعمل العلمي وقلة دخل الملمين التي تصرفهم عن تكريس جهودهم للعمل العلمي المنتج .

— عزلة الملمين بعضهم عن بعض على الصميدين المحلي والعربي وعدم اشتراكهم في وضع خطط التنمية في بلادهم .

— التركيب البيروقراطي لكثير من المؤسسات العلمية وطرق التوظيف فيها والتي أدت الى وضع كثير من غير المناسبين في مسؤوليات حساسة في ميدان العمل العلمي ومن ثم سلبية كثير من الملمين العائدين بعد تدريبهم وتأهيلهم في الخارج .

7 - مبادرة الهيئات العلمية الى خلق مدارس البحث العلمي المرتبطة باحتياجات المجتمع كوسيلة لربط العلمين بجمعهم وللحفاظ على العلمين الذين يعودون الى هذه الهيئات من الخارج ولتوضيح الدور الذي يجب ان يلعبه الممثل العلمي في بناء المجتمع العربي .

8 - انشاء صندوق عربي يتولى تنفيذ برنامج لتبادل العلماء العرب داخل الوطن العربي من جهة وبين المؤسسات العلمية العربية ونظيراتها في الدول المتقدمة من جهة اخرى .

9 - اتخاذ الاجراءات الضرورية للحد ما يمكن من خروج الطلبة العرب للدراسة الجامعية الاولى الى الجامعات الاجنبية خشية انصارهم في المجتمعات الاجنبية التي يذهبون اليها .

#### « التوصية الثامنة »

#### مسح الامكانيات العلمية :

يوصي المؤتمر ان تقوم كل دولة عربية بالمعمل على تحقيق مسح شامل وكامل للمؤسسات البحث فيها وذلك من حيث تركيبها واماكنها وتجهيزاتها وقدراتها والعاملين فيها (مؤهلاتهم وخبراتهم) وتمويلها والجهات التي تنبمها ومواقع اختصاصاتها ونشاطها وذلك تمهيدا للاستفادة من امكانياتها في خطط الانماء والبحث العلمي والاستكمال نواتمها وتمهيدا لاستحداث وحدات جديدة في أماكن وميادين تميز على ضوء الحاجات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، كما يوصي بان يكون جمع هذه البيانات والاحصاءات مستمرا ، وان تعمل ادارات الامانة العامة للجامعة العربية ( الادارة الثقافية - قسم العلوم والتكنولوجيا وغيرها) على جمع هذه البيانات عن الدول العربية وتصنيفها ونشرها .

#### « التوصية التاسعة »

#### تنظيم البحث العلمي على النطاق المحلي :

يوصي المؤتمر بان تمتد كل دولة عربية الى انشاء هيئة مركزية على اعلى مستوى تتمتع بالاستقلال الاداري والمالي وتكون مهمتها وضع السياسة العلمية الوطنية وتوجيه البحث العلمي وتنسيقه وتشجيعه

واعداد الباحثين والعلمين على ضوء خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

ويوصي المؤتمر بان تنظم البلاد العربية مؤسسات البحث العلمي ليها على ضوء المسح الذي تجريه ، وهي تؤكد ضرورة وضع خطة علمية تستهدف التنسيق بين مختلف مراكز البحث بحيث تستفيد الى اقصى حد من الامكانيات العلمية المتوفرة وتوجهها الى تناول مواضيع البحث ذات الاهمية بالنسبة لحسن استغلال الموارد الطبيعية والتنمية الاقتصادية والاجتماعية . كما يوصي المؤتمر بان تتوخى خطة انشاء وتدميم مراكز البحث تمكين هذه المراكز من تحقيق دورها في ميادين البحث الاساسي والتطبيقي والتكنولوجي وفي اعداد العلمين والباحثين الرئيسيين والمساعدين على السواء . وان يتم توزيع البحوث على المؤسسات العلمية بحيث تاتي متكاملة في خدمة المصلحة الانمائية العامة وبحيث تتجنب التكرار والازدواجية مع التأكيد على اهمية دور الجامعات في البحث العلمي ، وبحيث يقوم البحث العلمي بسدوره كجسر لنقل التكنولوجيا الحديثة الى البلاد العربية .

#### « التوصية العاشرة »

#### تنظيم البحث العلمي على نطاق الوطن العربي:

ان التنسيق بين جهود الدول العربية في المجال العلمي ضرورة ملحة لتحقيق اهدافها التومية ومبور نجوة التخلف، وبخاصة ان المشكلات التي تواجهها هذه الدول في حقول التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتشابه موضوعيا ، مما يحتم عليها ان تتعاون وان تنسيق جهودها لحانا بالتقدم العلمي والتكنولوجي المعاصر ، وبخاصة ان التحديات الراهنة والمقبلة التي تواجه وستواجه الامة العربية تد وصلت الى مرحلة بالغة الخطورة ، وان عناصر التقدم العلمي من موارد بشرية وامكانيات مادية وطبيعية ليست موزعة بشكل متوازن على رقعة الوطن العربي .

لذلك يؤكد المؤتمر اهمية التعاون العربي في حقل البحث العلمي ، وضرورة التنسيق والتوثيق وتبادل الخبرات والمعرفة ، ويوصي بما يلي :

اولا - ان يبادر العلميون في مختلف الحقول اينسا وجدوا في الوطن العربي الى انشاء جمعيات علمية عربية تضم الاختصاصيين في الحقول العلمية

التراصة والتداخلة في جميع البلدان العربية  
وعلى سبيل المثال تنشأ الجمعيات الآتية :

أ - جمعية العلوم الرياضية والفيزيائية .

ب - جمعية العلوم البيولوجية .

ج - جمعية العلوم الكيميائية والبيولوجية .

د - جمعية العلوم الهندسية .

هـ - جمعية العلوم الطبية .

و - جمعية العلوم الزراعية .

ز - جمعية العلوم الاجتماعية .

ح - جمعية العلوم الادارية .

ط - جمعية العلوم الاقتصادية .

على ان تتضمن مهام هذه الجمعيات اصدار دوريات علمية لنشر البحوث على مستوى الوطن العربي وعقد المؤتمرات العلمية الدورية

ثانياً - ان يقوم اتحاد الجامعات العربية - وهو اطار مناسب للتنسيق العلمي بين الجامعات العربية - بدور اكثر فعالية في هذا المجال . ويحتاج ذلك الى :

1 - مزيد من الدعم المادي من الجامعات والحكومات العربية .

2 - توسيع قاعدة المؤتمر العام لاتحاد الجامعات ليشمل ممثلين لاهضاء هيئة التدريس من غير اعضاء مجالس الجامعات ومن مختلف التخصصات العلمية ، وعلى ان يعقد المؤتمر العام للاتحاد مرة كل عام .

3 - تنشيط عمل لجان الاتحاد الفنية واشراك اكبر عدد ممكن من اعضاء هيئة التدريس الرافعين والقادرين على المساهمة فيها .

4 - عقد مؤتمرات دورية تمثل اتسام التخصص في كل جامعة لتنسيق شؤونها العلمية والتعليمية .

5 - عقد حلقات دراسية لبحث المشكلات التي تواجه التعليم الجامعي في الوطن العربي مع الاهتمام بوجه خاص في المراحل القادمة بالوضوعات الآتية :

أ - مركز الاتسام العلمية وخصوصا البحث منها نظرا لتداخل لمروع العلم المتقاربة ولتجنب بعثرة الامكانيات .

ب - التنسيق فيما بين الاتسام التخصصية في الجامعات المختلفة لتوزيع اهتماماتها في مجال البحوث والدراسات العليا وتوزيعها بحيث تصبح متكاملة ومتفاعلة .

ج - اعداد ونشر دليل سنوي لاهضاء هيئة التدريس والعاملين في الجامعات العربية في مختلف حقول التدريس .

د - التنسيق بين الجامعات العربية في مجال المشاركة العربية في المؤتمرات العلمية الدولية وتنظيم الاستفادة منها .

هـ - اعداد دراسة تستهدف وضع مبادئ سليمة لتكلفة تعليم وتأهيل الطالب في مراحل التعليم العام والتعليم الجامعي .

ثالثاً - انشاء مجلس علمي عربي يضم البلاد العربية وتكون من بين مهامه الامور الآتية :

1 - انشاء وادارة مراكز البحوث الاتلمية .

2 - انشاء وادارة مراكز الخدمات العلمية الاتلمية .

3 - انشاء وادارة مراكز اتلمية لتدريب الفنيين العلميين .

4 - انشاء وادارة مركز للتوثيق العلمي .

5 - انشاء مركز يتابع تطور الحركة العلمية لدى العدو واستعمال العلم في جميع مجالات حياته .

6 - تميم البحث العلمي عن طريق تقديم المنح للباحثين حينما كانوا في الوطن العربي .

7 - تبسيط العلوم ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية لمختلف فئات الشعب .

ويرى المؤتمر ان يستفيد هذا المجلس ما امكن مما هو متوفر من مؤسسات علمية تقوم الآن في البلدان العربية وذلك اما بتقويتها او بالحاق اتسام للخدمات والبحث فيها .

ويرى المؤتمر كمدخل لتحقيق ذلك ان تبادر الامة العامة لجامعة الدول العربية ( قسم العلوم

والتكنولوجيا ) الردموة عدد من العلماء الاكفيااء في الوطن العربي لوضع مشروع نظام هذا المجلس وعرضه على مجلس الجامعة في اول اجتماع مقبل له .

### « التوصية الحادية عشرة »

#### التعاون العلمي العربي :

ينوه المؤتمر بأهمية التعاون العربي في مجال البحوث العلمية والمراكز الاتليبية المشتركة ( من امثال مركز النظائر المشعة والمركز الاتليبي العربي لدراسات المناطق الجافة والاراضي القاحلة ومراكز البحوث التي اترها مركز التنمية الصناعية التابع للجامعة العربية ) ، وبالنشاط الذي يقوم على نطاق الوطن العربي وينوه بأهمية « المجلس العربي المشترك للطاقة الذرية » الذي قرر انشاءه مؤتمر القمة الثاني .

ويوصي بأن يكون انشاء مراكز البحوث الاتليبية مرتبطا بموضوعات علمية تهم الوطن العربي والتنمية الاقتصادية فيه .

### « التوصية الثانية عشرة »

#### التوثيق والنشر العلمي :

نظرا لان نتائج البحوث العلمية اصبحت تنشر في العالم في ملايين من التقارير العلمية بمشترات اللغات، فقد اصبح التوثيق العلمي من اهم الامور التي يجب ان تعنى بها مؤسسات البحث العلمي ، ويمتد التوثيق العلمي الكامل اليوم على اجهزة حديثة بالفة النفقة لذلك يوصي المؤتمر بأن تتعاون البلاد العربية على انشاء مركز للتوثيق العلمي يستخدم الوسائل والاجهزة الحديثة ويكون في خدمة البحث العلمي على الصعيد العربي كله .

### « التوصية الثالثة عشرة »

#### تنظيم براءات الاختراع والملكية الصناعية :

يوصي المؤتمر بانشاء وتنظيم جهاز براءات الاختراع في كل دولة عربية، على ان يكون الجهاز ادارة استقبال اسرار التكنولوجيا الرفقة بطلبات براءات الاختراع ، واداة ارسال تلك الوثائق الى مراكز البحث العلمي

والجامعات والمصانع ، واداة متابعة تعميم تطبيق أحدث الاختراعات في الصناعات الرئيسية . على ان تتبع ادارة براءات الاختراع الجهاز العلمي المركزي في الدولة ، وان يتمتع الجهاز بكيان ذاتي . ويتمين ان يتضمن جهاز براءات الاختراع فضلا عن الادارة التقليدية التي تختص بالاجراءات والسجيل ، ادارة تكنولوجية واقتصادية ، وادارة وثائق واعلام ، وادارة ابحاث قانونية وعلاقات دولية .

ويوصي المؤتمر البلاد العربية بالعمل على اعداد فئة من العلماء والقانونيين والاقتصاديين والخصائيين الوثائق والمكتبات تخصص علماء وعلماء في براءات الاختراع والملكية الصناعية .

### « التوصية الرابعة عشرة »

يوصي المؤتمر بالتعاون بين الدول العربية في مجال الملكية الصناعية بتكوين مركز للملكية الصناعية ووثائق براءات الاختراع . ويختص المركز بالعمل على تنسيق تشريعات الملكية الصناعية في الدول العربية وتوجيه حركة التشريع لتحقيق مصالح الدول العربية وحماية حقوق المخترعين العرب كما يختص بالتبام بالابحاث الخاصة بالاتفاقيات الدولية في الملكية الصناعية واعمال وثائق براءات الاختراع ونشر هذه الوثائق .

### « التوصية الخامسة عشرة »

#### تمويل البحث العلمي :

يوصي المؤتمر بأن تخصص كل دولة عربية للبحث العلمي ما لا يقل عن الواحد بالمائة من الدخل القومي العام على ان ترتفع هذه النسبة الى اثنين بالمائة في ظرف ثلاثة اعوام . ويكون توزيع اعتمادات هذه المخصصات مرتبطا بخطة البحث العلمي التسي تنبثق من خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

### « التوصية السادسة عشرة »

#### دور العلم والعلميين في مواجهة التحديات :

لما كان الاعداد العلمي يحتاج الى وحدة تكسر وعمل بين جميع الاجهزة المسؤولة منه ، ولما كان هذا الاعداد يتم ضمن اطار اجتماعي يوجهه نحو

5 - انشاء معاهد تكنولوجية متخصصة او اضافة  
مروع للمعاهد القائمة تختص بالدراسات  
والبحوث ذات الصلة بالعمل العسكري وفي هذا  
المجال ، يوصي المؤتمر الدول العربية التي توجد  
بها نواة لمثل هذه المعاهد ان تضمها في خدمة  
المعلم العربي الشامل بغرض تثبيتها لتحقيق  
اهدافنا القومية .

6 - الاهتمام بايجاد جهاز من العلماء المتخصصين  
ضمن القيادة العسكرية لكل دولة عربية في  
اطار الدفاع المشترك. ويكون هذا الجهاز مسؤولا  
عن تقديم معوناته بشأن وضع العلم واجهزته  
وبحوثه في خدمة العمل العسكري .

7 - تعبئة جميع الطاقات العلمية العربية الموجودة في  
الوطن العربي وخارجه لتوجيهها نحو خدمة  
مطلبات المرحلة الحالية ، وفي هذا المجال يشير  
المؤتمر بصلة خاصة الى توجيه قدرات البحث  
العلمي لانتاج اسلحة مناسبة بموارد متاحة داخل  
الوطن العربي ، هذا الى جانب تدريب ابناء الامة  
العربية على المهارات الحربية والادارية المناسبة.

8 - ينشد المؤتمر اجهزة الاعلام في الوطن العربي  
اعطاء مزيد من الاهتمام لنشر الوعي العسكري  
العلمي حتى يكون جميع المراد الامة العربية  
على مستوى متطلبات المرحلة سواء بالنسبة  
للعمل العسكري المباشر او بالنسبة لوسائل  
الدفاع المدني .

غاياته المرجوة ، ولما كان للعلم دور رئيسي في مواجهة  
مطلبات المرحلة المستمرة مع الامبريالية وقاعدتها  
الصهيونية وهو دور لن يتحقق الا باتخاذ التدابير  
اللازمة على المستوى الوطني وعلى المستوى القومي  
لان المؤتمر يوصي بما يلي :

1 - ضرورة وضع سياسة عامة للاعداد العلمي  
تنبثق من واقع الوطن العربي وتكون على  
مستوى التحديات التي تواجهه عسكريا واقتصاديا  
وحضاريا ، وتحقق متطلباته واحتياجاته في ضوء  
خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية  
والتعبئة العسكرية .

2 - الاسراع باجراء الدراسات الخاصة بالمدو  
وطاقاته وامكانياته وسياساته العلمية والطرق  
التي يتبعها في المجالات السياسية والاقتصادية  
والعسكرية والعلمية والتكنولوجية واجراء  
دراسات من طاقاتها العربية التي يجب حشدتها  
من اجل المواجهة الحالية والمستقبلية مع العدو .  
وفي هذا المجال أيضا يشير المؤتمر الى اهمية  
الاستمارة بملحقين علميين يتم تعيينهم في الدول  
المختلفة لجمع المعلومات العلمية .

3 - تنظيم وتدريب برامج ثقافية عامة وبناهج في  
التعليم العام والجامعي تتناول عدونا وطاقتنا  
وطرق مواجهته والتعريف كذلك بالانجازات  
العربية .

4 - الاهتمام بالدراسات التي تهدف الى رفع مستوى  
العلوم ذات التطبيقات العسكرية في الجامعات  
والمعاهد الفنية العالية .

# النيث في العرس

الرويني

الأستاذ عبدالحق فاضل - الدار البيضاء

العدد من الثلاثة الى العشرة ، فقالوا مثلا : ( سبعة ) رجال ، بدلا من : سبع رجال .

ولا يحق لنا التبادي أكثر من هذا في عرض رأي الباحث المستشرق اعتمادا على الذاكرة بعد هذا الإمد المتداول ، مخافة أن نظلم الرجل فنمزو اليه ما نتوهم انه قاله وهو لم يقله ، أو قاله على نحو آخر . لكننا نذكر أننا حين قرأنا ذلك البحث لم نعتنع بتأويلاته ولو أننا تقبلناه على انه مقال طريف ومحاولة جريئة لتفسير ظاهرة لغوية غريبة ، من زاوية جديدة .

أما بصدد النقطة الاولى فإن الكثير من أسماء الجمادات لا يخضع للقاعدة المذكورة فقد وردت في العربية مؤنثات من الجمادات لا مشابهة لها بالانوثة كالمصا والفأس والذراع ، ومذكرات لا شبه لها بالذكورة كالوادي والغار ، والجب المرادف للبئر المؤنثة .

وأما بصدد النقطة الثانية ماذا اعتبرنا التانيث في بعض الحالات تكريبا للمرأة حيث قيل سبعة رجال فإن الباحث لم يذكر لهما نظن ان اسم العدد يذكر أيضا مع المؤنث - مما يقلل هيئة المرأة ويفل من سطوتها - ليقال ( سبع ) نساء ، بدلا من سبعة نساء . ولعل المستشرق الفاضل قد ذكر ذلك وفسره بطريقة لم نقتنعنا على كل حال .

قرأت منذ أكثر من عشرين عاما - في مطبوع ما ، لعله مجلة غاب عن بالي عنوانها - لمستشرق نسبت اسمها - بحثا شائقا حاول فيه تفسير ظاهرة التانيث في لغتنا بما فيها من غرابة ومفارقات . والذي تستطيع الذاكرة ان تستعيده الآن من ذلك البحث هو التفتان الاساسيتان اللتان عليهما كان مدار الموضوع .

النقطة الاولى قوله ان العرب انثوا من الجمادات ما هو شبيه بالانوثة مما كان مثقوبا أو هيقا أو موطوا أو نحو ذلك ، كالرحي والبئر والأرض . وبوسعنا جريا على هذه النظرية ان نضيف الى ذلك من الجمادات المؤنثة التي تشبه المرأة ما كان ساميا كالسما ، وهاجا كالشمس ، ومقلبا كالريح ، ومحرقا كالجحيم ، ومدبرا كال حرب ..

والنقطة الثانية قوله ان العرب كانوا قد مروا في احد عهودهم القديس بمرحلة الامومة كغيرهم من الامم ، أي مرحلة سيادة المرأة الام على العائلة قبل الانتقال الى مرحلة الابوة أي سيادة الرجل الاب . ويخيل لي ان المستشرق قد استشهد على رايه هذا بنبذة من كلام هيرودتس عن علاقة مغايرة للبالوف الحديث كانت على عهد قائمة بين الرجل والمرأة ، لدى بعض العرب ، ولا نعتب ان ذلك الاستشهاد كان وائيا بمرامه لانه لا يدل على سيادة المرأة فيها نذكر . وعلى أية حال كان من تاثير سيطرة الانثى الام ، على قوله ، ان العرب انثوا الكثير من أسماء الاشياء غير المؤنثة ، حتى من الذكور البشر ، كتانيث اسم

ولاندري الآن ما اذا كان قد فاته كذلك ان الجمادات  
تؤنث وتذكر في اللاتينية وبناتها . فهل نمزو ذلك  
الى مشابهة المسيمات للذكورة والانوثة او الى سيطرة  
الام على الرومان قبل ان تتوطد لديهم سيطرة الاب  
ايضا ؟

اشارة ، فمن العائهم الهزة بها مفتوحة ومضمومة  
ومكسورة نشأت حركات الاءراب ، ومن الحاق النون  
بها نشأ التنوين بمختلف حالاته .

### التاء :

والذي يهديننا اليه استعراض الضمائر العربية  
في شتى احوالها وصورها هو ان هذه العناصر  
الضميرية البدائية الثلاثة لم تنشأ في مكان واحد عند  
تفريق معين من الاءريين ( العرب الاوائل ) ، بل ان  
كل طائفة منهم كانت تستعمل واحدا من هذه الضمائر.  
تفريق منهم كانوا يستعملون ضمير ( تا ) كما كان لتفريق  
ثان يستعملون ضمير ( آ ) وتفريق ثالث ضمير ( نا )  
كالذي فصناه وعلناه في كتابنا الآنف الذكر ، فلا حاجة  
للامادة فيه هنا .

وهكذا كان نصيب التاء ان الحقوها كأخويها  
الضميريين الاءريين بالاسماء والاءعمال . وهذا هو سر  
وجود التاء في بعض الاسماء مثل : جبهة ، هضبة ،  
اجمة ، مقدرة ، خشية .

فليس التانيث هو الغرض من التاء في أسماء هذه  
الاشياء المجردة من اي اثر لاي تانيث أو تذكير ، وإنما  
التاء هنا مجرد بقية أثرية من عهد لغوي مندرس بعيد  
كانوا فيه يلحون بها بكل الاسماء والاءعمال .

وقد كان من نتيجة اختلاط التقبيل الذين يستعملون  
التاء بغيرهم من الاءريين الذين لا يستعملونها ان  
ضعف شأنها وتقل استعمالها حتى انها سقطت من كثير  
من الاءعمال مثل : اعمل ونعمل ويفعلون ، ومن معظم  
الاسماء مثل : جبل ، طير ، نهر ، أرض ، كوكب ،  
تراب ، بحر ... وبقية عالقة باسمااء أخرى كالتسي  
ذكرناها : هضبة ، جبهة ، الخ ... وبقية متأرجحة في  
اسماء أخرى حيث يمكن حذفها وإثباتها في مثل : ليل  
ونجم .

فلنا ان التاء الحقوها بالاسماء والاءعمال لاداء  
معنى الضمائر أو أسماء الاشارة أول الأمر ، لكن  
تطاول الإحجاب وتعاقب الأجيال جعلها تظهر أولا في  
صور مختلفة بسبب اختلاف القوم في نطقها كما قلنا ،

ويلاحظ ان اسم الجباد الخلو (1) في اللاتينيات  
اما مذكر فقط واما مؤنث فقط . واما في العربية لسان  
الكثير من أسماء الاخلاء يجوز فيها التذكير والتانيث .  
فهذا يصف رأي المستشرق الباحث في قوله ان لشابهة  
الاشياء بالانوثة علاقة بالمسالة . ولو نحن مضينا في  
التطبيق قياسا على نظريته لقلنا ان جواز التذكير  
والتانيث في الكثير من أسماء الاخلاء في العربية يدل  
على مرور العرب بعهد سادت فيه الخنثى على العائلة .

تبل الاءلاء برائنا في تفسير ظاهرة التانيث  
يطالبنا الإنصاف ان نحى هذا الجهد المخلص الذي  
أنفقه الفضال المستشرق — المجهول لدينا في الوقت  
الحاضر ، وقد نهتدي الى معرفة اسمه ذات يوم —  
نحو وامثاله من الباحثين الاجانب ، الذين قاموا بعملية  
استكشاف واسعة المجال في قارة التراث العربي ومنه  
تراث اللغة ، قد اسدوا الى العربية خدمات قيصة  
مشكورة ، ولا عتب عليهم ان اخطاوا احيانا ، فان لهم  
الفضل انهم اسابوا احيانا كثيرة أخرى .

### الضمائر العربية :

اذا قلنا الضمائر العربية — انا ، انت ، هو ..  
الخ — نجدها تتألف من ثلاثة عناصر أساسية : الالف  
والنون والتاء . وقد تطرقتنا في كتابنا « مخابرات لغوية »  
( في فصل اسرار الضمائر ) (2) بشيء من التفصيل الى  
هذه العناصر الضميرية الثلاثة التي نطقها الانسان  
الاقدم ( آ ) و ( نا ) و ( وسا ) أول الأمر ، ثم  
تطورت لتتعدد صيغها وتنوعت معانيها ، اي ان  
الاقدمين كانوا يفتلنون في نطق هذه الضمائر منشآت  
لها صيغ كثيرة ، وكانوا لفرهم اللغوي يستعملون كلا  
من تلك الصيغ في مختلف المعاني التي يتوقون اليها  
الانصاح عنها ولا يجدون الالفاظ المعبرة عن كل منها .  
وكانوا يلحون هذه العناصر البدائية الثلاثة  
( آ ، نا ، تا ) بالاسماء والاءعمال كضمائر أو أسماء

(1) نستعمل كلمة الخلو — زنة الصنو والشلو — بمعنى الشيء الخالي من الانوثة والذكورة . وموطنها :

(2) وفي مجلة « اللسان العربي » العدد الخامس ، لسنة 1967 .

وتؤدي ثانيا أفراسا مختلفة بسبب الفقر اللغوي الذي المعنا اليه. ما اضطرهم الى استعمال الكلمة الواحدة في اكثر من معنى واحد .

ومن اختلاف الطوائف الازرية في نطقها نجدها في لغتنا مضمومة ومفتوحة ومكسورة وساكنة . ومن بقايا استعمالها بمعنى مختلف الضمائر سوف يستغرب القارئ ان نقول له ان ( تو ) ما زالت تعني أنسا بالبرية ، وأن ( تا ) تعني أنت المخاطب ، و ( تي ) تعني أنت المخاطبة ، و ( ات ) تعني هي . لكننا نجد هذا كله جليا مدهشا في الفعل الماضي ، فالتاء المضمومة تعني أنا في فعلت ( = فعل + تو ) ، والمفتوحة تعني أنت في : فعلت ( = فعل + تا ) ، والمكسورة تعني أنت في : فعلت ( = فعل + تي ) ، والساكنة تعني هي في : فعلت ( = فعل + ات ) . وهذه الصيغة الأخيرة ( ات ) قد ذابت همزتها كما تذوب همزة في كثير من الحالات التي سميت فيها همزة وصل .

### وظائف التاء :

أوضحنا في كتابنا المذكور كيف تفقد الضمائر أحيانا وظائفها أي معانيها ، أو تعاض منها وظائف أخرى . وقد كان شأن التاء في هذا شأن غيرها من الضمائر فقد تقلبت عليها أحداث لغوية أهدتها وظيفتها أحيانا وأبدلتها بها وظائف أخرى أحيانا أخرى ، في ظروف تطورية مثيرة ، نجملها فيما يلي :

أولا : فقدت التاء وظيفتها تماما في بعض الأسماء مثل : نجمة وضلعة وماءة — فيجوز لك حذف التاء من هذه الأسماء فتقول : نجم وضلوع وماء ، بنفس المعنى . أي ان التاء هنا لم تستطع ان تجد لها وظيفة ما أو تخصص بحالة معينة تميزها عن حالة تجسرد الاسم من التاء . فممكننا على هذا ان نسميها ( التاء الزائدة )

ثانيا : وجدت التاء لنفسها بعض الوظائف تؤديها في بعض الحالات ، من ذلك انها تغير معاني بعض الالفاظ مثل : الظهير والهاجر والجر . فهذه الالفاظ تكتسب معاني جديدة ليست لها أية علاقة بمعانيها الأصلية حين تلتحق بها التاء فتصبح : المهاجرة والظهيرية والجرة . فهذه قد يجوز تسميتها (تاء التغيير).

ثالثا : صارت التاء تختلق معنى لبعض الالفاظ التي لا معنى لها . وبمعبر آخر ان التاء صارت جزءا مئما لبعض الأسماء بحيث تصبح لا معنى لها اذا

حذفت التاء منها ، مثل : الامسية والبكرة والرنة والبورة — فلا معنى لالفاظ الامسي والبكر والريه والبور . أي ان التاء هنا قد التصقت ببناء الكلمة فأصبحت جزءا من نسيجها كحروفها الأصلية . وهذه يصح ان نسميها ( التاء اللازمة ) .

رابعا : صارت التاء أداة لتكوين بعض المصادر كما في الفعلين: دحرج واستقام ، بمصدرهما: دحرجة واستقامة — وهي قاعدة قياسية لا حيد عنها ، أما في الفعل المضعف فان التاء وجوبية أحيانا في مثل : وصى توصية وعبا تمبنة .. وجوازية أحيانا في مثل : قدم تتدما أو تتديما ، وكرم تكرمة أو تكريما .. ومنوعة أحيانا كما في علم تعليما وكسر تكسيرا ، فلا يقال تعلمة وتكسرة . وهذه أجدر بأن تسمى (التاء المصدرية).

خامسا : صارت التاء تؤدي معنى الحرفة في مثل: الكهانة والسفارة والسدانة والعيافة — أي حرفة الكاهن والسفير والسادن والعائف . وهذه نسميها ( تاء الحرفة ) .

سادسا : صارت التاء تؤدي أيضا معنى توكيد الصفات في مثل : النسابة والدواقة والراوية . فاذا حذفنا التاء من هذه الصفات فقلنا النساب والذواق والراوي ، ضعفت قوة المعنى ، على حين انه لا يجوز حذفها من بعض الصفات المؤكدة بها مثل الطلعة والهمزة واللمزة ( بضم الاول وفتح الثاني في اللفظ الثالث ) — أي الكثير التطلع والهماز واللماز ، فلا يقال فيها : الطلع والهمز واللمز ، وهذه التاء أجدر بأن تسمى ( تاء التوكيد ) . وهي تاء لازمة في نفس الوقت في الطلعة والهمزة واللمزة .

سابعا : صارت التاء تدل على معنى الامراد في بعض الأسماء كالشجرة والحمامة والسكة ، فاذا حذفنا من هذه الأسماء أمثالها صارت تدل على الجمع أي اسم الجنس : الشجر ، الحمام ، السمك ، ولا يمكن اعتبارها تاء تانيث حتى في الحمامة والسمكة وغيرها من الاحياء ، لان الكثير من أمثال هذه الأسماء تطلق على الذكر والانثى دون تمييز . وتتجلى وظيفة الامراد على نحو أوضح في مصادر بعض الأعمال . فالنظرة هي النظر مرة واحدة ، والابتسامة والضربة والاكله هي الابتسام والضرب والاكل مرة واحدة . فهي إذن ( تاء الامراد ) .

ثامنا : على العكس من هذا صارت التاء تعني الجمع في أسماء أخرى مثل : المعدناني والطحطاني



وقد نطق بعض العرب أسماء الإناث بعد الفتحة قبل التاء ، ولا يزال على ذلك بعضهم كالمصريين في نطق ثريات وعنايات ( اسم علم للانثى ) ، ومع الزمن تخصصت هذه الصيغة الجديدة لدى الامريين بجمع المؤنث السالم ، مثل جيلات وراحيات وغائبات .

### في اللاتينية :

وبعض العرب المعاصرين ينطقون تاء التانيث في لغاتهم الدارجة في بعض الاسماء ويهملونها في بعض ، كالمراقبين الذين ينطقونها في مثل : المساوات والحيات والشريت ، ويهملون نطقها في مثل : الحرية والتربية والصلاة .

واهمال نطق التاء في بعض الالفاظ منحدر من اصل عربي عريق لئما يظهر ، منشؤه ان بعض الامريين صاروا يستقونها في الاسم عند الوقف عليها في آخر الكلام فقط - كما هي الحال في الفصحى السليمة يومنا . وبذلك زالت التاء وبقي منها اثر هو الهاء الساكنة ، ومن هنا صارت المعاجم العربية تسميها ( الهاء ) بدل ( التاء ) . والواقع انها ليست هاء بالمعنى الصحيح لئى على الاغلب تنطق مجرد فتحة على آخر الاسم . ويظهر ان بعض اللهجات القديمة اتخذت ذلك قاعدة عامة لها حتى عند وقوع التاء في داخل الجملة ، وقد بقيت هذه القاعدة في بعض اللغات الآرية كالاتينية والاطالية ، ففي اللاتينية يقال : *filia* ( بنت ) ، و *amica* ( صديقة ) ، و *lupa* ( ذئبة ) - تانيثا لقولهم *fillus* و *amicus* و *lupus* . وهذه المؤنثات الثلاث توجد بنفسها في الايطالية - غير ان البنت تكتب *figlia* (وتنطق *filia* ايضا ) . اما مذكراتها في الايطالية فهي : *figlio* و

*amico* و *lupo*

واما في الفرنسية فان التاء تنطق صريحة في الالفاظ المؤنثة بها مثل *toutes* ( جميع ) ، للمؤنث ( و *cette* ( هذه ) و *coite* ( هادئة ) - ومذكراتها *tous* و *ce* و *col* يضاف الى ذلك في الفرنسية ان تصغير الاناث ايضا يتم بالحق التاء في مثل : *table* ( مائدة ) و *casse* ( صندوق ) و *françoise* ( فرنسية ) - وتصغيرها : *tablette* و *cassette* و *francette*

والضري واليماني والسياف والخيال . فقد جمعوها على مدنانية وتحطانية ومخرية ويمانية وسياحة وخيالة - أي بمجرد اضافة التاء الى الاسم المفرد دون تغيير في تركيب بنائه . على حين ان بعض الاسماء تتغير بنيتها اذا جمعت بالتاء مثل جمع الماضي والبازي على مشاة ويزاة ، وجمع للقائد والسائق على قيادة وساعة ، وجمع الضماني والمنذري على فسانسة ومناذرة ، وجمع الكاتب والفاعل على كتبه وعملة ، وجمع الدب والفيل على دببة وفيلة .

ومن الطريف ان التاء صارت اداة الجمع في بعض اللغات الآرية ايضا كالانجليزية والفرنسية والاسبانية ، لكن بعد ابدالها سينا ( s ) ، وابدال التاء سينا. موضوع له اهميته اللغوية الخاصة ، وقد اوضحناه في كتابنا الآنف الذكر ، والعدد المذكور من مجلة « اللسان العربي » .

هذا في الاسم ، غير ان معالية التاء في ميدان الجمع شملت الفعل ايضا ، كما في : تالت الازراب وتقول الرجال ، فالتاء هنا تعني الجمع لا التانيث كما توهم النحاة ، بدليل ان التاء في تولنا ( انفضت الناس ) تحل محل واو الجمع في تولنا ( الناس انفضوا ) ، وانها في تولنا : ( تفعل الرجال ) تعمل عمل السواو والنون في تولنا ( الرجال يفعلون ) . وهذه التاء ما هي الا ( تاء الجمع ) .

تاسعا : واخيرا ناتي الى تاء النحويين ، أي التاء التي تدل على التانيث في أسماء بني الانسان والحيوان أي الكائنات المنقسمة الى اناث وفكور مثل : امرأة وهرة ونمرة وسعيدة وعاقلة - تانيثا لمره وهر ونمر وسميد وهائل . وهي نفس التاء الملحقة بالفعل الماضي في تولهم : جاءت وذعبت - تانيثا لقولهم : جاء وذعب

وكانت التاء الملحقة بالاسماء تنطق صريحة لئما نعتقد حتى عند الوقف عليها في آخر الكلام كما هي الحال في الفعل الماضي ( فعلت هي ) . وما زال بعض العرب على ذلك أي ينطقون تاء التانيث في الاسماء حتى عند الوقوف عليها فيقولون حين يقرأون في الفصحى : الشجاعت والحرارت والانسانيت - وهي احدى اللهجات في لبنان . ومثل ذلك يفعل الاتراك والفرس في الالفاظ العربية التالفة المستعملة في لغتيهما مثل : محبت امانت ، سلطنت ، انسانيت ، ملت .

ونأتي الآن الى تلك القاعدة الشذوية التي حيرت الالهام واعتبرت من بدوات اللغة العربية ونزواتها البوهيمية ، وهي قاعدة تانيث العدد ( من الثلاثة الى العشرة ) مع الذكور وتذكيره مع الاناث . ، لنتمهما على ضوء تحليل وظائف التاء . فما تفسيرها يا ترى؟

مفتاح هذا اللغز هو التفريق بين وظيفتي الجمع والتانيث . فقبل كل شيء يجب ان نعترف بان التاء في (الثلاثة) وأخواتها إنما هي تاء جمع لا تاء تانيث، فحين تال أجدادنا البداية في عهد جاهلي سحيق : سبمة نمرسان ، لم يخطر لهم أن يؤنثوا النمرسان مثلما لم يخطر لهم أن يؤنثوا اليمانيين والغازين والخيالين حين سموهم : يمانية وغزاة وخيالة .

أما في حالة عد الاناث فقد استعملوا اجتماع التامين — تاء جمع العدد وتاء تانيث المعدود — في مثل ( خمسة بقران ) فاستطوا احدى التامين ، تخليفا . ولقد كان التطور اللغوي منطوقا جدا هذه المرة إذ أسقط تاء الجمع ، لا تاء التانيث ، لان معنى الجمع مفهوم بذاته في اسم العدد . أما لو أنهم أسقطوا تاء التانيث من البقرات والفتيات والوالدات لتغير معنى التانيث الذي اراده القائل ، فذلك امتنعوا منه .

وحذف تاء الجمع من المعدود ينطبق كذلك على جميع أسماء الاخلاء ( الجمادات ) المنتهية بالتاء كالتخيلات والهضبات والجففات ، ثم سرى ذلك على جمع أسماء الاخلاء المؤنثة ، ولو لم تكن منتهية بالتاء ، كالعصبي والدور والمؤوس والحروب .

هذا التفسير يؤيده لنا أنهم وازنوا — لفرض التخفيف أيضا — بين التامين — وكلتاها للجمع — في الاعداد المعشرة ، فصاروا اذا نطقوا التاء في احد شطري العدد استطوها من الآخر ، فقالوا : خمسة عشر حصانا وخمس عشرة نمرسا ، أي أنهم استعملوا تاء واحدة لكل من الذكر والمؤنث في كل من الحالتين .

لم يكن فرض القوم اذن تانيث الرجال ولا تذكير النساء ترضية لغزوز المرأة واعتراها ببأسها .

صلاة القول ان التاء وردت في معان مختلفة متعددة متميزة ذكرنا ما يحضرنا منها هنا باجمال ، ولا ندري ان كنا قد اغفلنا بعض حالاتها المهمة ، لكننا نتوقع على كل حال ان المستقبل سينتج بحونا منفصلة في هذا الموضوع بعد التشبع الطويل والاستقراء الشامل، وما نرجو لحدیثنا هذا السريع الا أن يكون خميرة لذلك المستقبل .

ويكفينا الآن ما تقدم بنا من مظاهر التاء النسبي سببها بحسب وظائفها : التاء الزائدة ، وتاء التغيير، والتاء اللازمة ، والتاء المصدرية ، وتاء العرمة ، وتاء التوكيد ، وتاء الامراء ، وتاء الجمع . وأخيرا تاء التانيث . افليس من العجب العجيب ان النحاة المشهورين بتدقيقاتهم المبالغ فيها في بعض التوافه ، لم يميزوا بين حالات التاء المختلفة هذه بل احتطبوا جبيما ، خبط عشواء ، وكدسوها تحت اسم تاء التانيث ؟

وقبل ان ندرغ من حديث التاء وننتقل الى مظهر آخر من مظاهر التانيث في العربية يجدر بنا ان نلاحظ ان الاعتباطات التطورية قد عملت عملها في خلط وظائف التاء بعضها ببعض شأنها في مختلف التطورات اللغوية . أي اننا نجد للتاء أكثر من وظيفة واحدة في الكلمة الواحدة أحيانا ، مثل : تعمل أنت وتعمل هي ، تعملان انتما وتعملان هما الغائبتان ، اقبلت الجارية واقبلت الفرسان . ومثل ذلك: المرأة العدنانية والعرب العدنانية . بل قد تجتمع في الكلمة الواحدة ثلاث وظائف مثل ( النسابة ) وهي تمنى المرأة النسابة أو الرجل النساب أو الرجال النسابين . وشبيه بذلك (السفارة) التي اكتسبت الآن معنى حديثا بالإضافة الى معناها القديم — فقد صارت السفارة تطلق على المؤسسة الرسمية التي يرأسها السفير .

غير ان هذا الاختلاط في المعاني لا يرفع الملامة من النحويين الذين لم يتفهموا شيئا من نشاطات النساء أصلا ، فقد كان عليهم — جزاهم الله رفعا ونصبيا ووقاهم الكسر والجر — أن يميزوا بين بعضها وبعضها ويسموا كلا منها باسمه كما ميزوا مثلا بين حالات النسب الكثيرة في الاسماء وسموا كلا منها باسمه .

## هو وهي :

هذا جانب من حكاية التانيث ، فلننتقل الآن الى الجانب الآخر منها لنتحسس ابعاده في ضمير الغائب ( هو ) وتطوراتها .

ان تانيث الاسم يعرف من صيغته مثل : جبيلة وذلفاء وعطشى ، او من معناه مثل : مريض وظئير وحامل ، او من الضمير الدال عليه مثل : هي ، هن .

والذي نعتقده ان العرب كانوا اول الامر يستعملون ضمير ( هو ) 'لدلالة على الذكر والانثى والخلو جبيما - انسانا وحيوانا وجمادا .. وما زال الامر على ذلك في الفارسية التي ينطق فيها هذا الضمير بصورته البدئية ( او - نا ) ، اي كما كان ينطقه العرب قبل ان يبدلوا همزته هاءا . نعلم ان العرب كانوا في يهودهم اللغوية الاولى يتولون : هو الرجل ، هو المرأة ، هو الشمس ، هو القمر . ثم ظهرت فئة منهم نطقت ( هو ) بالكسر : ( هي ) بنفس المعنى . ثم اختلطت هذه الفئة من العرب بغيرها من اللغات العربية لصار المختلطون يقول بعضهم ( هو ) وبعضهم ( هي ) ، ثم نشأ منها جيل يستعمل كلا الضميرين بمعنى واحد . وما يدل على ان الضمير ( هي ) كان يستعمل اولا للذكر انه ما يزال كذلك في الانكليزية بنفس النطق ( هي : he ) . كذلك اطلق الساميون القدامى في ارض بابل ضمير ( هي ) - قبل ابدال همزته هاءا - بصيغة ( ايا - Ea ) على الاله الذكر ( ماء القمر )

وبمرور الزمن تخصصت في العربية صيغة ( هو ) بالذكر وصيغة ( هي ) بالمؤنث . وتظهر ( هي ) بمعنى التانيث في اللاتينية ( ايا : ea ) اي نفس اسم الاله ( ماء القمر ) .

ومثل هذا التخصص بالوف في التطور اللغوي حين تظهر لفظتان بمعنى واحد مع وجود معنى آخر لا لفظ له . فالمعادة ان المعنى المحتاج الى لفظ يعبر به من وجوده يختطف احد اللغتين المترادفين . وهكذا اختطف معنى التانيث ( هي ) واستأثر بها لنفسه .

نعمندئذ تمايزت نواحي التانيث والتذكير في العربية . ذلك بان الجماد كذي الروح لا يد من الإشارة اليه بضمير ما . وقد كان يقال للجماد ( هو )

و ( هي ) دون تمييز عندما كان معنى الكلمتين واحدا ، اي هاما لثلاثة اصناف : الذكور ، والاناث ، والاخلاء . وهكذا صار بعضهم يقول : هو الروح وهو العنق وهو السكين وهو الطريق وهو السبيل .. وبعضهم يقول : هي الروح وهي العنق وهي السكين وهي الطريق وهي السبيل ، اي انهم اضطروا الى تذكير الجماد الخلو او تانيثه لانهم لم يجدوا ضميرا ثالثا يخصصه به كما خص الانكليز مثلا ضمير it بالخلو الغائب المبرد ( لكنهم استعملوا نفس الضمائر للمذكر والمؤنث والخلو في الحالات الاخرى اي في حالات الخطاب والجمع ) . ومع الزمن استقر التانيث في العربية لبعض الاغلاء كالنار والحرب والدار ، واستقر التذكير لبعضها كالجبل والنهر والليل والنهار ، وظل بعضها الآخر هائما مترددا بين الحالين اي يؤنث ويذكر دون تمييز كالروح والعنق والسكين ..

من جهة اخرى نجد ان التاء ايضا قد تخصصت بالتانيث في مثل الوالدة والمرأة والسحابة والجنية ، ومن هنا صارت المادة ان تعامل كل اسماء الاغلاء المنتهية بالتاء بمعاملة المؤنث وكانها توهم قدامى العرب - كما توهم النحاة من بعدهم - ان تاء البانة والركوة والخيبة والرابية ايضا تعنى التانيث فقالوا : هي البانة وهي الركوة وهي الخيبة .

وبتعبير آخر ان التانيث ( الحقيقي ) قد تعامل فيه ضمير ( هي ) في مثل هي الاثان ، مع تاء التانيث في مثل الضئبة والفتاة ، نصارت ( هي ) تستعمل كتاعدة عامة مع اسماء الاناث سواء اكانت منتهية بالتاء ام لم تكن ، ومع اسماء الاغلاء المنتهية بالتاء . وقد هوملت هذه الاسماء بمعاملة الاناث في مختلف حالات الكلام ، نصاروا يقولون : هي الاثان وهي الشمعة وهي الغابات .

اما ما يدل على الذكر والانثى من الاسماء فيسر التانية مثل الفرس فيؤنث اذا تصدوا الانثى ويذكر اذا تصدوا الذكر .

واما الاسماء التي يجوز نطقها بالتاء وبدونها كالنجم والليله فقد انثوها مع التاء وذكروها بدونها فقالوا : هو النجم وهي النجمة وهذا الليل وهذه الليلة ، وذلك الماء وتلك الماءة . لكن الضدعة انثوها في كلتا الحالتين فقالوا : تلك الضدعة وهذه الضدع ، لانهم اعتبروها انثى في كلتا الحالتين ، اما ذكر الضدع نسوه العلجوم .

صفة التانيث أو استقر في الكلام تانيثه حتى في  
الدرجات كالشمس والارض والحرب والنار ..

ونشهد القدامى العرب أنهم اصابوا حين انشوا  
بعض الاسماء مع خلوها من علامة التانيث كالظنر  
والمرضع والحامل ، لان هذه الصفات لا تكون الا في  
الاناث ، ولو أنهم - العرب - شذوا حين ميموا صفة  
الولادة على الرجل . ويبطل استفراب القاريء لقولنا  
هذا اذا تذكر أنهم يسمون الاب (الوالد) مع استحالة  
الولادة عليه . واضفاء صفة الولادة على الاب وهو  
منها براء ليس كذلك من باب مجاملة المرأة او الخضوع  
لسطوتها ، وانما جاء من اطلاق (الوالدين) على الام  
الوالدة والاب ، كما اطلقوا (القرين) على الشمس  
والقمر . وقد اطلقوا عليهما (الابوين) ايضا ، لكنهم  
لم يسموا الوالدة ابة كما سمو الاب والدا .

الا ان ذلك المنطق - في الظنر والحامل والمرضع  
- يطير هباء في مثل : الخادم والعامر والرسول  
والضيف وامثالها من الاسماء التي تطلق على الذكر  
والانثى ، اي ان الصيغة في هذه الاسماء يمكن اعتبارها  
خنثى ، وانما تكون ذكرا او انثى حين تميزها ترميزا من  
الضائير او غيرها حيث يقال : هي الخادم ، وهن  
العامرات ، وتلك الرسول ، وهذه الضيف .. او : هو  
الخادم وهم العامرون ..

### تانيث الجموع :

والآن وقد رأينا التانيث في حالتيه ، اي نشوئه  
من اضافة التاء اولا ومن استعمال ضمير (هي) ثانيا ،  
نأتي الى ظاهرة اخرى منشؤها اختلاط معنى الجمع  
بالتانيث ، في كلتا الحالتين .

ان معاملة بعض الاخلاء من الجمادات مغايمة  
الاناث قد سرت هداها الى جموع تلك الجمادات ثم  
الى جموع كل الجمادات ، فصارت تؤنث بالتاء ويشار  
اليها بما يخص الانثى المفردة من الضائير واسماء  
الاشارة والصفات ، ما تجتمع نماذجها في مثل قولك :  
تلك هي (الجبال) السماء الزاهية التي تسر رائحتها .  
مجميع اللفاظ في هذه العبارة خاصة بالانثى مع انها  
تدل على الجبال التي مفردتها (الجبل) مذكر .

واذا كانت حياة الاستقرار والاجتماع في صعيد  
قد أدت الى ثبوت القواعد اللغوية .، مثل التانيث  
بالمفتحة كتعامدة عامة في اللاتينية ، فان حياة النقلة في  
العربية وتكرار امتراق أهلها واجتماعهم على غير نظام  
قد جعل من العربية مختبرا لغويا تقع فيه تجارب لغوية  
كثيرة التنوع والتمديد دائمة التفاعل والتخضض  
والتولد . ( وقد استمرت العربية تصدر نماذج منها الى  
الخارج ، لغات ولهجات ، على السنة الآريين والهاميين  
والساميين ، منذ سحيق العصور ) .

وبنتيجة ذلك التفاعل والتخضض والتولد في العربية  
صار بعض القبائل يؤنث بعض أسماء الاخلاء كما  
رأينا ، وبعض القبائل يذكرها ، وبعضهم يؤنثها  
ويذكرها . فلماذا اختاف اللغويون فيما يؤنثون ويذكرون  
من أسماء الجمادات لان بعضهم يروي عن هذه  
الطائفة وبعضهم عن تلك .

وقد أخذ المحدثون من معاصرينا يميلون الى  
اعتبار ( هو ) ضميرا عاما للتذكير والتجريد من  
المنسل (أ) معا ، مثل اليوم من يقولون ( هي الطريق )  
وأقل منهم من يقولون ( هي السوق ) فيما عدا قولهم :  
السوق السوداء والسوق المشتركة . واما كلمة (السلم)  
فلا نظن اننا ترائناها مؤنثة لاحد من المحدثين ولا حتى  
المتنطسين منهم . واما ( الرمح والغول ) فلا نذكر انهما  
مرا بنا شخصا مؤنثين في شعر او نثر حديث ولا تديم ،  
بالرغم من ان اللغويين ادرجوها ضمن الاسماء  
المؤنثة .

وفي اللهجة المصرية يؤنثون الامضاء والهناء مثلا  
وينطقونها الامضة والهنة لانتهائهما بالمفتحة ، وفي  
اللهجة المغربية يؤنثون الزيت لانتهائه بالتاء . وبعض  
المراطين يؤنثون الرأس والباب والبطن ، بل ان بعض  
ضعاف الكتاب من معاصرينا يفعلون ذلك ايضا ، وقد  
وجدناه حتى عند ذوي الاسماء الاماتية ( اي التي  
طبقت شهرتها الاماق ) .

هذه البلبلة التي كانت شغلا شاعرا للغويين  
القدامى ، هي التي حدث ببعضهم الى ان يقول بجواز  
التانيث والتذكير في جميع أسماء الجمادات التي لا تدل  
صيغتها على التانيث . واصوب من هذا هو الاتجاه  
الذي ينتحيه التطور في هذا الجيل كالذي نوهنا به ،  
اي تغليب التذكير على الاسماء الخلوة ، الا ما ورد في

(1) نعصد بالمنسل - زنة المبرد - آلة التناسل للذكر والانثى .

وتعامل الاخلاء احيانا معاملة جمع المؤنث السالم  
يقال « انهن عصور مطاولات ودهور داهرات » .

ماذا أضفنا الى هذا جموع المؤنثات الحقيقية  
من بني الانسان والحيوان علاوة على بعض أسماء  
الذكور التي تجمع بالتاء كاليمانية والخيالة ، وتقول  
الرجال وتعمل - مما ظنوه تائيفا - أتضح لنا لماذا  
تغلب التائيف على أكثر الجموع ، وعرفنا لماذا قال  
شعروور النحاة :

ان تومي تجعموا      ويقتلي تحدثوا  
لا أبالي بجمعهم      كل جمع مؤنث ا

وما سمينا شعروورا لغثاة شعره لكن لانه رعم  
بالاضافة الى ذلك ان ( كل جمع ) مؤنث ، متجاهلا  
جموع الذكور مثل : هم الرجال ، نملوا ، ويعملون ،  
وماعلون . ولو قد قال بدلا من ذلك « رب جمع مؤنث )  
لاحسن وأصاب ، بمعنى أن ( رب ) للتكثير لا للتليل .

فهذا فيما نظن موجز حكاية هذا التائيف الفوضوي  
الذي بلبل بال اللغويين والنحويين ، قديما وحديفا ،  
من شرقيين ومستشرقين - المسؤول في احدائه  
ضمير ( هي ) الذي خدع العرب الاتدمين بمعنييه  
للتذكير والتائيف ، وشريكته في الجرم ( التاء ) التي  
خدعت العرب الاتدمين والنحاة من بعدهم بمعانيها  
الكثيرة المتشابهة .

# علم الأصوات الحيوانية عند العرب

الأستاذ عبدالهادي الفيضي أستاذ اللغة العربية بكلية اللغة  
"النجف الأشرف" بعراقه

وثالثة أمادها وهو يربط على ظهر الكلب أو كتفه  
وتقبل وضع المسحوق في فمه أيضا .  
فكانت النتيجة ذاتها .

فاهتدى من هذا الى ان المنبهات البديلة أو ما  
يسمىها بـ ( المنبهات الشرطية ) تستدعي الاستجابة  
أو ما سماه بـ ( الفعل المنعكس الشرطي ) كما  
تستدعيها المنبهات الطبيعية .

وقد اطلق على تعلم الحيوان الاستجابة للمنبهات  
الشرطية مصطلح ( التعلم الشرطي ) .

وانتهى أيضا الى ان هذا اللون من التعلم موجود  
في جميع الحيوانات حتى أحطها .. والى انه يستطيع  
بواسطة تفسير جميع مظاهر السلوك الانساني  
والحيواني (1) .

ونحن عندما نرجع الى تراثنا العلمي العربي نجد  
جذور هذه النظرية تبدأ وبتفصيل من قبل العلامة  
النحوي العربي رضي الدين الاسترأبادي المعروف بـ  
( الرضي ) والمتوفى عام 684 هـ ، وذلك في كتابه  
النحوي ( شرح الكافية ) عذد دراسته موضوع  
( الاصوات ) .

قال :

« وثالثها : أصوات يصوت بها للحيوانات عند

يعزو تاريخ علم النفس وضع نظرية التعلم  
الشرطي الى العالم الفسيولوجي الروسي إيفان  
پتروفيش بانلوف Pavlov المتوفى 1936 م .

وهي من مهمات نظريات التعلم ومن مهمات  
موضوعات علم النفس .

ويعني التعلم الشرطي : ذلك الترابط الآلي بين  
الاستجابات الطبيعية والمنبهات الصناعية الشرطية ،  
والذي تنوب فيه اشارات ورموز اشارة السلوك عن  
المنبه الاصلي .

وقد توصل اليها العلامة بانلوف من تجاربه التي  
أجراها على الكلب الذي كان يثبت على مائدة التجارب .

حيث كان يضع على لسان الكلب مقدارا من  
مسحوق اللحم المجفف ، قارعا جرسا كهربائيا قبيل  
وضع المسحوق في فم الكلب .

ولاحظ بعد ان كرر التجربة اكثر من مرة ان قرع  
الجرس الكهربائي وحده كاف في المراز لعاب الكلب .

واعاد التجربة مستبدلا قرع الجرس باضاءة  
مصباح امام الكلب وتقبل وضع المسحوق في فمه أيضا .

ولاحظ ان اضاءة المصباح وحدها بعد تكرار  
التجربة كافية في أن يسيل لعاب الكلب عند رؤيتها .

(1) أصول علم النفس للدكتور أحمد عزت راجح 281.

طلب شيء منها ، أما المجيء كالفاظ الدعاء نحو  
( هوت ) و ( قوس ) ونحوهما ، وأما الذهاب كـ  
( هلا ) و ( هج ) و ( هجا ) ونحوها ، وأما أمر آخر  
كـ ( ساء ) للشرب و ( هذع ) للتسكين .

وهذه اللفاظ ليست بما يخاطب به هذه  
الحيوانات المعجم حتى يقال انها أوامر أو نواه — كما  
ذهب اليه بعضهم — لانها لا تصلح لكونها مخاطبة ،  
لعدم فهمها للكلام كما قال الله تعالى : ( كمثل الذي  
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء ) ( 1 ) ، بل كان أصلها  
ان الشخص كان يتعمد انقياد بعض الحيوانات لشيء  
من هذه الاعمال فيصوت لها اما بصوت غير مركب من  
الحروف كالصليخ للدابة عند ايرادها الماء ، وغير ذلك ،  
وأما بصوت معين مركب من حروف معينة لا معنى تحته  
ثم يحرضه مقارنا لذلك التصويت على ذلك الأمر اما  
بضربه وتأديبه ، واما بايناسه واطعائه ، فكان  
الحيوان يمثل المراد منه اما رهبة من الضرب أو رغبة  
في ذلك البسر .

وكان يتكرر مقارنة ذلك التصويت لذلك الضرب  
أو البر الى ان يكتفي الطالب بذلك الصوت ممن  
للضرب أو البر لانه كان يتصور الحيوان من ذلك  
الصوت ما يصحبه من الضرب أو ضده فيمثل عقيب  
الصوت عادة ودربة مضار ذلك الصوت المركب ممن  
الحروف كالامر والنهي لذلك الحيوان .

وانما وضعوا مثل هذا الغرض صوتا مركبا من  
الحروف ولم يقتنعوا بسادج الصوت لان الصوت من  
حيث هو هو مشتبه الأفراد وتمايزها بالتقطيع والاعتماد  
على المخارج سهل ، فلما كان الاعمال المطلوبة ممن  
الحيوانات مختلفة أرادوا اختلاف العلامات الدالة عليها  
فركبوا من الحروف .

وما ذكرنا من الترتيب يتبين منه كيفية تعليم  
الحيوانات كالدب والقرد والكلب وغير ذلك .

هذا . . وانا لا ارى منعا من ارتكاب صيرورة  
هذه الاصوات المقارنة في الاصل للضرب أو البر لما  
استغنى بها الطالب عنهما اسماء اعمال بمعنى الامر

— كما ذهب اليه بعضهم — فتكون أوامر ونواهي ،  
لان الله سبحانه وتعالى جعل العجاوات في فهم المطلوب  
من هذه الاصوات بمنزلة العقلاء ، فلا بأس بان تخاطب  
وتكلم بما تفهمه كالعقلاء « ( 2 ) .

وفي ضوء المقارنة بين هذا النص ( الذي نقلته  
بكامله ليماد منه ) وبين تجارب بالملوف ونتائجها ..  
نستطيع ان ننتهي الى ان الرضي كان سابقا في الاهتداء  
الى هذه النظرية ( نظرية التعلم الشرطي ) .

وربما انماها من ملاحظاته المتكررة لحيياة  
الحيوان وسلوكه حيث لم يذكر تاريخيا انه قام بتجارب  
مماثلة لما قام به بالملوف .

والنظرية كما تأتي نتيجة لتجارب تجري في معامل  
الترويض ، تأتي ايضا نتيجة للملاحظة المنظمة  
الدقيقة للسلوك .

ونستطيع ان نعلل عدم اعطاء اهتداء الرضي  
للمنظرية الاهتمام الفرسي المطلوب ، بمجيئه سابقا  
بقرون لوجود علم النفس ، ولانه كان في مجال غير  
نفسى وهو المجال النحوي .

وعامل آخر عدم دراسة نظريات الرضي لغوية  
وغيرها من قبل الباحثين العرب أو غيرهم — فيما  
اعلمه .

نقد خلف الرضي ثروة علمية ضخمة ، وذلك في  
كتابه ( شرح الكافية ) في علم النحو العربي ( وشرح  
الشمسية ) في علم الصرف العربي ، اللذين هالج فيهما  
مسائل ذبنيك الملمين ونظرياتها معالجة واهية اصبحت  
بالاصالة في الراي والمبني في البحث والانتهاى الى آراء  
خاصة ذات قيمة مهمة في المجالين اللغوي والنحوي  
منحته لقب ( المحقق ) بين العلماء ( ونجم الائمة )  
باستحقاق .

وأخيرا :

للعالم بالملوف تأكيد النظرية بالتجربة العملية ،  
وبلورتها الى مصطلح أخذ مجاله العلمي .

( 1 ) 171 / البقرة .

( 2 ) شرح الكافية 80/2 و 81 .

# ملاحظات حول النقد الأدبي

الدكتور محمد رجب السيوي "القاهرة"

بمعنى العيب والانتقاص نقد جاء في قولهم نقدته الحية بمعنى لدفته ، ونقدت رأسه بأصبعي بمعنى ضربته ونعما يروي من حديث أبي الدرداء ان نقدت الناس نقدوك بمعنى ان عبتهم عابوك ومن هنا رجح بعض الباحثين غلبة معنى النقد على مدلول المؤاخذة والتخطئة مشيرا الى ان اللغة قد وضعت لفظ التقريظ لما يقابل المؤاخذة من المديح والاطراء اخذا من قول العرب قرظت الجلد اذا دبغ بالقرظ محسن وزين وجمل وقد شاع معنى التقريظ اليوم شيوعا ظاهرا ، اذ نرى نفرا من الناس يحرصون على كتابة مقدمات لمؤلفاتهم تتضمن المديح الخالص دون ان تتعرض - الا في القليل - لمخالفة صريحة في الرأي والاتجاه ، ونحن لا نرفض التقريظ اذا صدر عن رأي وامتداد ووافق موضعه من البحث الرائع والمعمل الممتاز ، فهناك من الآثار الادبية ما هو جدير بالتقريظ الجميل ، ولكن المشاهد المؤلم ان اكثر من يتجهون الى التقريظ لا يضمونه الموضع الصحيح لربما رجح عندهم البهرج وشال الصحيح .

اذن تمييز الجيد من الرديء ، والعيب المنتقص كلاهما من مدلول المعنى اللغوي لكلمة النقد فاذا اتجهنا الى المعنى الادبي للنقد عند العرب وجدناه يستعمل في التقديم بمعنى التحليل والشرح والتمييز والحكم فالنقد لا يخرج لديهم عن دراسة الآثار الادبية وتفسيرها وتحليلها ثم بيان مداها من الاصابة والخطأ مقدرين درجتها الفنية شارحين اسباب الاستحسان

يطيلون الحديث من معنى النقد في اللغة فيلمون بكل ما قالت المعاجم في مادة نقد ومشتقاتها ثم يحاولون ان يعقدوا صلة ما بين كل معنى وما تمورف عليه الآن من معنى النقد الادبي ، وذلك جهد ان ابان من حسن التصرف وبراعة الاحتيال فانه يكثر الحديث في غير طائل ، والافوق ان نختار من معاني الكلمة اللغوية ما يمت بالصلة القريبة الى المعنى الاصطلاحي بلا تزيد في التفسير لنصل الى الحقيقة دون تصميب .

واذا كان من اوضح معاني النقد في كتب اللغة انه تمييز الجيد من الرديء ، تقول نقدت الدراهم وانتقدتها بمعنى انك ابنت الزائف من الصحيح ، وميزت الجيد من الرديء ، فان هذا المعنى الواضح هو القريب من مدلول النقد في الاصطلاح الادبي لان الناقد لا يخرج عن كونه صيرليا ماهرا ، يعرف الزائف من الصحيح ويميز الجيد من الرديء ، غير ان مادته هي الاساليب الادبية بمختلف فنونها واجناسها ، فهو اذن جوهر المعاني والالفاظ ، يزن الخواطر والمشار والتعابير بميزانه الادبي ويبعث بفكره وراء كل كلمة وخاطره مبينا مكان ذلك من البناء الفني المتكامل للجنس الادبي فهو بعمله هذا من المدلول اللغوي قريب قريب واذا كان الناقد الادبي يعمد الى تصحيح الخطأ وتعويم المعوج وفي ذلك من توجيه اللوم فسنيا الى صاحب الاثر المنتقد ما قد يقع منه موقع الالم وعدم الارتياح فان من معاني النقد اللغوية ما يمت بصلة قريبة الى ذلك ، اذ ان العرب قد يستعملون النقد



والاستهجان وذلك ما يراه المحثون اذ يقولون من النقد انه التقدير الصحيح لاي اثر لمني مع بيان قيمته في ذاته ودرجته بالنسبة الى سواه. ، واذا كان النقد الادبي اليوم في جوهره هو دراسة الاسلوب مكسرة وتصويرا وتعبيرا واحسلسا مع الحكم عليه فان ذلك ما يلتقي بمعنى النقد في كتب الادب القديمة من ايسر السبيل .

واذا كانت الكتب المؤلفة في النقد العربي القديم، هي الجامعة لمذاهب العلماء والادباء في الفن ، والحافلة بآراء شيوخ الادب في النثر والشعر ، فاننا لا نصل منها الى تحديد اول من اطلق كلمة النقد على مدلولها الادبي من هؤلاء ، واقدم نص وردت فيه هذه الكلمة يرتفع الى البحري حين تحدث عن ابي العباس ابن ثعلب مقال عنه : « ما رأيته ناقدا للشعر ولا مبيزا للالفاظ » ولكن رواية البحري جاءت على لسان مبد القاهر في «دلائل الامجاز» فلمله روى المعنى دون اللفظ، واطهر من نص على هذه الكلمة صراحة هو ابو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي من علماء القرن الرابع ( 337 ) هـ حين سمي كتابه نقد الشعر وصرح بانه يبحث في تخلص جيدة من رديئه ، وقد سبقه الى هذا المضمار محمد بن سلام الجمحي ( 232 ) هـ في كتابه «طبقات الشعراء» والجاحظ (255) هـ في «البيان والتبيين» وابن قتيبة (276) هـ في «كتاب الشعر والشعراء»، الا ان هؤلاء الثلاثة لم يشيروا الى كلمة النقد اطلاقا حتى جعلها قدامة اسما لكتابه فتعوربت واشتهرت، وترددت بعد ذلك في ماكتبه الامدي والجرجاني والزمخشري وابو هلال وابن رشيقي حتى أصبحت علما على من ادبي طائر الصيت ، ويخيل الى ان خلف الاحمر ( 180 ) اول من اشار اليها من قريب دون ان ينص على لفظها الصريح وكأنه حوم ولم يقع ، فقد روى صاحب طبقات الشعراء (1) ان قائلا قال له : اذا سمعت انا بالشعر استحسنه لما ابالي ما قلت فيه انت واصحابك مقال له : « اذا اخذت انت درهما فاستحسنته مقال لك الصراف انه رديء هل ينفعك استحسانك له » والصيرفي في اللغة هو الناقد وقد قرنه خلف الاحمر بمن يخلص الشعر ويزنه بميزانه الصحيح ، ثم صار الفاحص ناقدا دون تفریق . هذا الناقد الذي يجلس من الاثر الادبي مجلس القاضي فوق منصة القضاء ، يحلل البواعث ويكتنه السرائر ويتعمق المعاني ما موقفه من النص المنقود ؟ يقتصر

في نقده على ايضاح مشاعره الذاتية ازاء النص لميجيء حكمه النقدي صدى لشعوره النفسي ومعبرا عن مدى استجابته الشخصية للنص المدروس أم يتعمد بقواعد علمية مرسومة تعارف عليها السابقون وجعلوها مناط الاحتذاء والترسم لقد طال النقاش حول الذاتية والموضوعية فانبرى الذاتيون ينادون بان الناقد ليس آلة في يد المقررات السابقة يسير في ضوئها ، ويمشوا الى نارها ويحرص على التزامها دون انحراف ، فان له من مشاعره الخاصة وثقافته النيرة ، وبصيرته الناقدة ما يستطيع به ان يفسح بعض المقررات الجديدة التي تفتح اتجاهات مغلقة ، وتشير الى طرق حديثة في مجال التعبير والتصوير ، وبذلك يتقدم الادب في شتى مجاله ويضيف اللاهق الى السابق ما يطرد به النمو الادبي نحو الكمال هذا بعض ما يقوله الذاتيون ، اما انصار النقد الموضوعي ، فيرون ان الاهواء الشخصية تتحكم ، والبيول النفسية تسيطر لماذا تجرد الناقد عن كل مصطلح مقرر يمكنه تحت هذه البيول المتحركة ان يمدح المخطيء ويذم المصيب ولن يعدم من اوجه التحمل والافتعال ما يظهر نقده مظهر المحايد المتجرد ، واذا استطاع بمسح الحصفاء ان يدركوا ماخذ الضعف في انحرافه فـان الكثرة من القراء سينخدعون بطرائه ، ويسيروا في تياره وربما احتذى الناشئة حذوه فاندمعوا الى محاكاة ادب هابط رلعه ناقد مفرض حاجة في نفسه فامتد ضرره السيء الى نطاق بعيد هذا بعض ما يقوله الموضوعيون ، وتلك قضية تلزمننا ان نقول ان الحدود ليست فاصلة بين النقد الذاتي والنقد الموضوعي ، اذ ان النقد الذاتي مهما استجاب لتأثيره النفسي وتجاوبه الشعوري ومهما عبر عن انفعاله الخاص نحو اثر يقرؤه ويتذوقه فانه يصدر في تجاوبه واستجابته عن حصيله قراءات سابقة تتفق على استحسان الجيد واستهجان الرديء ، وهو بعد لم يستطيع ان يشق طريقه في ميدان النقد بحيث يصبح ذا تأثير كبير على قرائه الا بعد رسوخ في النظر المستقيم وادمان على البحث الجيد ، ومواصلة للدراسة المنقبة عن مطاوي المعارف ومجاهل الآراء ، وهو بكل هذه الدراسة الموضوعية لا يستطيع ان يكون ذاتيا يتجرد من جميع ما قرره السابقون من احكام ، كما ان الناقد الموضوعي مهما التزم المقررات المعلومة وتبند بالمعارف المرسومة ونهج منهج المحافظين على تضايها الفكر ومذاهب البحث فانه انسان يحس ويتأثر

ويستجيب ، وله ذاتيته التي تدموه الى التفاعل مع النص تفاعلا يسير به الى تحبيذه في ضوء ما يعلم من المقررات فتمصر الذاتية قريب منه قرب الموضوعية من صاحبه ؟ فليست هناك حدود ماصلة تجعل الناقد الموضوعي ينعزل انعزالا تاما عن الناقد الذاتي ، غير اننا نلاحظ السمة البارزة لدى الناقد فاذا غلبت الذاتية على احكامه عد من انصارها واذا غلبت الموضوعية عليه كان ناقدا موضوعيا ، ومن خير الابدان ان يوجد الناقد الذاتي والناقد الموضوعي معا لبيتكسر الاول ويجدد ويدعو الى آفاق جديدة تفيض بالضياء فيطرد النمو الادبي وتتسلسل الحلقات الجديدة على تناسل الزمان ، أما الناقد الموضوعي فيقف حائلا دون الشطط الجامح ، وحاجزا دون التهور في الرأي والاسراف المفرق ، وسير الزمن في دورته لينشأ في الجيل اللالحق من يزن آراء الذاتيين والموضوعيين معا ، فيرمي بالزبد ويبقى الصريح .

وإذا كنا نحب الادب ونحرص على الاستمتاع بصوره والامادة من افكاره والالتذاذ بموسيقاه فان حبنا للادب يدفعنا تلقائيا الى حب النقد ، إذ ان النقد يتولى شرح الاثر الادبي وتحليله فيسلط اشعته القوية على زواياه الخافية ، ويهدي القارئ الى مناح دقيقة قد تغيب عن ذهنه فيجيه عمله مكملا لعمل الاديب ، وقد يضيق كثير من المنشئين بهؤلاء النقاد ، ويترمون بما يبذون من ملاحظات وأذكر اني قرأت قصة غريبة تهدف الى السخرية من النقاد وتصنمهم بالفضل والجذب وتتحداهم ان يضموا اثرا من الآثار الفنية التي يعملون فيها معاولهم الهادمة ولعل كاتب القصة ممن تعرضوا الى نقد متتابع أزعهج وألق راحته ، فاندفع يثار لنفسه من قوم يحملون معاول الهدم وادوات البناء معا ، لان الناقد حين يهدم اثرا فنيا انما يدل على نواحي ضعفه ومواقع تهافته ليتجنبها من يزاول الانتاج وهو في الوقت نفسه يدل على طريقة الانشاء الجيد هادما بانبا في وقت واحد وكل ناقد يعتمد الى الهدم فقط دون أن يشير بالعلاج المسدد لا يؤدي رسالته كما يجب أن تكون ، والقارئ ظالم حين يقرأ النص ثم يطالع نقده لانه حين قرا النص قد خرج عنه لا محالة بفكرة ما دقيقة او مضافة ، فوزنه بميزانه الشخصي الذي تخلقه الطبيعة في نفس كل قارئ يقرأ ويحكم لماذا قرأ بعد ذلك نقدا جيدا لهذا الاثر ، فانه يوجهه الى ما فانه لدى قراءته الاولى من ملاحظات وربما دفعه الى نهج يلتزمه عند القراءة فتمتو في نفسه بذرة ناقد حقيقي

يشرب للنمو ، وقد يشق طريقه الى الميدان ، أو يكتب بما يتيح له من توة الملاحظة وسعة الافق حين درس وجهة النظر الجديدة فيما طالع ودرس ، وإذا كانت فائدة القارئ عظيمة فان فائدة صاحب الاثر الفني اعظم وادسم ، لان كل صاحب عمل نظري أو فني يجب أن يستطلع آراء المتخصصين فيه ، فهو يشعر في اطوائه برغبة ملحة الى الاستماع لكل ما يدور حوله. من وجهات النظر المختلفة ، فاذا صادف ناقد مخلصا لهدفه فانه يكمل نقصه بما يبدي من اعتراض أو مؤاخذة ، ولن يضيره في شيء ان يحصي الناقد اخطاه في دقة وتعميل لانه اذا آلمه من هذه الناحية فسيبصره حين يتعرض بالتحليل للكاشف الى مواطن الابداع في منه وموضع النبوغ في نظرته ، وقد يكون سفره الى القراء ، إذ يوثق صلاتهم به حين ينتج عيونهم على مناهج جديدة في انتاجه لم تكن لتتاح للكثرة القارئة دون ناقد نزيه ، وعلى أن من الخطر كل الخطر ان يصبح الاديب تلميذا لناقده يخضع لتوجيهه ويرضى بقبول توصياته ، إذ ان من الناقدين من تشخ نفوسهم الى الاستعلاء فيدعون انهم اساتذة الابداء مع انهم في حقيقة نفوسهم لا يعيشون على غير تراث هؤلاء التلاميذ المزهومين ملولا ان الشاعر أو الكاتب قد أبدع اثره الفني ما وجد الناقد مجالا للحديث ؟ وفي الناس من يشترط في الناقد ان يكون ادبيا منشئا زاول الانتاج الفني ليكون أبصر بفضائته ، وأدري بمنعرجاته وقد يكون ذلك ميسورا لدى بعض الموهوبين من النقاد ، الا انه ليس امرا عاما لدى الجميع ، وقد كان الراقعي رحمه الله يشترط في ناقد الشعر أن يكون شاعرا ، وهو اشتراط عسير التحقيق من ناحية وغير ضروري من ناحية أخرى إذ ان أكثر نقدة الشعر المجيدين في القديم والحديث ليسوا بشعراء ولم ينمهم ذلك عن تأليف الكتب الناجمة والمقالات الحاسمة في فن الشعر ومآخذة على أن الناقد من الاديب تربيب غير بعيد إذ أن ميدان الفن الادبي هو الانسان والطبيعة فالاديب اما أن يتعرض للنفس الباطنية بما يموج بها من تيار العواطف والنوازع فيصدر عن الذات الداخلية ناظرا الى العلاقات البارزة في الصلات الاجتماعية والمتناقضات البشرية والمواقف الإنسانية ومتخذا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نفوسهم الخفية في غبطة وارتياح ، وأما أن يتعرض للطبيعة من حوله صابئة وناطقة فيتحدث عن الطير والحيوان وعن النبات والشجر والجماد وسائر ما يدهشنا به الكون من صور ومشاهد متخذا من كل ذلك مادة جميلة يقرأ فيها الناس نفوسهم

الخفية في غبطة وارتياح ، وأما أن يتعرض للطبيعة من حوله صامتا وناطقة فيتحدث عن الطير والحيوان وعن النبات والشجر والجماد وسائر ما يدهشنا به الكون من صور ومشاهد متخذًا من هذا المحيط الزاهر مسرحا بديعا لخياله الخالق ، وهو في نظريته الداخلية والخارجية لا يقدم للناقد شيئا غريبا عنه ، فهو انسان مثله يرى ويحس ويتصور ويحكم ، ولئن ماتته ابداع الصور المنشئة فلهديه ابداع المحلل الشارح وقد تكون المقالة النقدية بانسجام بنائها وتسلسل انكارها وإباض لغتها وسر ابحاثها ذات متممة وجدانية لدى المتذوقين .

ولكن اي ناقد الذي يمتعنا بفنه الادبي كما يمتعنا بنظرة الفكري هذا؟ اننا نقرأ كل يوم في الصحف والمجلات - حتى الرصينة منها - لعمول تتسم بسمة النقد الظاهرية ولكنها لا تؤدي وظيفته الحقيقية فكم من ناقد يتعرض الى قصة او ديوان او مؤلف فلا يلج الى خوافيه ولا ينسر مراميه - مخالفا او مؤيدا - بل يكتفي بعرض هام يلم به من يقرأ مقدمة المؤلف في كتابه ، حتى قيل لكل موظف في مجلة او صحيفة انه يستطيع ان يكون ناقدًا ، وقد يكون عرض أبواب الكتاب والاشارة السريعة الى مضمونه ما يفيد القارئ ببعض الامادة ولكن صاحب هذا العرض لا يبت الى النقاد بسببوثيق مهما اخذ مظهرهم الخارجي في حديثه ونحن نشعر الآن بانخفاض المستوى الادبي في التأليف مما كان عليه في حقبة تربية ، ومرد ذلك في بعض أسبابه الى ضحالة النقد الادبي ، ومقتد الناقد الموجه ، الذي يملك القدرة على التشديد والتوجيه ، وليست الصفات المفروضة في هذا الناقد المسدد بالامر المعجز ، فهي مما يدخل في طوق نثر من الموهوبين لو تركوا الكسل الوداع ونشطوا السى العمل الديموب .

وأول صفات الناقد الهادف قوة البصيرة المستندة الى الذكاء اللامح ، فهو صاحب الرأي الممتاز في صفة ما تنتجه العقول المتارة من بيان ولا بد أن يجد لديه من النفاذ والعمق ما يسمفه بالتفسير الهادف ، والملاحظة القوية كما يمه برصيد هي من التجربة الفنية والحراية الشخصية بالبواعث والغايات ، ومبلغ ذلك كله من نفسه التي تتوهج بالفكر وتزخر بالمعاطفة والاحساس والتصوير وتلك ذخائر ثمينة يلمسها صاحب الاستعداد الاصيل في نفسه ليتصل بها الى ما يريد من التقييم والتقييم .

وهذه البصيرة المستندة الى الذكاء في حاجة ماسة الى الاطلاع المستمر على أحدث ما يجد من النظريات والآراء الدائرة في محيطه الفني ، لان سعة المعرفة تفتح آفاق النظر وتسلح صاحبها بالسوى عدده الماضية ، وكلما زادت هذه المعرفة منحت جناح صاحبها ريشا يخلق في آفانه المتراصة ، واذا كنا نرى الآن بعض من يدأبون من النقاد على الاطلاع ويحرصون على اقتطاف اشهى الثمار من الحقل العلمي ثم لا يبلغون باطلاعهم الواسع ما يريدون من صدق النقد وكمال التوجيه لذلك لان الاطلاع والواسع وان تنوعت رواعده لا يفيد الناقد اذا عدم البصيرة القوية المستندة الى الذكاء اللامح ، اذ ان هذه المعارف المختلفة الهذية جيدة تنيد الجسم اكبر فائدة ولكن على شريطة ان توجد الانسان القاضمة والمعدة الهاضمة بحيث تتحول الى دم حار قوي ينح الجسم نشاطه ويجدد انسجته وخلاياه بالذنين يمتنون في الاطلاع الدائب دون ان يسلحوا بالذكاء اللامح والخبرة الحصيفة لا يعطون الصورة الامينة للناقد المنشود .

وتأتي بعد قوة البصيرة وسعة الاطلاع صفة ثالثة للناقد الجيد وهي تجرده الخالص من ميوله الذاتية واهوائه الشخصية بحيث ينسى مصيبتة لما يمتنق من مذاهب حين يتجه الى النص بالنقد اذ ان هذه الميول الخاصة تفسح على الحقائق ستارا يحجب كثيرا من لائها الساطع ، ونحن نعلم ان الانصاف الادبي خلق عزيز النال لا يرتقى اليه غير ذوي العزم من اصحاب المبادئ النبيلة ولكنه على صعوبة مثاله موجود متحقق لدى قلة تتسم به وتصدر عنه نبيا تدلى به من الاحكام ومن غرائب النفس البشرية ان صاحب التعمص الذهني قد لا يلتفت في بعض احواله الى تعصبه بل يتجه اليه لا شعوريا تحت تأثير عوامل قوية بعيدة الخفاء في منطقة التأثير الباطني فهو صادق بينه وبين نفسه حين يعلن اليك تجرده النزيه في نقده اذا اردنا بالصدق موافقة النقد للاتجاه الشعوري في رأي الناقد ولكنه غير صادق حين نحلل اعماله الدفينة التي قد يجهلها جهلا تاما لنترك ما التي التعمص على عينيه من فحشاء ، وعلى القاريء ان يدرس ناقدته دراسة واقية ليملم مذاهبه التي يتمسك بها في مختلف امانين الرأي من سياسة وادب واجتماع ما دام يصدر عنها لا محالة ، فالتعمص الذهني كان ولا يزال مما يضع الحوائل الكثيفة دون الصواب الصريح اذ ان صاحب الاتجاه الديني أو السباسي أو الاجتماعي لا يستطيع التخلص من مبادئه

مجالاً ، بل نريد أن يكون هذا الود الإنساني مدعاة إلى تفهم الآخر على حقيقته من ناحية وهاملاً على قبول المنقود له وانتفاعه بما يحمل من تسديد وتوجيه ، فما أضر بالنقد في حديثه وتديبه غير قسوم رأوا الاستعلاء والسيطرة باب المواخظة والنقض فشنوا حرباً طاحنة كان الأولى أن تكون مسامرة هادئة حتى لقد وقر عند الناقد أن الشدة العنيفة هي طريقة التصويب والتقييم ، كما انتقلت العدوى إلى جمهرة القراء فأخذوا يتابعون أصحاب القسوة المفرطة معجبين ، وقد تعجب حين ترى بعض المتزعمين في ميدان النقد قد نالوا بسلطتهم المفرضة ما لم ينلّه الشرفاء من أبناء الكلية وأرباب الهدوء المتزن وأن كان مع هذه الجمهرة المشفوفة بقسوة النقد قلّة منصفة تنفر من الضجيج المفتعل ، وتسد أذنيها لدى الفرقة الصاخبة ، وهي طائفة المستنيرين من ذوي النظر البعيد ، ومن الحظ الحسن أن يكون هؤلاء على قلوبهم أداة الترجيح الحقيقية في المعركة إذ يقولون فيسمعون .

ونحن في عصر تقدمت فيه العلوم الإنسانية فتمشبت مروها واتسعت ميادينها وأصبحت تمد المثقف المعاصر بزاد دسم يمينه على النظر الثاقب والفكر الصحيح ، وإذا كان الناقد ملزماً كل الأزام أن يلم المأيا حسناً بخير ما ينتج الفكر الإنساني من علم وفلسفة ، لتتسع آفاقه الفكرية ، فقد شهدت المارك الأدبية في هذا العهد نقاشاً حاداً حول صلة هذه العلوم الإنسانية بالنقد المعاصر ، فذهب فريق من الكاتبيين إلى تعميم النقد ودعمه على أسس علمية ترتكز على هذه العلوم بمعنى أن تكون من علوم النفس والاجتماع والجمال أسس صالحة للنظر النقدي إذ أن عالم النفس حين يلم بالنفس الإنسانية ويعلم نوازعها المتباينة وتياراتها المتصارعة وما تسببه العقدة النفسية من صراع ، وما تلبه الغرائز من أهواء وميول فإنه يستطيع على ضوء هذه المعرفة النفسية أن يحلل النص الأدبي تحليلاً يبرز مكان القوة وأسباب الضعف في جملته وتفصيله ، كما أن عالم الاجتماع حين يرصد موقف الأديب من مجتمعه وأثر المجتمع في تكوين الأديب وتلوين مشاركته ، وتنازع أهوائه فإنه يلمس أثر ذلك فيما قدم من إنتاج أدبي ، وربما التمس له بعض العذر في ما يخالف وجهة النظر العامة بعض المخالفة ، وكذلك عالم الجمال الذي درس أصوله وألم بمقاييسه وعرف مدى ما توصل إليه في البحث عن حاسة الجمال وميزان الشيء الجميل فإنه بمقاييسه الجمالية يستطيع أن يزن الأثر الأدبي ميزاناً علمياً لا تميل به النوازع

الفكرية في سهولة مفرطة ليجنح إلى الحكم التزيه على أثر أدبي لا يرتضي منحاؤه وفي تاريخ النقد العربي أمثلة كثيرة لشيوخ يمتنون مذاهب خاصة في الحديث والتقديم تشل عقولهم من التفكير الصحيح ، فهناك من يتمصّب للجاهلين وحدهم ، ولا يكاد يفضل غيرهم في مجال الاستشهاد وهناك من يلسح صدره فيهم في الإسلاميين والامويين إلى دائرة رضاه ويقف موقف السخرية مما أحدثه أدباء العباسية من إنتاج ، كما وجد أيضاً من شيوخ النقد القديم من ينزع عنه رداء التمصّب ، وينظر إلى النص الأدبي نظرة مجردة من التمصّب لاتجاه معين يصدر عنه فيما يقول ولعل ابن تينية قد أفصح عن نفسه وعن غيره حين قال في كتابه عن الشعر والشعراء : « ولم أقصد فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له سبيل من قلّد أو استحسّن باستحسان غيره ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ولا المستأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين وأعطيت كلا حقه وولّمت عليه حظه فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم تائله ويضعه موضع متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده إلا أنه قيل في زمانه ورأى تائله ، ولم يتصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولاخص يوماً دون قوم بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده وجعل كل تديم منهم حديثاً في عصره ، وكل شرف خارجة في أوله ، فقد كان جرير والفرزدق والاخلط يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول لقد نبغ هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ثم صار هؤلاء قديماً عندنا ببعده العهد منهم وكذلك من يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والمتابي والحسن بن هانيء فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا عليه به ولم يرععه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه » .

ولابد أن نشير إلى صفة رابعة للناقد الجيد وهي الصفاء النفسي الذي يطبعه بطابع الهدوء السوادع ويمنحه اعتدال المزاج ، وأطمئنان الأعصاب فلا يثور لمخالفة أو يحتاج لتقيصه بل ينظر إلى الأثر نظرة الحكيم العالم بالبواهب المعطوف على الإنسانية في ضلعها وكبوتها ، فهو مع النص المنقود دارس متزن يعرف دواعي القول ، ويلقى صاحبه بابتسامة الود حين يشرح وجهة نظره ويضع نفسه مكانه مصوراً ما أشترج في صدره من الأحاسيس حين رسم خلجاته في ما قدم من إنتاج ، ولا نريد بذلك أن ينقلب النقد تقريظاً

الخاصة في شيء ، هذا ما ذهب اليه فريق من الباحثين وتطاحنوا من أجله مع فريق آخر يرى أن الدعوة إلى تعميم النقد الأدبي ودعمه على أسس علمية ترتكز على العلوم الإنسانية خطر داهم يحيط بالنقد الأدبي ، لأنه يصرف الناقد عن التذوق الفني الخالص إلى اصطلاحات علمية تلتقي على دراسته ظلمة مبهمة ، لا تساعد على ارتقاء ذوق أو تفهم احساس أذ يرون أن عمل الناقد الأول هو دراسة النص الأدبي وتفسيره في أفق الأدبي المتفوق بحيث يقف الناقد ليسجل خواطره الذاتية محللاً مسرراً دون أن يتعامل بمصطلحات تنف كالصخور الثقيلة في طريق القارئ دون جدوى . هذا بعض ما تنازع حوله الفريقان باذلين جهودهم الشاقة في التدليل والتعليل ، فأصحاب الرأي الأول يرون أن العلوم المختلفة تتشابه وتمتد لتقدم للذهن البشري غذاء يسد نظره وينير طريقه ، ولا بد من الإلمام بها لنصل إلى الحقائق الأدبية دون انحراف ، فإن العصر الحاضر هو عصر الدراسات التجريبية في كل مجال ولا بد أن تطبق هذه الدراسات على الإنسان ليفهم على ضوءها منازع انتاجه وبواهب خواطره ، وذلك مما يدعو إلى تثقيف الناقد تثقيفاً بصيراً ، لترتفع البحوث الأدبية إلى المستوى المنهجي ذي القواعد المضبوطة ، والموازن الدقيقة ، أما الذين يخالفون ذلك لهم في رأي دماء التثقيف العلمي انفعاليون لا يصبرون على بحث بل يسرعون إلى الاستجابة إلى تأثيراتهم السريعة عند القراءة العاجلة مما يدفعهم إلى الشطط في الحكم والانحراف من الجادة ، ولن يسكت أصحاب الرأي الثاني عن خصوصهم فهبوا يقولون أنهم ينسون وظيفة النقد الحقيقية وهي دراسة النصوص الأدبية ، وتحديد كل معنى وكل لفظ مع إيضاح صلة الإنكار وارتباطها وملاءمة الشكل للمضمون وكل اهتمام للمعارف الإنسانية على هذه الدراسة مما يعمد بالناقد عن ميدانه ، ولنا نقول بعدم جدوى هذه المعارف الإنسانية للناقد فهي توسع مداركه وتفسر غوامضه دون نزاع ، ولكننا نقول أن اهتمامها في النقد مما يطمس بريقه ويضعف تأثيره وهم بذلك يتفنون مع أصحاب الرأي الأول في جدوى هذه الدراسات ككفالة عامة للناقد ، ويختلفون معهم اختلافاً يصل إلى حد الغشوة والعنف في محاولة استخدام مصطلحاتها العلمية وأساليبها النظرية في عملية النقد ذاته ، ونحن

معهم في أن النقد الأدبي يجب ألا تتكرر مشاريعه بهذه التسميات النظرية والمصطلحات العلمية بل يظل في مستواه الفني واضحاً مشرقاً يخاطب الذوق والمعل والمعاطفة دون غشاء ، ولدينا المثال البارز على نساد التفريع العلمي في مجال النقد الأدبي بما نعرفه من انحدار علوم البلاغة في جهودها الأخيرة على يد العقنيين من أمثال السكاكي والقرويني والسعد وغيرهم ممن جانب مذهب عبد القاهر في الاستشفاف الذاتي المستند إلى الموهبة البيانية والخبرة الأدبية إذ أن هؤلاء العقنيين جعلوا من بحوث البلاغة الأدبية مجالاً للمنطق والفلسفة ثم خلف من بعدهم خلف نظر إلى هذه المباحث نظرة المأحكة والتبرير مختصت البلاغة خنقاً فيما كتبه من متون وحواش وتقريرات؟ فالرأي الفصل فيما نشب من حراك حول هذه العلوم الإنسانية أن يلم بها الناقد المأما يزيد من ثقافته ومهته على أن يعتمد عليها كل الإبتعاد في مجال التطبيق الأدبي إذ يقف أمام النص الفني وجهاً لوجه دون ستار، وقد ذهب معارضو اهتمام هذه النظريات العلمية في مجال النقد الأدبي إلى الاستشهاد بأقوال أساطين النقد الأوربي مثل لانسون الفرنسي حين يقول فيما ترجمه عنه الدكتور محمد مندور « أن الاصطلاح العلمي عندما ننقله في الأدب لا يلقي غير ضوء كاذب ، بل يحدث أن يلقي ظلمة ، وأمن في الروح العلمية موقف أولئك الأدباء الذين لا يدعون بناء أي شيء على نموذج غيره ، بل يتصرفون همهم على رؤية الوقائع الداخلة في مجال بحثهم ، والمثور على العبارات التي لا تخلف شيئاً خارجاً عنها ولا تضيف إليها إلا أقل ما يمكن والشيء الذي يجب أن نأخذه من العلم ليس كما قال مردريك وهو هذه الوسيلة أو تلك بل روحه » . وإذا كان الدكتور محمد مندور في طليعة من نادوا بالابتعاد عن اهتمام العلوم الإنسانية في مجال النقد الأدبي فقد أيد وجهته بما ترجمه من أساتذة النقد في فرنسا من مقالات وكتب تناقش هذه المسائل ، كما لم ينس إجداده العرب حين بحث من أقوالهم المتصلة بهذا الموضوع فنقل من ابن قتيبة قوله في مقدمة « أدب الكاتب » (1). ولو أن هذا المعجب بنفسه الزاري على الإسلام برأيه نظر من جهة النظر لاحتباه الله بنور الهدى وثلج اليقين ، ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب وأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها

(1) النقد المنهجي عند العرب لمندور ص 27 - النقد المنهجي ص 115 .

وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه أحدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحثري .

وواضح أن الأمدي يتحدث هنا عن الشاعر لا عن الناقد وقد يظن ظان أن الاستشهاد في غير موضعه ؛ ولكننا نقول أن النقد الأدبي في حقيقته الأصلية - عمل أدبي كالشعر ، وكاتب النقد كناظم القصيدة يجب أن يقدم نقده واضحا شافيا بعيدا عن غموض العويص من اللغة والدقيق من المصطلحات ؛ وإذا كان للشاعر أن يتشقق بالدراسات الإنسانية كما يتشقق الناقد فان مصطلحات هذه الدراسة لا يجوز أن تنتقل إلى القصيدة الشعرية كما لا يجوز أن تنتقل إلى الكتابة النقدية سواء بسواء .

وإذا كنا نعرف أن النقد الأدبي يقوم على الذوق المستشف البصير بمراتي النبوغ ومهاوي الضعف في الأثر الأدبي ، فليس لكل قارئ أن يقيم من ذوقه الخاص ناقدا يصدر الأحكام الأدبية ويوزعها ذات الشمال وذات اليمين كما يشاء ، ولكن صاحب الاستعداد الفطري بالطبيعة والمكتسب بالقراءة والموازنة وسعة الخبرة هو الذي يستطيع النفاذ إلى النص الأدبي تحليلا وتفسيرا وحكما ، وهو القادر على أن يندمج فيها يقرأ اندماجا يوحي له بكل ما يمين من تقدير أو مؤاخذة ، مستعينا بعاطفته ومقله وحسه على أداء وظيفته النقدية ومستجيبا إلى هوائه نفسه فيما توحي به من ارتياح أو نفور ، ولحق ما أدى إليه تمرسه الطويل ومزاويلته المستمرة في محيط العمل الفني لذوق الناقد لا يقف به عند مجرد الاستحسان أو الاستهجان بل يهديه إلى حيثيات ما يصدر من حكم يكن وراءه الذهن الصافي والقرينة الخصبة والحس المتيقظ لادق الخلجات وأبعد اللوامح ، ونقد يخالف الناقد الذواقة زميله الذواقي في حكم ، ويكون كلاهما صحيح النظرة سليم الاتجاه لأن الطلية الأدبية تتسع لاكثر من اتجاه ، ولأن الطبيعة البشرية تفرق في مدى الاستجابة وقوة الإيهام وفق ما لابس الناقد من خبرات قد تختلف في بعض تجاربيها من خبرات زميله، ومن هنا نجد الناقدين الكبيرين يحكمان على القصيدة أو المسرحية أو المقالة بما قد تفرق به الاتجاهات ، ومن البعيد أن يبلغ الاختلاف بينهما درجة التفساد والتباين وأن وقع ذلك فهو من الندرة بحيث لا يمثل قاعدة مطردة إذ أن المسلم به أنه توجد مع عوامل الخلاف عوامل أخرى للاتفاق تحول دون التضاد الصريح ، إنما يكون هذا الاختلاف بين الناقدين

مغضب لذلك وعاداه وانحرف عنه إلى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون وقتل فيه المناظرون له ، ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم لماذا سمع الغمر والحدث الغر قوله ، الكون والفساد ، وسمع الكيان والاسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والاختبار المؤلفة ، راعه ما سمع وظن تحت هذه الالتاب كل فائدة ولطيفة لماذا طابمها لم يحل منها بطائل إنما هو الجوهر يقوم بنفسه ، والمعرض لا يقوم بنفسه ، ورأس الخط التمتلة ، والتتملة لا تقسم ، والكلام أربعة ، أمر وخبر واستخبار ورغبة . ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي الأمر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر . والآن حد الزمانين مع هذين كثير ، والخبر ينقسم إلى تسعة آلاف وكذا وكذا مائة من الوجوه ، لماذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالا على لفظه وتيدا للسانه وعيا في المحائل وغفلة عند المتناظرين » ، ولن نعلق على نقل الدكتور مندور عن ابن قتيبة بشيء سوى أن صاحب « أدب الكاتب » قد ذكر ما يدور من اصطلاحات العلوم في عصره مما تداوله علماء المنطق والفلسفة والكلام من أمثال الجوهر والمعرض والكيف والكمية ، ولكل عصر مصطلحاته وتواعده ، فما يذكر اليوم من مصطلحات علوم النفس والاجتماع والجمال شبيه بما دار في عصر ابن قتيبة من غوامض التعريفات ولم يكتف الدكتور مندور بقول ابن قتيبة بل عززه بما ذكره أبو القاسم الأمدي في الموازنة بين الطائيين حيث قال بعد نقل متشعب :

« وإذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة - طريقة السهولة والوضوح - وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعاني من فلسفة يونان وحكمة الهند ، أو أدب الفرس ، ويكون أكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب ، وإن اتفق في تفاسيف ذلك شيء من صحيح الوصف وسليمه قلنا له قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة فإن شئت دهونك حكيما أو سمينك فيلسوفا ولكن لا نسيمك شاعرا ولا ندهوك أدبيا لأن طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم فإن سمينك بذلك لم نلحك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء ، وينبغي أن تعلم أن سوء التأليف وردى اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق وينسده ويمحيه حتى يحتاج مستمعه إلى تأمل وهذا مذهب أبي تمام في معظم شعره ، وحسن التأليف

مداد علم البيان على حكم الذوق السليم الذي هو  
انفع من ذوق التلميم ، وهذا الكتاب وان كان ليس  
يمليه عليك استاذاً واذا سئلت مما ينفع به قيل لك  
هذا ، فان الدربة والادمان اجدي عليك نفعا ، واهدي  
بصرا وسعما ، وهما يريانك الخبر عيانا ويجعلان  
مسرك من القول امكانا ، وكل جارحة منك قلبا  
ولسانا ، فخذ من هذا الكتاب ما اعطاك واستنبط  
بادماتك ما اخطاك ، وما مثلي فيما جهده لك من هذه  
الطريق الا كمن طبع سيفا ووضعها في يمينك لتقاتل به ،  
وليس عليه ان يخلق لك قلبا فان حمل النصال غير  
مباشرة القتال .

هذه خطرات امهد بها للحديث عن النقد العربي  
في اطواره المتعاقبة لنعطى القارئ اضاءا تهديه في  
ارتداد طريق ممتدة الشعاب ، وهي بعد خلاصة  
مركزة لبعض ما يدور حول هذا الفن من آراء تشغل  
النقد والناقدين .

الكبيرين غالبا في درجة الحكم ونسبته فهو يترجح بين  
الحسن والاحسن او الجيد والاجود او الضعيف  
والاضعف ، وهذا حين يكون النقد غنيا تائريا لا مذهبيا  
مقائدا حيث يلتزم الناقد باتجاه ديني او اجتماعي او  
سياسي يدعو اليه ، فمن الممكن اذن ان يصل الخلاف  
بين الناقدتين الى درجة التضاد ، ومن حسن الحظ ان  
النفوس اصبحت تفتق بالنقد المذهبي في مجال الادب  
الخالص ، وتراه عامل تعصب لا يهدف الى الحكم  
المجرد التزيه انما النقد ذوق خالص مفتوح يستوحى  
النص دون تقيد او تضيق ، وهذا الذوق هبة عليا  
تمنح لذوي المواهب وتصل بالقراءة والنظر والتمرس  
البصير ، ويهمننا ان ننقل عن ناقد عربي كبير رأيه  
الخاص في تقدير الذوق الموهوب وارتكاز النقد الادبي  
عليه ارتكازا يجعل كل تعليم دائب لا يكاد يفني عنه  
شيئا ذلك هو ضياء الدين بن الاثير حيث يقول في  
مقدمة « المثل السائر » « اعلم ايها الناظر في كتابي ان

# الحضارة الإسلامية

## بين الماضي... والمستقبل (١)

الأستاذ أحمد عبد الرحيم سايح " القاقره "

إذا كان ابن خلدون قد بلور هذا المعنى التاريخي واعتبر الحضارة غاية العمران فان مفهوم الحضارة في العصر الحاضر قد امتد الى الوان من المعنى ، هي ابعد واوسع مما رآه ابن خلدون في عصره ، وفي بيئته العربية في انتقالها الاجتماعي والسياسي والمدني من البادية الى الحضرة .

ولئن كان بعض العرب القدامى قد استعملوا لفظ « مدني » بمعنى « اجتماعي » فان مفهومها آخر ظهر واتصل بها ، اصبح الآن يعرف باسم المدنية .

وابن خلدون نفسه كان سابقا ايضا في هذا المجال اللفظي فاستعمل كلمة « التمدن » وكان يعني بها « التحضر » .

على ان تلك المفاهيم اللغوية انما نشأت في بيئة عربية كانت حياة الحضرة فيها تقابل حياة البادية . ولكن هذه الحالة من التقابل لا تكاد توجد بصورتها التقليدية الا في جهات قليلة جدا خارج العالم العربي .

ولذلك فان لفظ الحضارة في مفهومه العالي ومفهومه الحديث المعاصر بصفة خاصة قد اصبح اكثر اتساعا مما كان يدل عليه في مفهومه اللغوي والتقليدي واذا كان اصل معنى الحضارة « بفتح الحاء وكسرهما » الإقامة في الحضرة . فان المعاجم اللغوية الحديثة تعرف الحضارة في استعمالها المولد

بمناز الاسلام بانه دين الحضارة الانسانية الكاملة : بمعنى انه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة .

وانه انشا لونا من الحضارة عرف باسمه . وهو الحضارة الاسلامية .

ومفهوم كلمة الحضارة مفهوم تطور مع الزمن لاسيما في تاريخ الحياة العربية الاسلامية . والمفهوم الاصيل لكلمة الحضارة في اللغة العربية انها : -

تعنى حياة الحضرة والإقامة الثابتة في المدن والقرى وعكسها البداوة . وهي حياة التنقل من البادية . ولقد عرف العرب الفارق بين حياة البادية وحياة الحضرة منذ كانت بادية وكان حضر .

وكان اول من تصدى لهذا التمييز على أساس من الدراسة والتسجيل والتحليل العلمي هو العلامة عبد الرحمن بن خلدون . بل ان هذا العالم العربي هو اول من عالج شؤون الحضارة بطريقة علمية تحليلية .

على انه اذا كان ابن خلدون قد بلور مفهوم الحضارة عند العرب على انها ذلك النمط من الحياة المستقرة . والذي يناقض في مفهومه البداوة . فينشئ القرى والمدن ويضفي على اصحابها فنونا منتظمة من العيش والعمل والاجتماع والمسلم والصناعة وادارة شؤون الحياة .



المطاء بانها : مظاهر الرقي العلمي والفني والادبي والاجتماعي والاقتصادي في الحضرة .

وقد يكون من المفيد معرفة مفهوم لفظيتين آخرين لهما في الحياة الانسانية شان كبير والسر واضح . وهما : الثقافة والمدنية .

فاصل مادة التشذيب في اللغة العربية : التشذيب والتهديب والتقويم والحدق والفظانة والمعاجم اللغوية تعرفها في الاستعمال المحدث بانها : العلوم والمعارف ، والفنون التي يطلب الحدق فيها . ونستطيع ان نقول انها : تشمل كل ما يتصل بالروح والفكر والعقل والدوق والشاعر ، وهي حصينة الحياة الانسانية في مجالات الحياة كلها . وتجمع انماط الحياة الروحية والفكرية واللغوية والادبية والفنية . ولها صورها التي تتعدد وتتلاقى بين الشعوب والتي يتصل بعضها بتراث للانسانية مشترك ، ويتصل بعضها الاخر بحياة جماعات بلدانها دون سواها .

ومادة مدن وتمدن متصلة بالمدينة والعيش فيها والاخذ باسباب الحضارة وقد اتصل لفظ المدينة في المفاهيم الجارية بالجانب المادي والمظهري من الحياة . وذلك من حيث مقوماتها الطبيعية ومنشأتها المموسة .

وكذلك من حيث الانماط الميشية في اسسها المادية . وفي صورها المحسوسة في حياة المجتمع . وما يتصل بهذه المظاهر المادية والمحسوسة في حياة الجماعة من قواعد ونظم وامراف .

والحضارة بمفهومها الحديث هي : الحصيلة الشاملة للفنية والثقافة ومجموع الحياة في صورها وانماطها المادية والمعنوية .

وبعبارة اخرى هي : الخطة المريضة التي يسير فيها تاريخ كل شعب من الشعوب على الارض ومنها الحضارات القديمة والحضارات الحديثة والمعاصرة ومنها الاطوار الحضارية الكبرى التي تظور انتقال الانسان او الجماعات الخاصة من مرحلة الى مرحلة .

ولئن كان الاسلام قد امتاز بانه دين الحضارة الانسانية من حيث تقييس حرية الفكر ، واهزاز حرية الانسان وكرامته . وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس في ظلال آخاء شامل ، وهنل

نام وروحانية صالحة واهتزاز بالمثل العليا والقيم الاخلاقية الرفيعة .

فان واقع الامر يبين للدارس والباحث والمفكر ان الحضارة الاسلامية استمدت مقوماتها ومناصرها ووجودها واسباب نمائها من الاسلام ذاته .

واذا كان ظهور الاسلام قد سبق في الجزيرة العربية وما جاورها حضارات اقدم منه . كما سبقته ايضا في البلاد التي انتشر فيها الوان من الحضارات القديمة ذات الطابع المحلي او الاقليمي .

فان الاسلام يعطيته الذاتية استطاع ان يصفي على البلاد التي شملها لونا مشتركا من الفكر الديني والحياة والمعاملات والعلاقات الانسانية الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية حتى اصبح هناك قدر حضاري مشترك بين المسلمين فسي مختلف الاقطار وبلاد الدنيا .

### دعائم الحضارة الاسلامية :

( 1 ) ان الاسلام قد انطوى على طاقة روحية جعلت منه قوة فاعلة بل ان فاعليته في هذه الناحية شملت حياة الافراد والجماعات من جميع الجوانب . فهي ثورة روحية وثورة في العبادة والنفوس وثورة في الحياة العممية والمعاملات . وثورة في النظم الاجتماعية بل وفي نظم الحكم وصلة الحاكم بالحكوم وكذلك في تشريعات الجماعة والاسرة .

والشيء المهم في هذه القوة الفاعلة انها كانت اصلاحا جذريا يمس اساس الاوضاع في حياة الناس .

( 2 ) ان الاسلام كان منذ يومه الاول دين دعوة له رسالة يجب على المسام ان يبلغها الى الناس كافة . وكانت حياة الشعوب واتصالاتها قد اهلتها لان تتلقى الرسالة الالهية التي فرضت على اصحابها ان يبشروا بها بين الناس شرقا وغربا .

وفكرة الدعوة في العقيدة الاسلامية قد واتتها ظروف الانتشار في النطاق العالمي وبالتالي تمكن الاسلام من ان يبشر طابعه الحضاري كعقيدة وكنمط للحياة .

( 3 ) كان الاسلام ديننا سهلا غير معقد ولا مركب في عقيدته ونظمه وعماليمه وكان في الوقت

ذاته ، دينا مباشرا يتصل فيه الانسان بخالقه دون وساطة .

قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » وقد كانت البساطة فى العقيدة الاسلامية شاملة للعبادات ، والمعاملات جميعا .

وما نظن دينا يطلب الى الفرد شهادة ايسر من شهادة الاسلام على عمقها وعظمتها « لا اله الا الله محمد رسول الله » عبارة سهلة رائعة تقف بالانسان على عتبة الاسلام موقفا سهلا .

وكانت القاعدة الثابتة لدى من بشر بالاسلام ، ان الدين يسر لا عسر « ومن هنا كان الاطمئنان الروحي والفكري اول ما يستشعره من يدخل فى دين الله خصوصا وان اعتناق العقيدة كان لا بد ان ياتى مباشرة دون وساطة او وكالة . على انه من الحق ان نذكر ان هذه البساطة لم تنته بالضرورة الى ذلك القدر من المرونة الذى قد يشوه التطبيق .

ولعل المقوم الاصيل الذى لم يجعل البساطة تنقلب الى مرونة مشوهة ، هو ان القروان كان وعاء للعقيدة كلها . حفظها على مر المصور واضفى عليها الطابع المشترك فى مختلف البيئات وتحت مختلف الظروف .

( 4 ) كان الاسلام دينا رحبا يقبل الاجتهاد ، ويدعو اليه فى حدود اصول العقيدة . وكان يدعو الى سبيل العقل كما يدعو الى سبيل الضمير والحق . ومن هنا كانت الدعوة الى النظر والى المعرفة اساسا من اسس الدعوة الاسلامية وكان التفتح البصير مفتاح الدعوة الحضارية .

والاسلام فى رحابته الحضارية استطاع ان يمتص اوان الحضارة فى البلاد التى انتقل اليها وان يسبغ عليها طابعا اسلاميا شاملا .

( 5 ) كان الاسلام دينا للدنيا والاخرة معا ولى هذا قد اختلف عن كثير من الديانات والعقائد التى ينبع بعضها فى ماديات الحياة ثم يضي عليها مسحة من العبادة او الفلسفة ويتبع بعضها الآخر فى مجال الروحية التجريدية .

وقد ترتب على ما اصف به الاسلام من جمع بين الروح والمادة انه اصبح دينا رحبا حيا يلائم حياة الناس ومنطق التطور . كذلك اصبح الاسلام

اكثر التصاقا بالحياة فى مفهومها الحقيقي وصورتها الواقعية . وفى الوقت ذاته اصبحت العقيدة على اتصال دائم بالبناء الحضاري فى مجال المدنية من جهة والثقافية والروحية والعقلية بل والاجتماعية من جهة اخرى .

( 6 ) كان الاسلام دين قيم وضوابط سلوكية مادية ومعنوية . وهذه القيم يتصل بعضها بحياة الافراد ويتصل بعضها الآخر بحياة الجماعات .

فالاسلام اعطى نظاما متكاملًا للحياة سواء من وجهة نظر الفرد ام من وجهة نظر الجماعة . وهذا النظام شمل علاقات الافراد وكثيرا من نواحي الحكم ذاته .

وقد يكون من ابرز القيم التى استند اليها نظام الحياة الاسلامية فكرة القيمة الدائمة للانسان . واستنادها الى فكرة المسؤولية الفردية « كل نفس بما كسبت رهينة » « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » ثم فكرة الاخاء التى تجعل الانسان المسلم ينتمي الى جماعة المسلمين ويحس بأنه مضمون من امضاء الجماعة المسماة بعمل مصلحة الجماعة والجماعة تسمى للارتفاع بمستوى الفرد . فهو جزء من كل يكمله ويكتمل به ويعطيه ويأخذ منه ويحميه ويحتمي به .

وليس فى الاسلام انفصال بين مسؤولية الفرد نحو المجتمع ومسؤولية المجتمع نحو الفرد لان هاتين المسؤوليتين هما اولى وسائل الاسلام فى اصلاح الانسانى العام .

والاسلام من ناحية اخرى اعترف بالقيمة الدائمة للافراد باعتبارهم مدينين بوجودهم لله مسئولين امامه عن اعمالهم « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم » والاسلام حينما جعل الفرد مسئولا عن اعماله والمسؤولية - هنا تقع عليه وحده - الاسلام جعل ذلك ليرفع من قيمة الانسان الذاتية ويوصل به الى اعمال الخير والقدرة على الدفع والبناء . وفى الوقت نفسه الانسان لبنة من لبنات المجتمع الانسانى يعمل لمصلحة الجميع .

والاسلام لا يعترف بالفهرية التى يدمج بها الفرد فى المجتمع قسرا ورغمما منه كما فى الشيوعية لان الشيوعية من الوجهتين العملية والنظرية تستغني عن الفرد ان لم يخدم فرض الدولة او ان لم يتبع طريقة الحرب دون تقاضى .

7) البيئة بعواملها المحلية وموقعها الجغرافي قد ساعدت على إعطاء الحضارة الإسلامية ما كان لها من طابع ومن مكانة . ولقد كانت الجزيرة العربية ذاتها منطقة وصل بين اطراف العالم عند ملتقى القارات الثلاث في العالم القديم . ومن شواطئها تمتد بحار الشمال بادئة بالبحر المتوسط ، وبحار الجنوب بادئة بالبحر الاحمر والخليج العربي . وقد كان عدم اتصال المياه بين الشمال والجنوب سببا في ان شبه جزيرة العرب كانت نقطة تغيير في وسائل المواصلات وفي ظهور دور الوساطة الذي كتب للعرب ان يقوموا به ولم يكن الامر في ذلك بالطبع مجرد التوسط الجغرافي على اهميته . وانما كان الامر اوسع واهمق .

فهو توسط من ناحية الطبيعة البشرية ، ومن ناحية السنوك الانساني ، ومن ناحية الاعتدال ، في كل ما يتصل بالمادة والمعنى في الحياة . وهي امور اتصلت كلها بطبيعة البيئة العربية . ومن هذه البيئة الوسط انتشر الاسلام شرقا وغربا بالبر والبحر على حد سواء .

8) القرءان الكريم ذاته وذلك ان القرءان لم يكن كتاب دين ، بحث على العبادة والتوحيد . وما يتبعها من عقائد ومبادئ واوامر ونواهي ، كان دستوراً من اعظم الدساتير الصالحة التي عرفتها الانسانية في تاريخها الطويل الممتد عبر الزمن وذلك بما تضمنه من القواعد الرصينة الكفيلة بقيام المجتمع الانساني السليم .

ولقد كان اول اثر من آثار القرءان في الفكر الانساني اهتمامه الواسع بالعلم وذلك ان العلم اساس التقدم ومرءاة نهضة الامم وعنوان حضارتها . وقد كانت عنابة القرءان بالعلم تفوق حد الوصف ، تأمل القرءان وتدبر آياته تجده يدعو الى تحكيم العقل والمنطق في مظاهر الكون واحداث الماضي . والقرءان نفسه مشتق من القراءة والقراءة ادنى مفاتيح العلم للانسان واول ما نزل على محمد عندما كان يتحدث في غار حراء خمس آيات هي قوله تعالى « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

ففي هذه الآيات الخمس بدأ الوحي الالهي بالقراءة في اول آية وكررها مرة اخرى في الآية

الثالثة ووضحها مؤكدا ما رمى اليه من معنى وهو التعليم وراد التأكيد بذكر القلم ثم لفت النظر الى الاصل الذي خلق الله منه الانسان وهو العلق وفي قوله تعالى « علم الانسان ما لم يعلم » ما فيه من مكنون اسرار هذا الكون مما سيمر به الانسان عبر مسيرته في هذه الحياة وحتى نهايتها .

واول قسم في القرءان اقسام به رب العزة في ثاني آية نزلت بعد الامر بالقراءة صدر بحرف من حروف الهجاء وكان بالقلم وبما يسطر العالمون « ان والقلم وما يسطرون » فاول سورة نزلت من القرءان سورة العلق ومن العلق يخلق الانسان وكانت السورة التالية في النزول بسورة العلق هي سورة القلم « والقلم يكتب ويتعلم الانسان » .

فانسانية الانسان لا تكون الا بالخلق ولا تتم الا بالعلم « الرحمن علم القرءان ، خلق الانسان عنمه البيان » .

وما الطف قول الشاعر :

إذا افتخر الإبطال يوماً بسيفهم  
وعدوه مما يكسب المجد والكرم  
كفى قلم الكتاب مجداً ورفعة  
مدى الدهر ان الله أقسم بالقلم

والقرءان دائما يهتف بالانسانية « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » والقرءان يرفض ان يقف بالعلم عند حد بل يفتح للانسانية باحة ليس لها نهاية .

ولقد وضع الاسلام القواعد السليمة لوزن المعلومات . وتمييز صحيحها من زائفها فقرر ان المسائل لا تأخذ طابعا علميا ولا ترتقى الى درجة معلومات الا اذا قامت عليها بيئة واستندت الى دليل ومن ثم كان القرءان ينادي دائما « هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ، « هل عندكم من علم فتخرجوه » « اثبتوني بكتاب من قبل هذا او اشارة من علم » « ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » .

وهذه الآية الاخيرة تنهى عن اتباع ما لم يقم به علم يستند الى حجة سمعية او رؤية بصرية او براهين عقلية وهي طرق الاستدلال التي تنحصر في العقليات والسمعيات والمحسوسات .

وهذا الميزان الذي وضعه الاسلام يدفع الناس دفعا الى تلمس الادلة . ويمشي بهم في طريق النور والمعرفة ومظاهر الكون والرفي .

ولقد دعا الاسلام الناس ان يمعنوا فكرهم في هذا الكون الفسيح وينموا النظر فيما حوى من عجائب ، ليستفلوا ما حواه من موارد ويستكنهوا اسراره واسباب الحياة فيه قال تعالى « قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق » .

وقال تعالى « قل انظروا ماذا في السماوات والارض » ولم يكتف القران بهذا بل ردد كلمة العلم ( بجميع اشتقاقاتها وتصريفها في سورة وآياته زهاء سبعمائة وخمس وستين مرة وهذا وحده يكفي لتقدير المنزلة التي رفع القران « العلم » اليها . وكلمة العلم في الاسلام عامة تشمل مختلف قطاعاته وتعدد اغراضه ومراميه .

وهذا كله دليل على ان الشخصية الانسانية لا يرقىها شيء غير العلم « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والقران مليء بالايحاءات لتنمية القوى العقلية المفضية الى النظر في البراهين الدالة على قدرته سبحانه وتعالى الداعية الى التفكير والتأمل في هذا الكون العجيب الذي يمتلئ بالظواهر الطبيعية التي تسير في نظام ودقة عجيبين .

( 9 ) اللغة العربية نفسها فهي : من اعرق اللغات العالية منبتا وازها جانبا وافواها جلادة ، وابلفها عبارة واغزرها مادة وادقها تعويها لما يقع تحت الحس ، وتعبيرا عما يجول في النفس وذلك لرونتها على الاشتقاق ، وقبولها للتهذيب ، وسعة صدرها للتعريب

نزل القران الكريم بلسانها فجعلها اكثر رسوخا واشد بنيانا والقوى استقرارا وبفصل القران صارت ابعاد اللغات مدى واوسعها الفقا واندرها على النهوض بتبعاتها الحضارية عبر التطور الدائم الذي تعيشه الانسانية .

واستطاعت في ظل عالمية الاسلام ، ان تتسع لتحيط بابعد انطلاقات وترتفع حتى تصل ارقى اختلاجات النفس .

فليس هنالك معنى من المعاني ولا فكر من الافكار ولا عاطفة من العواطف ولا نظرية من النظريات تعجز اللغة العربية عن تصويره بالاحرف والكلمات تصويها صحيحا هي المقاطع واضح السمات بارز القسامات .

هذه اللغة فتحت صدرها لتراث الانسانية الغالدة ومعارف البشرية الرائعة كما اسمت لمقومات الامة الانسانية الاسلامية التي شرفت بالحضارة وغربت .

برزت الى الوجود قوية تتمتع بقوة لفة بالفة اشدها ، فما عرف التاريخ لها طفولة وما بدت الا لتكون لسان الحضارة الاسلامية في ظلال القران .

ولقد اشترك مع اللغة العربية لغتان اخريان يكونهما لغتين عموميتين لانكار دينية ومقائدية ومذاهب سياسية انتشرت بين شعوب مختلفة : وهاتان اللغتان هما اللغة اليونانية واللغة اللاتينية .

فقد كانت اللغة اليونانية تستعمل مسن « كمبانيا » في ايطاليا الجنوبية الى الجزر البريطانية ومن نهر الراين الى جبل الاطلس .

واستعملت اليونانية من اقاصي صقلية الى شاطيء دجلة ومن البحر الاسود الى تخوم الحبشة لكن ما اضيق ذلك الانتشار اذا ما قوبل بانتشار العربية التي امتدت الى اسبانيا وافريقيا حتى خط الاستواء وجنوب اسيا وشمالها الى ما وراء بلاد التتار فقد استولت لفة العرب الكتابية على جميع انحاء الشرق الاسلامي .

لقد اتمت اليونانية واللاتينية في صف اللغات الميتة منذ هبطت مدينتاهما فما الذي حفظ اللغة العربية حية ؟

قالت الكاتبة « مي » ان الذي كان باعثا على قيام الحضارة العربية الاسلامية هو الذي ما زال حافظها الى اليوم وهو القران، لقد كان الاسلام يرمي الى التوحيد سواء في الدين والسياسة واللغة .

لذا ستظل اللغة العربية حية ما دام الاسلام حيا فمن ذا الذي لا يعرف للقران فضله في بقاء اللغة العربية حية ؟ ومن ذا الذي يجهل ان اللغة العربية بالفة ما بقي الاسلام ؟ من ذا الذي لا يعترف بما ادته هذه اللغة من خدمة للانسانية وبانها كانت الصلة الوحيدة بين حضارات الماضي وحضارات اليوم .

لقد اندثرت جميع اخواتها السامية من  
آرامية وكنعانية وكلدانية وسريانية واشورية  
وغيرها في حين بقيت هي على رغم ما مر بها  
من عصور الركود وما نشأت نفيض قوة وحيوية .

انها الرابطة النفسية التي تربط بين اهل البلاد  
والصيغة الجميلة التي تودمها مكنوناتها العقول  
والقلوب جيلا بعد جيل .

هذه اللغة وسمت مباديء ومثلا مليا لم تضق  
بها ولم تنكلم من احتمال اعيانها بل في ظل حضارة  
الاسلام مرتت وامتصت وتفاعلت ونمت نماها  
الطبيعي المتطور من داخلها وهضمت خلاياها القوية  
كل ما قدم لها من خارج محيطها حتى تعطلت  
واتسعت آفاقها وانتشرت ظلالها وقضت في دورانها  
العظيم على كل ما يقف في طريق انبعاثها وتفوقها  
وكل ما يعرقل انطلاقها ويثقل اجنحتها من التحليق  
والارتفاع واستطاعت بقوتها الدائبة ان تقشع  
اللهجات الغامضة وتخرج من كل جولة - جالتهافي  
صراع - بغذاء مفيد ودماء جديدة وقدرة فائقة وطاقة  
خلاقة .

هذه اللغة دعمها القردان اذ اخذت تفرض  
سلطانها في بيئات جديدة في اقطار الارض ولم  
تمض حقب طويلة حتى فطدت لغة الشعوب من اواسط  
اسيا حتى جبال البرانس في شمال اسبانيا ولم  
تستطع لغة من لغات هذه البيئات ان تثبت لها او  
تحول بينها وبين سيادتها .

وقد يكون من اسباب ذلك انها لغة القردان وقد  
يكون من اسبابه قوتها وجمالها الفني بحيث لم  
تستطع ان تقف لها لغة من لغات هذه البيئات ومهما  
تكن الاسباب فانها اصبحت لغة قوية لامم وشعوب  
قد تختلف وتباين في اجناسها واصل نشأتها ولكنها  
لا تلبث ان تعيش لها وبها وتحيا فيها حياتها المنوية  
الادبية والعقلية .

والعربية ما تزال لغة الشرق الاسلامي من  
الطليح الى المحيط الاطلسي تتوهج جدوتها وترسل  
اشعتها وشروها الى كل مكان حتى في امريكا تناول  
منها المهاجرون الى تلك الديار النائية اقباسا لا تزال  
تضئ في المجلات والانار الادبية .

وواضح انها اجتارت آمادا واحتيايا متطاولة من  
الزمن وقد المت بها خطوط كثيرة ولكنها وقفت في

طريقها كالصخرة في مجرى السيل يلزم بها ثم  
يرايها ، وليس معنى ذلك انها ظلت جامدة لا تتطور  
بل لقد تطورت اطوارا كثيرة بحكم ما تلقت من ثقافات  
الفرس واليونان والهند ومصر واسبانيا اللاتينية .  
فوسعتها جميعا وتمثلتها تمثلا منقطع النظير وكانما  
اصبحت نهرا كبيرا تتدافع اليه جداول حتى من  
المعرفة والفكر وهو لا ينحرف ولا يغير وجهته بل  
يجري هزيرا زاخرا متفتقا مقتحما كل ما يصادفه من  
حواجر وسدود بين الامم والشعوب ، ولقد وحدت  
العربية بين هذه الامم والشعوب فاذا هي عالم واحد  
مهما تداننت وتباعدت ومهما شرتت او هربت .

لغة كريمة انضجها الزمان المتطاول واخرجتها  
الفطرة السليمة والاحساس المرهف والادراك النافذ .

لغة تكاد تصور الفاظها مشاهد الطبيعة وتمثل  
كلماتها خطرات النفوس وتتجلى معانيها في اجراس  
الالفاظ تتمثل في نبرات الحروف كأنما كلماتها  
نبضات القلوب ومشاعل الحياة ، فالعاني المحسة  
والمعقولة مبينة في الفاظ تدرك الفروق الدقيقة بين  
الاشياء المتشابهة فتضع للشبه لفظا غير ما وضعته  
لشبيهه ادراكا للفروق الدقيق بينهما فاذا وضمت  
بعض اللغات للضرب مثلا كلمة واحدة وضمت العربية  
كلمات تختلف باختلاف مالة الضرب وموضعه من  
الجسم واذا دلت اللغات على صفات الوجه الانساني  
مثلا بكلمات مركبة لكل صفة دلت العربية على كل  
حلية في الانسان وكل صفة في عينيه وحاجبيه  
وانفه ولحمه واسنانه وغيرها باسماء خاصة وليس  
هذا مقام التمثيل والتفصيل .

ثم هذا الاحساس الحاد الدقيق المتمثل في  
المفردات يتجلى في التركيب مدهشا ، فكل كلمة لها  
في الجملة مكان يحس بها المتكلم وان شئت فقل  
تحس بها الكلمة نفسها فتعطي او تأخذ صوتا مكافئا  
لهذه المكانة فالكلمة الاصلية لها اقوى الاصوات وهو  
الضم والاخرى لها الفتح والجر .

وما هذا الا ضربا من الحياة في الالفاظ  
والتركيب يبين عن ادق الاحساس والطفه واذا  
اشتملت اللغات على كلمات هي مادتها ، ففي اللغة  
العربية مادة وقوالب يستعملها صاحبها حين الحاجة ،  
فيها مادة ووزن نخذل المادة او اخلقها او استمرها من  
لغة اخرى ثم صيها في قالب من قوالب الاسماء  
والافعال وصورها بالقوالب او الاوزان، فمن سمع

فاعلا او مفعولا ادرك ان هذا الوزن في حركاته وسكناؤه  
معنى يلازمه في المواد كلها وبهذا امتازت العربية  
واستبانة خصائصها حتى نفت من نفسها كل كلمة  
اجنبية ما لم تخضع لاوزانها وقوانينها وللأسماء  
اوزان وللانفعال اوزان فما لا يزنه هذه الاوزان فهو  
اجنبي وبهذا بقيت على الدهر المتناول نقية .

ولقد اختبرها التاريخ الطويل فلم تعجز ولم  
تعي ولم تصق بكل ما ادركه الانسان من علم وثقافة  
من صناعة بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والامم  
المختلفة غير كارهة ولا مكروهة .

ولقد اراد الله لها ان تكون لغة كتابه وترجمان  
وحبه وبلاغ رسالته فاشتملت على العالم الحسي  
والعقلي مصورا في كلمات ودايات وجوزيت على هذا  
خلودا ما خلد للانسان عقل وقلب وما استقام له  
ادراك واحساس .

وتقلب الزمن وتواتت المحن وثارَت الفتن  
والعربية ثابتة ناضرة وامحت لغات وخلقت لغات  
وبدلت لغات وحرفت لغات والعربية هي العربية لم  
تمح ولم تتغير ولم تبدل .

ما آية الخلود بعد هذا ؟

ولم تبق العربية لغة العرب وحدهم بل ثقفتها  
الامم الاخرى واولتها من العنابة والحفارة اكثر مما  
اولت لغاتها احيانا فصارت لغة العلوم والآداب للعرب  
وغير العرب حقا طويلة ما بين أقصى المغرب وأقصى  
المشرق ولا تزال على تبدل الاحوال وتوالي الغير لغة  
ادب وعلم في كثير من الامم الاسلامية غير العربية .  
وما تزال لغات هذه الامم مترمة بالفاظ  
العربية وما تزال تستمد من العربية الحروف  
والكلمات .

وقد حوت العربية على مر العصور ادبا لا تحويه  
لغة ادبا مواطنة ما بين الصين الى بحر الظلمات كما  
يقول العلماء - وزمانه اربعة عشر قرنا من الزمان .

ولا نعرف في آداب العالم قديمها وحديثها  
ادبا اتمت به المواطن هذا الاتساع وامتدت به  
الامصار هذا الامتداد .

انتشرت العربية وحدها بقوتها الخاصة وبقوة  
الاسلام وقوة القران وبهذا استطاعت العربية ان تكون  
لغة عالمية لأول مرة في التاريخ الانساني .

ولاول مرة تجد في التاريخ لغة تنتشر بهذه  
القوة فقد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية  
ولكنها لم تصل الى اعماق الشعوب ولم تغير لغة  
من اللغات التي كانت قائمة في تلك الايام في بلاد  
الشرق ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات  
قلبتها وتممقت شعوبها .

والرومانيون استطاعوا ان ينشروا اللاتينية في  
المغرب الاوربي في فرنسا وفي بريطانيا وفي اسبانيا  
وحاولوا ان يجعلوها لغة منتشرة في شمال افريقيا  
فلم يفلحوا .

ولكن العربية استطاعت ان تقهر اليونانية في  
الشرق وان تقهر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة  
في هذه البلاد وان تقهر اللغة الفارسية نفسها ، ثم ان  
تقهر اللاتينية في المغرب العربي وفي الاندلس وان  
تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلمها الناس في  
الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها الانتشار لم تكن لغة  
حديث فحسب ولكنها كانت لغة حديث ولغة سياسة  
ولغة ادارة ولغة الدين وكانت في الوقت نفسه لغة  
التفكير والانتاج الادبي والعصري وفي اقل من قرنين  
كانت هذه اللغة قد استطاعت ان تسع كل الثقافات  
التي كانت معروفة في العصور القديمة .

اسافت ثقافة اليونان على سمعتها وعمقها  
وصعوبتها واسافت فلسفتهم وعنومهم وطبهم  
وفنونهم .

واسافت ثقافة الفرس وثقافة الهند بعد ذلك  
الثقافات التي كانت متوارثة بين السامية

فالعربية : اداة الفكر الحي نقل الناس اليها  
كتب السماء المنزلة مثل التوراة ، والانجيل والزيور  
وسائر كتب الانبياء من السريانية والعبراية .

ونقلوا اليها ما جاء به الحكماء وسائر ذلك من  
كتب الفلسفة والطب والنجوم والهندسة والحساب .

( 10 ) وبجانب هذا وذلك كانت هناك مقومات  
تاريخية وبشرية تتصل بالمصر الذي ظهر فيه الاسلام  
وانتشرت عقيدته . ثم بالعنصر البشري والتكوين  
السكاني للمجتمعات الاسلامية .

فاما عن المصر فان الاسلام كان ختام الاديان  
السموية وكان بلدا لها من الناحية

التاريخية . كما كان في الوقت ذاته تصحيحا روحيا لصور من الديانات السابقة التي شوهها الزمن . وكان على الاسلام ان يصححها وينقيها ويرد اليها اصالة الفكر التوحيدي .

ولقد كان هذا كله مصدر قوة ودفع للفكر الاسلامي وما اتصل به من حضارة . وكذلك كان الامر بالنسبة لتصدي الاسلام لمعتقدات غير سماوية .

فهذا التصدي كان الحافز الاميل للفكر الاسلامي والنظم الاجتماعية في ان تحتفظ باصالتها من جهة وان تجدد حيويتها وتوسع نطاق رحابها ومرونتها من جهة اخرى .

ومن هنا انطوى التفاعل الاسلامي مع السوان الحضارات التي التقى بها على قوة غلبت كل التحديات فانتشر طابع الحضارة الاسلامية في فعالية لم يعرف لها مثيل .

ومما يذكر ان قوة الاسلام في انتشاره وترسيخ معالم حضارته قد تصاعقت بفعل مقوم انساني آخر عظيم هو تنوع السلالات التي دخلت في الاسلام .

ثم هناك ظاهرة اخرى تربت على كل هذه الجوانب والعوامل وهي ظاهرة الاتصال والاستمرار الزمني في الحضارة الاسلامية .

ان هذه الحضارة تمتاز بان كل مقوماتها الجوهرية تنبع من وحي رسالة السماء التي تمدها بالروح والقوة والتماسك . وتوجهها الى الموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد المعطل للعمل وعن المادية الجامحة الفاسدة

فالحضارة الاسلامية :

1 - في نظام عقيدتها تقوم على توحيد الله والفراده بالعبادة والتعظيم والتمسك بما شرع من آداب السلوك والمعاملة .

2 - وفي نظامها السياسي تقوم على الشورى والنزول على رأي الجماعة والمساواة بين الناس واحترام حقوق الانسان والتزود بكل اسباب القوة والمنعة ، والدفاع عن مقدسات العقيدة والوطن .

3 - وفي نظامها الاخلاقي تقوم على خلوص النية ونقاء الضمير والتمسك بقيم الخير والحق

والتزام الآداب الفردية والاجتماعية التي تسير بالانسانية الى الكمال والتقدم

4 - وفي نظامها الاجتماعي تقوم على الاسرة المتماسكة القائمة على ركائز من المودة والرحمة والاخلاص والاحترام والتعاون والتضامن . وقيام كل راع بمسئولته .

5 - وفي نظامها الاقتصادي تقوم على تبادل المنافع واتخاذ المال وسيلة لا غاية واحترام الملكية الفردية .

6 - وفي نظامها التشريعي ، تقوم على اصول رئيسية واسعة . وقد تمثلت هذه الناحية في ثروة من الفقه الاسلامي . تجلت فيها عبقرية الحضارة الاسلامية وتمثلت فيها حرية الاجتهاد الفكري .

7 - وفي نظامها الثقافي تعتمد على طلب المعرفة ايا كانت واستخدام العقل في كسب المعارف وتسخير الطبيعة لسعادة الفرد والجماعة . وامتياز الثقافة ايا كان مصدرها ومهدا تراثا عاما للانسانية .

8 - وفي نظامها الفكري تقوم على حرية الفكر واستقلال الارادة . فلم تنهض العقول ولم تتحرك الا بعد ان عرفت ان لها حقا في طلب الحقائق

ونستطيع ان نصل الى ان الحضارة الاسلامية:

1 - وصلت بين قديم الحضارات وجديدها بما حفظت من تراث الاقدمين وما اضافت اليه من صنع عبقريتها المبدعة الخلاقة .

2 - انقذت العالم القديم مما كان يمشي فيه من فوضى وانهايار واضطراب في الحضارات واستعباد وظلم اجتماعي .

3 - اعطت العالم حضارة جديدة تقوم على عقيدة التوحيد في اسمى صورها ومجتمعها جديدا يقوم على التعاون والتسامح والحرية والتعايش السلمي بين الجميع

4 - اعطت الانسانية ذخيرة حية ضخمة من المعارف الساد منها الغرب في عصر الاحياء والنهضة ، وامتد عليها العالم الاسلامي في بقلته الحديثة وفي بناء نهضته المعاصرة .

5 - وضعت بعض اصول المنهج العلمي الحديث كطريقة الشك عند الفزالي والاحاطة بجميع جوانب الموضوع ايجابا وسلبا . ولقد جاء في رسائل اخوان الصفا دستور علمي ينحصر في تسعة احكام . وهاهي كما جاءت في الرسالة السابعة :

السؤال الاول هل هو :

يبحث عن وجود الشيء او عن عدمه

السؤال الثاني ما هو :

يبحث عن حقيقة الشيء

السؤال الثالث كم هو :

يبحث في مقدار الشيء

السؤال الرابع كيف هو :

يبحث عن صفة الشيء

السؤال الخامس اي شيء هو :

يبحث عن واحد من الجملة او عن بعض من الكل

السؤال السادس اين هو :

يبحث عن مكان الشيء او عن رتبته

السؤال السابع متى هو :

يبحث عن زمان كون الشيء

السؤال الثامن لم هو :

يبحث عن علة الشيء المعلوم

السؤال التاسع من هو :

يبحث عن التعريف للشيء .

6 - فتحت للانسانية وافاقا جديدة في البحوث الانسانية كالفلسفة التاريخ والاجتماع عند ابن خلدون . وعلم البصريين على يد «ابن الهيثم» وابتداء مرحلة جديدة في تطور علوم الرياضة على يد «الخوارزمي» و «عمر الخيام» .

7 - ساعدت بدائها على نهضة الاداب في اوربا وفتحت افاقا جديدة امام شعراء الغرب وكتابه .

8 - ساعد حلفاؤها وقادتها بسلوكهم الاخلاقي وبنماذج المروءة والشرف التي تحلوا بها على اشارة المثل الاخلاقية الرقيقة مما كان قدوة لمن احتك بهم في السلم او في الحرب .

ولقد تلمست اوربا انها حضارة المسلمين العلمية فاستقت من روافدها المعرفة والفلك والجبر والهندسة والكيمياء والطب والفلسفة والزراعة وسائر انواع الفنون الحضارية وبنى رجال اوربا بما تعلموه في معاهد المسلمين بالاندلس وبما نقلوه من علوم اسس النهضة الحديثة التي ظهر نجمها في القرن الثامن عشر وازدهر في القرن التاسع عشر وتالق في القرن العشرين .

والاسلام بدعوته الى العلم هو الذي خرج رجال الحضارة وجهادة العلم واساندة الدنيا وعمالقة العلماء امثال :

ابن الهيثم والكندي والفارابي وابن سينا والبيروني والفرغاني والطوسي والبغدادي والدينوري والرازي والقزويني والانطكي والزهاوي والغافقي والخوارزمي والصوفي وجابر والجاحظ وابن البيطار وابن النفيس وابن حيان وابن حمزة والادريسي والمسعودي وابن بطوطة وابن زهر .

وهذا ابن الهيثم ( 965 - 1039 ) يبحث في السهول والادوية ويجول فيها طولا وعرضا حتى يضع قواعد علم الضوء .

وابن الدجياي يسر على قم الجبال العالية يحرق في الكواكب والنجوم ليحدد افلاكها ويمرر ابعادها ويقيس محيط الكرة الارضية بالاجهزة الدقيقة .

وابن النفيس يجري التجارب والاختبارات حتى يثبت ان الدم ليس سائلا مستقرا في الاوردة والشرايين المبتوتة في الكائن الحي . بل هو سائل متحرك يدور في جميع اجزاء الجسم وذلك قبل ان يكتشف ( هارفي ) الدورة الدموية بثلاثة قرون .

وابن مسكويه الذي يسبق فلاسفة اوربا وعلماءها بشمانية قرون في علوم الاخلاق والفلسفة والتهديب والبيولوجيا .

وجابر بن هيان يحلل عناصر الطبيعة وتفاعل المواد المختلطة حتى يضع اصول علم الكيمياء ، وابن يونس يسبق العلماء في اختراع بندول الساعة ( الرصاص ) .

هذا كله في الوقت الذي كانت اوربا فيه تعيش في ظلمات الجهل والفوضى والهمجية والتأخر ولم يتخذ اوربا من ورطتها التي كانت واقعة فيها الا نور



الاسلام وما زالت اسما العلماء والمصطلحات التي اعطاها هؤلاء العلماء المسلمون لفرائب العلم ما زالت حية نابضة في جميع اللغات ولم ما نالها من تحريف وتغيير ، ولقد سجل التاريخ آيات هذه الحضارة العربية الاسلامية باعزاز كما شهد لها المنصفون من فلاسفة العالم ومؤرخيه الذين لا يفتون من بحوثهم ودراساتهم الا مرضاة العلم في ذاته . والدين لا تسيطر عليهم المعصية الهوجاء والسطحية العمياء .

واننا نسوق الى العربي بعض النقول التي جاءت على لسان فلاسفة العالم والتي تشهد صراحة وضمننا لمجد الحضارة الاسلامية .

والواقع ان الاسلام ليس في حاجة الى اقوال هؤلاء فهو قوي بذاته لكننا ناتي بها لما نراه من ان كثيرا من كتابنا ومؤرخينا يغمطون حق حضارة العرب . وان شئت بعبارة اقرب فقل انهم يجهلونها ولا يعرفون عنها الا النذر اليسير والى هؤلاء واولئك بعض اقوال كواكب الاستشراق والبحوث العلمية والدراسات الواسعة .

قالت الكاتبة الالمانية الدكتورة ( سيجريد هوتكه ) ان هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها ابناء الصحراء من العدم من اعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ الحقل البشري لسيادة ابناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة في نوعها وان الانسان ليقف حائرا امام هذه المعجزة العقلية الجبارة والتي يحار الانسان في تحليلها وتكييفها .

وقالت ايضا : « وان أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية وان الدين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات للعرب كبير جدا »

وقال العلامة «كاربنسكي» ان الخدمات التي اداها العرب للعلوم لم تكن مقدرة حق قدرها من المؤرخين وان الابحاث الحديثة قد دلت على تعظيم ديننا للعلماء المسلمين الذين نشروا العلم بينما كانت أوروبا في ظلمات القرون الوسطى .

وقال الفيلسوف الفرنسي « الكسي لوازون » : خلق محمد للعالم كتابا هو آية البلافة وسجل للاخلاق وكتاب مقدس وليس بين المسائل العلمية المكتشفة حديثا او المكتشفات الحديثة مسألة تتعارض مع الاسس الاسلامية فالانسجام تام بين تعاليم القران والقوانين الطبيعية .

وقال العلامة « دريير » المدرس بجامعة ( هارفارد ) بأمریکا في كتابه ( المنازعة بين العلم والدين ) : « ان اشتغال المسلمين بالعلم يتصل بأول عهدهم باحتلال الاسكندرية سنة 638 ميلادية أي بعد موت محمد بست سنوات ولم يعض عليهم بعد ذلك قرنان حتى استأنسوا بجميع الكتب العلمية وقدروها حق قدرها .

ولو اردنا ان نستقصي كل نتائج هذه المعركة العلمية العظمى لخرجنا من حدود هذا الكتاب فانهم قد رقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما جديدة لم تكن معروفة قبلهم .

« ان نتائج هذه الحركة العلمية تظهر جليا بالتقدم الباهر الذي نالته الصناعات في عصرهم فقد استفادت منها فنون الزراعة في اساليب الري والتسميد وتربية الحيوانات وسنن النظم الزراعية الحكيمة وادخال زراعة الارز وقصب السكر والبس وقد انتشرت معاملهم ومصنوعاتهم لكل من انواع المنسوجات كالصوف والحريير والقطن . وكانوا يديبون المعادن ويجودون في عملها على ما حسنوه وهذبوه من سبكها وصنعها واننا لندهش حين نرى مؤلفاتهم من الآراء العلمية وما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر .

ويقول في مواطن اخرى : « ان جامعات المسلمين كانت مفتوحة للطلبة الاوربيين الذين نزحوا اليها من بلادهم لطلب العلم وكان ملوك اوربا وامراؤها يقدون على بلاد المسلمين ليعالجوا فيها . وقال العلامة « سديو » في كتابه تاريخ العرب :

« كان المسلمون في القرون الوسطى منفردين في العلم والفلسفة والفنون وقد نشروها اينما حلت اقدامهم وتسربت عنهم الى اوربا فكانوا هم سببا لنهضتها وارتقائها . وقال العلامة « جيبون » المؤرخ الانجليزي :

« كان من اثر تنشيط الامراء المسلمين للعلم ان انتشر الدوق العلمي في المسافة الشاسعة بين سمرقند وبخارى الى ناس قرطبة، ويروي عن وزير لاحد السلاطين انه تبرع بمائتي الف دينار لتأسيس جامعة علمية في بغداد ووقف عليها خمسة عشر الف دينار سنويا وكان عدد طلبتها ستة آلاف لا فرق فيهم بين غني وفقير .

وقال « دريير » : اول مدرسة انشئت للطب في اوربا هي المدرسة التي أسسها العرب في (بارم) من

إيطاليا وأول مرصد أقيم فيها هو ما أقامه المسلمون في اشبيلية بإسبانيا وانهم رتقوا العلوم القديمة ترقية كبيرة جدا واوجدوا علوما أخرى لم تكن موجودة من قبلهم .

ولقد امتاز العرب في الجمع بين فروع العلم والادب وفاقوا فيهم في هذا الميدان ومن يطلع على كتب محمد بن موسى الخوارزمي يجد ان المؤلف جمع بين الجبر والادب .

وانظر الى كتب البيروني تجد ان الادب والرياضيات اجتماعا متماثلين . . قال العلامة «درابرا» : « لقد كان تفوق العرب في العلوم ناشئا من الاسلوب الذي توخوه في مباحثهم وهذا الاسلوب هو الذي اوجب لهم الترقى الباهر في الهندسة والمثلثات .

وقال الكاتب الهندي « فسواني » : التهذيب العربي هو الذي انشا في آسيا وأوربا نشأة جديدة وانسانية جديدة .

ان هذه الاقوال التي جاءت على لسان علماء افاض لمرضاة العلم في ذاته تشهد صراحة وضمننا وجملته وتفصيلا لحضارة المسلمين ومدى فاعلية الحضارة الاسلامية الانسانية التي لمست الانسانية فيها معاني السيادة ومست القلوب فيها معاني السعادة وامتلئت في ظلها صروح المجد .

هذه الحضارة ستظل خالدة خلود الابد باقية بقاء الدهر مدوية دوي الاذان لا ينضب لها معين ولا ينتهي لها مدى ولكن ذلك رهين برجوع العرب الى منابع عزهم ، هذا واذا كانت الحضارة الاسلامية لها من الدعائم والركائز المشرفة ما وصل بها الى ذروة ما قدر للانسانية من التقدم ولها من التعاليم والقيم والاداب ما يسمح لها ان تكون لها فلسفتها الخاصة بوجودها .

فهل يمكن لهذه الحضارة ان تعود الى اشراقها من جديد فتساهم في اعطاء الحضارة الانسانية ذخيرة من القوة والقدرة .

الحقيقة التي لا يسوغ انكارها ان آداب وتعاليم الاسلام كفيلا بان تجعل العالم الاسلامي في وضع يسمح له بان ينمي فلسفته الخاصة به والتي تنبع من الفكر الاسلامي . ويتضح ذلك من العقائق التالية :

اولا - ان العالم الاسلامي يشمل منطقة جغرافية تمتد من المحيط الباسفيكي شرقا الى المحيط الاطلسي غربا . مجتازة جاليات ودولا اسلامية ذوات طاقات بشرية واقتصادية وعقلية وحضارية لا حدود لها ومنطقة العالم الاسلامي تتميز بانها :

1 - تقع من العالم موقع الحزام من جسم الانسان . بعيدة عن القطبين ومسألة من الاعاصير والظوفانات والثلوج والبراكين . ولها دفء معين يساعد على تنوع الحاصلات الزراعية وتناسل الحيوانات البرية .

2 - وانها تمتلك من شواطئ البحار الكبيرة والصغيرة ما يمكنها من الاشراف على عدد كبير من اعظم موانئ العالم كما بها من الانهار والنباح ما يجعلها من اخصب المناطق واكثرها ازدهارا ونماء .

3 - وان فيها من موارد الحضارة كالماء والنفط والمعادن والحاصلات الحيوانية والزراعية ما يمكنها من اغناء الحضارة الانسانية وزيادة الامن والرخاء .

4 - وبها من مواطن السياحة ما يرقى بها الى اسمى ما قدر من التقدم والسمو والمجد والسؤدد .

5 - وان التجانس المذهبي بين سكان العالم الاسلامي يجعل المنطقة في منأى عن الانشقاق الملحوظ في المذاهب الاخرى ويقرب بينها ويحفظ وحدتها ويزيدها تفاعلا وفتحا وتقدما .

وتلك امور تجعل العالم الاسلامي قوة ايجابية مهيبة الجانب مخطوبة الود . يتهيب العدو بأسه ويخشى سلطانه وتجعله ايضا مهيا للاسهام في بناء الحضارة الانسانية واعادة صنع الحياة واثاق البشرية من الهوة السحيقة المتردية فيها ووهدة الفوضوية والاباحية والاستعمار والالحاد .

ثانيا - واذا انتقلنا من الحديث عن الناحية الجغرافية والموقع وما لهما من خصائص ومميزات وما لهما من كنوز وخيرات الى الحديث عن الاسلام نفسه فاننا نجد انه دين العقيدة الحية الصحيحة التي جاءت وقت بلوغ العقل البشري طور رشده وكماله وفتحه .

العقيدة التي تقر التوحيد الخالص والتنزيه البالغ ارقى صورته وأشكاله عقيدة ترفع من قيمة الانسان لانها تصله بالله الواحد الذي لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله . « قل هو الله

أحد، الله الصمد، لم بلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤاً أحد .

ولا تبيح تلك العقيدة الإسلامية للإنسان أن يتعلق بال مخلوقات أو يدعو ويعبد غير الخالق الذي أبدع وفق حكمته جميع ما يشاهد ويحس « إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله » . والإسلام من جهة أخرى دين اجتماعي يراعي حاجة الإنسانية ومصالحها الحيوية في حدود الحق والفضيلة وباعتبار أنه دين توحيد واجتماع أمكن للإسلام أن يقيم المجتمع على أسس القيم الأخلاقية العليا وأن يرضي مطالب الروح والجسد حتى تترافق في اعتدال وكونا حقيقة الإنسان المهذب والمؤمن الكامل .

وبالجمع بين السمو الروحي والتهديب الاجتماعي أمكن للإسلام أن ينتشر في أركان الدنيا بالعدل والحق والأخلاق وسمو المبادئ .

والإسلام وليد العقيدة الرائقة الرائقة التي تطهر النفس وتذكي القلب وتربي الخلق وتفذي العقل وتوقف الغريزة عند حدها وتمطي كل مطمع من مطامع الإنسان معناه الذاتي وسيره الطبيعي .

والعقيدة الإسلامية : عقيدة استعلاء من أخص خصائصها أنها تبحث في روح المؤمن بها الإحساس بالعمة من غير كبر وروح الثقة في غير افتتار وشعور الاطمئنان في غير تواكل .

ثالثاً - أن الإسلام متعل بشؤون الحياة والحكم والفكر ، والإسلام قادر بطبيعته الدائمة على مواجهة تطور الأزمان واختلاف البيئات والمجتمعات ، وله من القدرة والقوة ما يمكنه من التباور والتناسق بحيث لا يتوقف ولا يجمد ولا يتعارض مع طبائع الأمم في حركتها الداخلة المتدرة عبر العصور .

والإسلام ينظر إلى الحياة نظرة كاملة وشاملة ويتدخل في جميع شؤونها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وبالإضافة إلى أنه ديسن يهتم بالجانب الروحي من الإنسان ويريد منه أن يتحمل الخلافة في الأرض بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الإسلام بأمانة وقوة وحزم وعزم . نادى الإسلام بالحرية والأخاء والمساواة ورسم وسائل تحقيقها وأقام موازين الحق والانصاف والعدالة ودعا إلى التعاون والتبادل والمودة والألفة .

ويمكن أن نقول بعبارة أوجز : أنه ما من شيء بهم الإنسانية وبشغل بالها ويأخذ قسطاً من عنايتها إلا وله في الإسلام هدى وبيان واهتمام وما من شيء يلامس حياة الناس أو يتمقها إلا وله في الإسلام عرق ينبض وأصل عريق .

ولقد اكتملت قوة الإسلام بوحدة العقيدة وجامعة اللغة العربية واشتراك المجتمع في مظاهر المبادات والعادات والتقاليد زيادة على توحيد الاهداف والغايات من الحياة .

رابعا - أن تعاليم الإسلام الفراء صالحة لكل زمان ومكان وفي الإصلاح الإسلامي من كليات وجزئيات ما هو كفيل بقيام مجتمع انساني تسوده روح الصدق والمحبة والتعاون والبر والوفاء والإخلاص ولكن ذلك رهين إرجوع المسلمين إلى منابع مزهم ومجدهم والتمسك بأسمى القيم الأخلاقية الإسلامية والعمل بتلك القيم والاسترشاد بالتعاليم الحية النابعة بالسمو والمليئة بالجدوات المتقدة التي لا يخبو ضوءها .

قال الدكتور جورج سارطون : « أن المسلمين يمكن أن يعودوا إلى عظمتهم الماضية وإلى زعامة العالم السياسية والعلمية - كما كانوا من قبل - إذا عادوا إلى فهم حقيقة الحياة في الإسلام والعنوم التي حث الإسلام على الأخذ بها . »

وقال العلامة داميري : « أن روح نظام المسلمين هو الدين والذي أحياهم هو الدين والذي يكفل سلامتهم في المستقبل هو الدين ليس إلا » .

ويرى الدكتور فيليب حتى : « أن الشرق الإسلامي هو اليوم في مطلع دور جديد في حياته العلمية كما أنه في فجر طور جديد في حياته السياسية وهو دور يمكن أن نسميه دور الإبداع والابتكار ضمن إطار الميراث الخالد من القيم الدينية والأدبية . ولنا أن نتكهن أن إنباء الثقافة الإسلامية على اختلاف بيئاتهم سيقومون بقسطهم في خدمة المدنية والإنسانية » .

والدكتور سمث استاذ ورئيس قسم الديانات بكاية ووتر بولاية اوهايو يرى أنه لو أمكن انارة التماسك الإسلامي في سبيل الفراض ايجابية وتكثيل الأمم الإسلامية الكثيرة المختلفة في وحدة حية لا يمكن أن تصير هذه الوحدة قوة ايجابية في العالم ..

( يتبع )

# نقد الكتب

## الدكتور مدوح عتي

### وخير في المكتب الدائم ،

- 2 - نفحات الخليج ، عبد الله سنان محمد  
260 صفحة من القطع الكبير .
- 3 - بيت من نجوم الصيف ، علي السبتي  
172 صفحة من القطع الصغير .
- 4 - النور من الداخل ، محمد الفايز  
260 صفحة من القطع المتوسط .
- 5 - الطين والشمس ، محمد الفايز  
98 صفحة القطع الصغير .

أما الأول والثاني فشرهما ابامي النسيج ، البيت فيه شطران والقافية موحدة . إلا أن موضوعاتهما متلاحمة مترابطة كأنها قصة ذات مقدمة وموضوع ونهاية ، وفي ذلك تفوق حسن على كثير من الشعراء الاباعيين المعاصرين ، لولا أن لغتها ليست من القوة بحيث تشبه لغة كبار الشعراء .

وأما الثلاثة الأخيرة ، فقد سلكت طريق الشعر الحر ، أصابت في بعضه وضعفت في بعضه الآخر . وموضوعاتها على العموم رومانسية تذكرنا بشعراء النهضة الأوائل في لبنان وسوريا ومصر .

وفي طريقة العرض ميل إلى الرمزية ، فديوان الطين والشمس مثلا ، يمرض الشاعر في كل صفحة ثلاثة أبيات ، وأحيانا بيتا واحدا ، وأحيانا صورة رمزية كرجل مصلوب ، أو رجل عريان قاعد على رأس تل وفوق رأسه قراب ... وكلها من الرسم القريب من السريالي . والديوان كله يقرأ بنحو نصف ساعة!!

أماي الآن ثمانية دواوين ثمانية شعراء من الكويت . وقد قرأتها جميعا بلهفة لاني ما كنت أتصور أن هذه الدوة العربية الصغيرة بحجمها ، القليلة بمدد سكانها ، قادرة على أن تنتج مثل هذا المدد الضخم من الشعراء ، في مثل هذه الفترة القصيرة من الزمن ، ولو كان في المجلة متسع لنقدها وتقريظها تفصيلا لقمعت ، وأنها لجديرة بذلك ، ولكنني مضطر إلى مرضها مجملة ، تعريفيا بها ، ولثلا يفوت قراءنا العلم بالنهضة الادبية المتوثبة في هذا القطر الحبيب .

ولاحظت أن ثلاثة من هذه الدواوين أنشئت باللهجة الكويتية ، ويسمونها هناك « اللغة النبطية » فهمتها كلها ولم يفتني منها الا القليل النادر ، وهذا ما يؤكد لي بأن اللهجات العربية، مهما تباعدت الاقطار فيما بينها ، هي متقاربة جدا سواء بمفرداتها أم بتراكيبها . كما اني لاحظت ارتفاعا بمستواها عما كنت اعلمه فيها قبل بضع سنين ، وهذا دليل واضح على الاتجاه الطيب الذي تتجه اليه اللهجات العامية في جميع بلاد العرب نحو اللغة الفصحى . ومع أني اعجبت بشامية اصحاب هذه الدواوين الثلاثة ، السادة : وليد جعفر في « آهات قلبي » وعبد الله عبد العزيز الدويش ، وصقر النصافي ، فاني لا اراه أكثر من شعر محلي .

أما الدواوين الخمسة الاخرى ، فلفتها عربية فصيحة على تفاوت فيما بينها قليل

- 1 - ديوان صقر الشبيب 460 صفحة من  
القطع الكبير .

اما الكتاب الاخير الذي وقفت عنده كثيرا على سفر حجمه ( 93 صفحة من القطع الصغير ) فهو « مقالات عن الكويت ، لاحمد البشر » فقد مرض جزءا من تاريخ الكويت الادبي القديم وجلا ناحية لم يسبقه اليها احد : اثبت بان جبل كاطلة الذي دفن فيه غالب بن صعصعة ووالد الفرزدق ، ما هو الا المكان المسمى الآن «امقيرة» قرب الجبراء. وان «الفرزدق» نشأ بين قومه هناك ، وانه كان يثوب اليه بعد كل سفر . وعلى هذا فالفرزدق سيد شعراء بني أمية الأوائل ، ما هو الا شاعر كويتي ، واذا لم يكن للكويت من نخر في تاريخها الادبي الا انها انجبت مثل الفرزدق لكفيت بذلك فخرا .

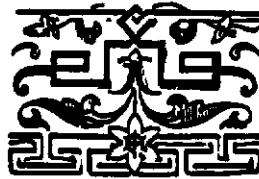
الا ان شامية هذا الشاب قد تستوقفك احيانا للتامل والتفكر .

واحب ان اشير هنا الى كتابين آخرين تلقيناها من الكويت كذلك هما :

1 - دواسات كويتية - فاضل خلف 154 صفحة من القطع الكبير .

2 - ادباء الكويت في قرنين - خالد سعود 288 صفحة من القطع الكبير .

وهما كتابان جيدان يوضحان كثيرا مما غمض في تاريخ الكويت الادبي ، وبشرحان كثيرا مما تعقد على الدارس فهمه. وقد اتكأت عليهما وساعداني مساعدة مجدية في تفهم شعراء الكويت فصيحهم ونبطيهم .



# الموسيقى لغة الروح

الأستاذ ابراهيم الدرويش المصري  
مفكس التريّة الموسيقية في سوريا

ولما كان التفكير بتأثير بالمؤثر الخارجي وبالظروف الآتية التي ينشط فيها ، فإن النتيجة التي يصل إليها في حالة التأثر بالموسيقى ، هي نتيجة لا شك أنها من مقومات الفهم التام والجمال المجرد الذي يتجه ناحية الخير .

ولم يعد أثر فن الموسيقى محصوراً في أطراب الأذن وأشباع الحواس ، كنوع من الترف والكماليات كما كان شأنها فيما مضى ، بل تمداه إلى تادية خدمات جليلة في كل ميدان من ميادين التربية والمادة والمجتمع .

وكانت الحرب العالمية الأخيرة اختباراً قوياً لتقيمة هذا الفن في ميادين عدة كالتوعية والتوجيه والترقية .

ولقد أدت الموسيقى دورها من قديم كوسيلة للدعاية المشرفة . فقبل قرن مضى تقريباً كانت « بولونيا » لا تعدو كونها أمة مستعبدة تتناوب حكمها دولتان قويتان ، روسيا وألمانيا وكانت أخبار كفاح شعبها الباسل - نظراً لتأخر وسائل المدنية آنذاك - تصل مشوهة لا تلفت ولا تثير إلا عطفاً وقتياً . لقد أخفقت السياسة وفشلت الدعاية في لفت انظار العالم إلى نصرة بولونيا الجريحة ولكن الموسيقى نجحت فيما أخفقت فيه جميع الوسائل ونجح موسيقى في استدراار العطف على أمتة وإثارة ضمير الإنسانية في صالح بلاده . فقد مور شوبان في مقطوعته (البولونية)

على الدرويش علم من اعلام الموسيقى في القطر العربي السوري .

ياخذ موقفنا من الموسيقى أوضاعاً ثلاثة :

1 - نستمتع إليها كوسيلة لتتريفه والطرب ، والاستماع الفني .

2 - نبحتها كعلم وفن وصناعة ومهنة .

3 - نبحتها في أثرها العام كثقافة وتلدوق وتوعية وتوجيه ، وفي أثرها التربوي الخاص ، وهو ما يهمننا في هذه الكلمة .

**الموسيقى فن رفيع بل لعله أرفع الفنون .**  
هي لغة الروح المجردة عن المادة ، المنطلقة من سلال الحياة وتيودها . هي لغة نبيلة تستطيع أن تانس إليها كل روح ويطمئن إليها كل قاب لأنها الصدى الذي يعبر عن مشاعر لا تستطيع لغة الكلام أن تجاريها فيها . وارتباط الموسيقى هذا الارتباط الوثيق بالعاطفة الإنسانية يجعل تأثيرها أمضى وأكثر من غيرها من الفنون الجميلة في توجيه الروح والقلب وفي تفتح الطاقات وتفجيرها ، كخطوة أولى في سبيل توجيه الفكر البشري .

لان تأثير الموسيقى لا يزول بتأثير النفخة واللحن المنبث من الآلة الموسيقية أو من الحنجرة البشرية ، إذ أنها تنقل المشاعر إلى عالم جميل علوي يستسيغه العقل ويعمل فيه بحرية وحيوية .

كفاح شعب جريح وصور في العانها نداء الحق  
المهضوم فاذا بهذه المقطوعة الموسيقية تسدي خدمة  
لم تسدها السياسة قط الى شعب مناضل مكتم .  
وتحررت بولونيا لان موسيقى ( شوبان ) قد حركت  
الضمير البشري .

ومندي اكثر من مثال على ان الموسيقى تستطيع  
باشراف الدولة ان توجه الجماهير والشباب والاجيال  
في التربية والتوعية الهادفة ، توجيها كليا .

مثالنا على ذلك موسيقى ( فاكنر ) الالماني التي  
ادت دورا هاما في حياة المانيا ، فقد اوحت مقطوعاته  
الى الشعب الالماني روح النضال والكفاح في سبيل  
البقاء والاتحاد ، وكانت هاما قويا في تكوين المانيا  
ايام حرب السبعين ، ثم استخدمت ثانية في النهوض  
بالمانيا بعد هزيمتها في الحربين العالميتين الاولى  
والثانية فقد ادخلت في البرامج الدراسية وفي  
الشهادات العامة وبثت في نفوس الشعب الالماني  
فوجيته الى الثفاني في محبة الوطن والقومية وخدمت  
اغراض السياسة ايضا .

وقس على ذلك نشيد ( المارسيلاز ) الذي كان  
من عوامل حماية الثورة الفرنسية وقد الف كلماته  
ولحنه الثائر ( روجيه دي ليل ) . وانشيد معركة  
بور سعيد العربية عام 1956 واخص بالذكر نشيد  
( الله اكبر ) ، ثم بعض اناشيد الثورة في الجمهورية  
العربية السورية . وهناك امثلة لا حصر لها .

ولم يقتصر عمل الموسيقى على الميادين  
الروحية بل تمدتها الى الميادين العملية ، اذ ان  
استخدامها في المصانع خلال الحرب الاخيرة ومسا  
بعدها ، قد ادى الى زيادة الانتاج زيادة كبيرة  
ملحوظة .

ولا الهالي اذا قلت بان الدول الكبرى كالولايات  
المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ومعظم الدول  
النامية واخص بالذكر سويسرا التي ظهر فيها المربي  
( جاك دلكروز ) مؤسس مدرسة التنظيم والتربية  
الموسيقية عام 1913 - كانت سبابة في ادخال  
الموسيقى كوسيلة من وسائل التربية ، فقد اثبتت  
الاختبارات العلمية الدقيقة ان الموسيقى تلعب دورا  
هاما في تكوين شخصية ونفسية الطفل في سنينه  
الاولى وفي دور المراهقة والشباب ايضا .  
ولذا اصبحت الموسيقى من مقومات الحضارة  
الحديثة كعلم وفن وصناعة ومهنة ووسيلة خطيرة من

وسائل الدعاية والتوجيه والتوعية والتربية والتعليم .  
كما ان الموسيقى تريح العقل كما يريح الاستجمام  
الجم لماتبته من نشاط فكري نشاهد اثره واضحا  
جنبيا في تفكير الطفل وزيادة قابليته للفهم والاستيعاب .

وهكذا نلمس للموسيقى اثارا ثلاثة في التربية:

1 - اثرها في التوجيه والتربية العامة  
للشعب .

2 - اثرها في تربية الروح القومية والمحبة  
للانسانية .

3 - اثرها التربوي في المدرسة .

لهذا كان لا بد لنا اذا ما اردنا ان نقوم على تربية  
جيل جديد يتوقف عليه ازدهار شان امتنا ان نأخذ  
بعين الاعتبار مسألة ادخال الموسيقى بصورة جدية  
في وسائل التربية كعنصر اساسي للتربية النفسية  
والخلقية وتثريتها في مناهج التعليم العام بجميع  
مراحلها واعتبارها في الشهادات العامة ، والمعمل على  
افتتاح المعاهد الموسيقية لرعاة الموهوبين والمعاهد  
الشعبية لتثقيف الهواة ، وتنظيم الامور الموسيقية  
والعناية بها باخلاص ونزاهة في كل من الازمنة  
والتلفزيون . على ان يكون هدفنا دوما توجيه فن  
الموسيقى توجيها سليما للتاثير على عقلية رجال  
ونساء الغد بما فيه دعم بناء الامس .

واري ان تكون الموسيقى قطعة من حياة الطفل  
ذكرا كان ام انثى وخاصة في مرحلة رياض الاطفال  
والتعليم الابتدائي ، واري ان تربي غرائز الطفل  
ونفسيته تربية موسيقية وخلقية قوية بتوجيه فني  
تربوي ، يستطيع ان ينفذ الى مشاعره ويسمو بها .

وبهذا تسهل مهمة المربي والمربية لان الموسيقى  
اداة فعالة في تدريب عقلية الطفل وتهديب نفسيته  
وتوسيع مداركه في الطريق التي ترسمها قواعد  
التربية .

ولنضرب مثلا للمجهود العربي في هذا المجال  
بحياة علم من الاعلام الموسيقي في القطر العربي  
السوري هو الاستاذ علي الدرويش : فقد ولد وتوفي  
في حلب 1884 م - 1952 م .

كان جده الاكبر من اصل مصري عربي ، خلف  
ولدا اسماء ابراهيم ، كان ابراهيم هو والد علي  
الدرويش يشتغل بتجارة الاقمشة وقد نشأ نشأة  
مصامية دينية ، تعلم القراءة والكتابة في الكتائب

والمدارس الدينية وكان ذا صوت حسن ومن اتباع الطريقة المولوية «التكايا المولوية» في المعهد التركي العثماني ، فكان لذلك اثر كبير ورثه عنه ابنه الصغير علي ، وعندما كان الفتى الصغير علي يدرس في المدرسة الاشرفية الابتدائية ، ينتهز الممثل المدرسية وخصوصا ايام الجمعة ليسرور والده في التكية للاستماع الى حفلاتهم الخاصة ، فكان يستمتع طويلا الى اناشيدهم وموسيقاهم الصوفية وبموجب بها ومن هنا نشأ تعلقه بالموسيقى وشغفه بها .

انس شيخ التكية «عامل جلي» بالشباب علي صوتا جميلا وميلا قويا للموسيقى فاوكل اليه مهمة اداء الاذان في شهر رمضان . . ثم طاب من والده ان يلقنه الحان الطريقة المولوية واغانيتهم كي يشترك ابنه علي في حفلاتها وكانت تضم جدران التكية المولوية في ذلك الحين «عثمان بك» الملقب «كجوك عثمان» مؤذن السلطان عبد العزيز سابقا الذي نفاه السلطان عبد الحميد عند توليه الحكم وعنى يدي «عثمان بك» تلقى علي دروسه الاولى في مبادئ الموسيقى وقواعدها الاولى . ثم رار مدينة حلب في هذه الفترة من الزمن موسيقار تركي من اشهر نافخي «الناي» يدعى «شرف الدين بك» وقد اخذ عنه علي الشاب دراسة النفخ بالناي ؛ وفي تلك الاثناء كان يجمع ما بين دراسته في المدرسة اثناء النهار ودراسته الموسيقية في التكية اثناء الليل . وعندما انهى دراسته الابتدائية التحق بالمدرسة العثمانية للموسيقى الدينية سابقا وهي «الخشرفية» والكلية الشرعية حاليا وكان من اساتذتها المرحوم الاستاذ الكبير الشيخ بشير الغزي . وعندما انهى دراسته في هذه المدرسة بعد اربع سنوات كان ما زال منكباً على دراسته الموسيقية وقد لقب بالشيخ علي لتقدمه في الفن الموسيقي على اقرانه وتفوقه فيه ، ثم لدراسة في المدرسة العثمانية ولقب بالدرويش ايضا لانتسابه الى الطريقة المولوية فاطلق عليه الشيخ علي الدرويش ، وكان يطلق عليه ايضا «علي دده» بالتركية لانتسابه الى الطريقة المولوية . لذلك فقد اتقن هذا الشاب اللغتين العربية والتركية وعمره لا يتجاوز الثانية عشرة .

وقد عينه بعد ذلك شيخ التكية (عامل جلي) في وظيفة (قدوم زادياشي) رئيس جماعة الموسيقيين في «المطرب» وهو المكان الذي كان يجلس فيه جماعة العازفين والمغنيين اثناء حفلاتهم الخاصة ،

وبقي في هذا العمل زهاء عشرة اعوام متوالية ، كان خلالها دائم البحث والتنقيب عن اصول الموسيقى ودقاتها بصورة عامة والموسيقى والالحن والمؤلفات العربية التركية بصورة خاصة . لذلك فان الشيخ علي تاجر كثيرا باساليب والحن الموسيقى التركية التي طعم بها الموسيقى العربية بمؤلفاته والحنه، وقد لحن عددا كبيرا من الالحن باللغة العربية ومن الالحن الالية كالبخارف والسمايات ؛ ومن الالحن المولوية باللغة التركية وهي الحان مطبوعة بطابع الخشوع والوقار والمعروفة باسم «آيين شريف» ومن الحنه آيين كردبلي حجاز كار وغيره . .

رحل الشيخ علي رحلته الاولى من حلب الى امارة الحمرة في ولاية البصرة وقد ارسل في طلبه امير الحمرة على راس فرقة موسيقية غنائية وذلك بعد ذبوع شهرته خارج البلاد السورية، وعندما سافر الى الحمرة كان عمره حوالي السابعة والعشرين عاما بعد ان استقال من وظيفته في المولوية نهائيا . وكان تاريخ سفره الى الحمرة وعودته منها ما بين عام 1912 الى عام 1914 م . وقد عاد الى بلده حلب في بداية الحرب العالمية الاولى فقد امضى في ضيافة ( الامير خزل ) سنتين كان فيهما موضع حفاوته واکرامه مع اعضاء فرقته الموسيقية .

انتهز فرصة وجوده في تلك البلاد فزار البصرة وبغداد وطهران ومنها سافر الى الهند وحل في كراتشي وبومباي ثم قفل راجعا الى حلب ابان الحرب العالمية الاولى ايام حكم السلطان رشاد كما ذكرت.

وفي عام 1914 حتى عام 1923 م . سافر الى البلاد التركية قاصدا استنبول بصحبة شيخ تكيه حلب «عامل شابي» وهناك في استنبول اتم الشيخ علي دراسته العالمية في الموسيقى في معهد «دار الالحن» الشهير . وقد عين بعد ذلك مدرسا للموسيقى في مدينة «قسطنوني» وهي مركز ولاية قسطنوني الواقعة شمالي تركيا قريبة من شاطيء البحر الاسود . وقد ألف في مدينة قسطنوني فرقة موسيقية نحاسية امضاؤها من طلبة المدارس الثانوية ودور المعلمين والصنائع والميتم الاسلامي كانت هذه الفرقة تعزف في المناسبات الرسمية وغيرها . وكانت اقامته في مدينة قسطنوني تسع سنوات تزوج خلالها من هناك .

وقد انجز في هذه الفترة كتابا في دراسة الموسيقى من تأليفه في خمسة الى سبعة ابواب . . ثم



اذن ملكي صادر في سراي راس التين بالاسكندرية في 18 تشرين الاول عام 1931م. وذلك للسفر مع ديرلنجيه الى تونس للعمل معه على اتمام ابحاثه في الموسيقى العربية .

وقد اشترك للشيخ علي في عام 1932 م . في مؤتمر الموسيقى العربية الذي عقد في مدينة القاهرة بدعوة ملكية رسمية . هذا المؤتمر المشمول بالرعاية الملكية والذي اشترك فيه نخبة من اساتذة الشرق والغرب ودام انعقاده قرابة شهر . سافر الشيخ علي الى تونس ومكث هناك من عام 1931 م حتى عام 1939 أي حتى بداية الحرب العالمية الثانية . عندما سافر الى تونس عام 1931 م . كما ذكرت سابقا ومكث هناك عدة اشهر ، عاد الى القاهرة بعد ان طلب رسميا لمؤتمر الموسيقى العربية وائر انتهاء هذا المؤتمر سافر الى تونس صحبة البارون ديرلنجيه للعمل معه على اتمام ابحاثه ودراساته حول الموسيقى العربية بعد ان ترك القطر المصري نهائيا ، وبعد شهرين من وصوله الى تونس الخضراء ، تعاقب مع وزارة المعارف التونسية في معهدي المطارين والرشيدي لتدريس الموسيقى . فمكث في تلك الديار ذهاء ثمان سنوات كان يطوف خلالها مع ديرلنجيه في جميع البلاد التونسية وشمال افريقيا للبحث عن الالغان الباقية من آثار الاندلسيين الذين هاجروا قديما الى تونس والقيروان واكثرهم من سكان قرطبة وقرطبة واشبيلية وقد كلفت هذه الابحاث البارون ديرلنجيه مبالغ طائلة ولكن الشيخ علي وفق اثناء ذلك الى جمع وتكوين اربعة عشر « نوبة أندلسية » وعشرين ملحقا لهذه النوبات وجملة موشحات أندلسية . وقد استطاع الشيخ علي الاحتفاظ لنفسه بنسخة من هذه النوبات والموشحات الاندلسية لتكون في حوزته .

وقد أسس الشيخ علي هند عودته الى مدينة حلب خلال العطل الصيفية مع رهنط من اصدقائه من هواة الموسيقى حوالي عام 1934 م . ناديا موسيقيا لتدريس الموسيقى ونشرها باسم « النادي الموسيقي بحلب » وكان مقره وقتئذ في باب النصر. ثم انتسب عضو شرف في نادي « دوحة الميماس للموسيقى والتمثيل » في مدينة حمص وكان في تلك الاثناء عضوا عاملا في حزب الكتلة الوطنية الذي كان يتزعمه الزعيم الراحل ابراهيم هنانو ضد الانتداب الفرنسي، فلحن الكثير من الاناشيد الحماسية والوطنية في مناسبات عديدة . فاذا ما انتقضت العطل الصيفية عاد الشيخ علي الى مقر عمله في تونس . . وقد عمل

عاد بعد ذلك الى مدينة حلب تاركا في قسطنطيني اجمل الذكري وخلف عددا من التلاميذ اصبحوا اساتذة من بعده . . وعندما عاد الشيخ علي الى اهله وذويه في حلب كانت سوريا حينذاك تحت الانتداب الفرنسي . مكث ثلاث سنوات الف خلالها الكثير من الالغان الفنائية والآلية . مثل سماوي عجم عشيران وسماوي نهاوند ولونقا فرحفا وفيها . وقد بحث في هذه الفترة من الالغان العربية القديمة التي اشتهرت بها سوريا وخاصة مدينة حلب فجمع من التراث العربي الشعبي القديم وغيره ودونه وسجله بالعلامات الموسيقية الحديثة كالموشحات والتدود والادوار وفاضل « اسق المعاش » ورقص السماح مع تدون العانها .

ثم انتسب عضوا عاملا الى نادي « الصنائع النفسية » وكان من اعضائه الاساتذة المرحوم شرف الدين الفاروقي والدكتور فؤاد رجائي والاستاذ سعد الدين القدسي مؤسس النادي وغيرهم .

وفي هذه الفترة سافر علي راس فرقة موسيقية الى استانبول ، نال هناك نجاحا باهرا ثم عاد مصطحبا معه عددا ضخما من الكتب والمؤلفات الموسيقية في شتى الفروع والاختصاصات في اللغات التركية والعربية وغيرها ، وفي عام 1927 م حتى عام 1931م رحل الشيخ علي الى القطر المصري ، بعد تسلمه دعوة رسمية من النادي الموسيقي الشرفي بمصر الذي أسس في القاهرة عام 1913 م . ذهب لتدريس الموسيقى هناك بعد ان اتفق اهضاء النادي المذكور الذي شمله الملك فؤاد الاول برعايته وعلى رأسهم رئيس النادي مصطفى بك رضا ، على شراء كتاب مؤلف في الموسيقى للشيخ علي وتدرسه مدة اربع سنوات بصورة مبدئية على ان يكون للنادي الحق في نشر الطبعة الاولى من هذا الكتاب . وتعرف اثناء اقامته في مصر على كثير من الشخصيات الفنية وغيرها . ودرس عليه في هذه الاثناء بعض المشهورين الان كلاساتذة : محمد عبد الوهاب ، رياض السنباطي والسيدة ام كلثوم . وكان الشيخ علي يعود الى حلب خلال عطلة النادي صيف كل عام . وفي عام 1931 م اي قبل انعقاد مؤتمر الموسيقى العربية بسنة واحدة تعرف الشيخ علي في مصر بمستشرق انجليزي يدعى البارون ديرلنجيه والذي دعاه هذا الاخير للعمل معه في تونس لتمام ابحاثه في الموسيقى العربية بعد ان اعجب بمقدرته الفنية ثم استحصل له من طريق النادي الموسيقي الذي كان يعمل فيه على

من عمر ناهز الثامنة والستين وقد شيمت جنازته في حفل رهيب مشى فيها بعض الهيئات الحكومية وقد جاء خصيصا من اساتذة المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق للاشتراك بتشجيع جنازته الى جانب اساتذة وطلاب المعهد الموسيقي في حلب حشد كبير من الجمهور ، ودفن في مقبرة آقيول بحلب .

واورد هنا مقتطفات من قصيدة شعرية للشاعر التونسي محمود بورقيبة يمتدح بها فيف تونس حينذاك المرحوم الاستاذ علي الدرويش عنوانها :  
- رابطة الفن بين تونس وشقيقتها سوريا -

يقول الشاعر محمود بورقيبة :

لمدة الفن اجلاسي واعظامي  
الى «علي» الى ذي المركز السامي  
الى الذي حل بالخضراء فافترفت  
من فنه علم اوزان وانغام  
الى الذي كان يلقي من شبيبتها  
دوما عواطف تقدير واكرام

الى ان قال :

« علي » بلغ لسوريا الشقيقة من  
خضرائنا كل تبجيل واعظام  
وعد لتونس يا استاذ عبودة ار  
هار الربيع لها في عذب بسلام  
وانشر باجوائها فنا رفعت له  
راسا كريما فاضحى شامخ الهام

الى ان قال :

سر عمدة الفن نحو الشام وابق لنا  
الذكرى العزيزة ذكرى خير اسام  
واحمل الى الشام من خضرائنا ارجا  
عربون ود عميق بالحشا نامي  
والشرق في صدره لا زال يجمعنا  
والفن قد ربط الخضراء بالشام

ايضا في الاذاعة التونسية وقام من تونس مع بعض الاصدقاء برحلات الى اوربا وحضر بعض الحفلات الموسيقية لدور الاوبرا والسفونواذ كان يجب جدا بتلك الموسيقى التي وصلت الى ما وصلت اليه في تطورها من الرقي والكمال .

وفي هذه الاثناء توفي البارون ديرلنجيه مأسوفا عليه بالنظر لخدماته الجليلة للموسيقى العربية وقبل مغادرة الشيخ علي الديار التونسية انعم عليه باي تونس آنذاك بوسام الافتخار من الدرجة الثالثة تقديرا له على خدماته للموسيقى العربية في المملكة التونسية .

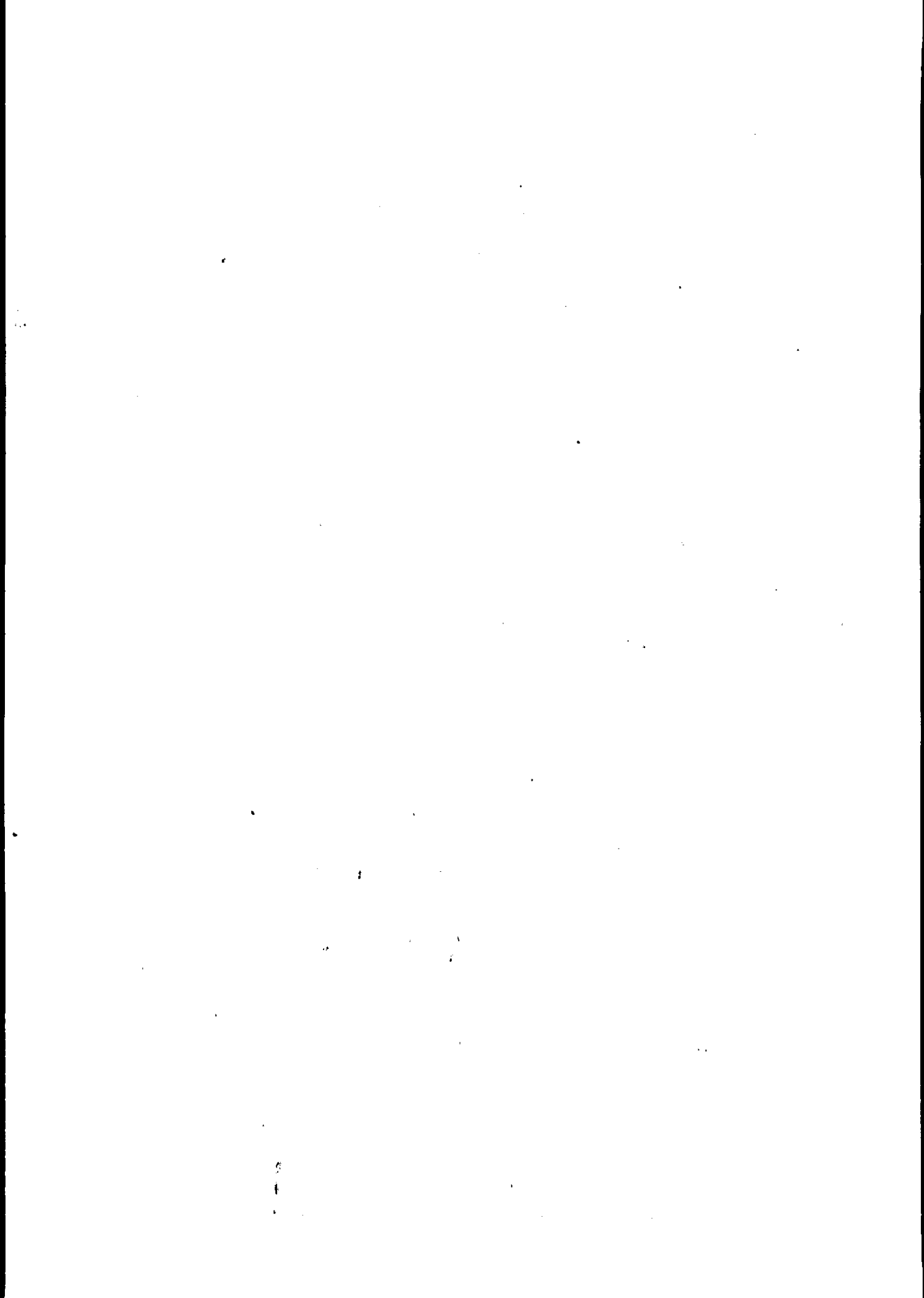
وفي ابتداء الحرب العالمية الثانية عام 1939م قفل الشيخ علي راجعا الى وطنه تاركا آثارا طيبة واصدقاء وتلاميذ أصبحوا عمدة النهضة الموسيقية في تونس ومنهم الاستاذ صالح المهدي رئيس اللجنة القومية للموسيقى حاليا ، وعندما عاد الى حلب الف كتابا في الموسيقى بعنوان « النظريات الحقيقية في علم القراءة الموسيقية » .

وفي عام 1942 م . عين الشيخ علي مميذا ومدرسا في المعهد الموسيقي الشرقي بدمشق .

وفي عام 1944 م . سجل في محطة الاذاعة في القدس بفلسطين نخبة كبيرة من الموشحات القديمة ثم عمل مدرسا في معهد الفنون الجميلة في بغداد من عام 1945 حتى عام 1951 م . وقد سجل في اذاعة بغداد ايضا عدة تسجيلات من الموشحات القديمة وبقي هناك زهاء ست سنوات ، وفي عام 1946 م . كان الشيخ علي الدعامة الكبرى في تأسيس المعهد للموسيقى في حلب ولدى عودته الاخيرة الى الوطن عام 1951 م . عاد الى عمله السابق في المعهد الموسيقي ، هذا المعهد الذي أسسه المرحوم الدكتور فؤاد رجائي ثم عين الشيخ علي الى جانب عمله في المعهد مستشارا فنيا في دار الاذاعة السورية في حلب الى ان وافته المنية في مدينة حلب يوم الخميس المصادف في 12 ربيع الاول 1371 هـ . الموافق في 26 تشرين الثاني عام 1952م

# المعلمة العربية

- التحقيق العلمي عند الدكتور مصطفى جواد  
للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني
- الفكر العلمي العربي في شخص العباس بن فرناس  
للاستاذ سعيد الديوه جي
- اعلام اللغة : احمد فارس الشدياق  
للاستاذ محمد جميل بيهم
- تاريخ جامعة الدول العربية  
للشيخ طه الواسي
- مروية فلسطين  
للدكتور اسعد حومد
- دراسة حول نهاية الادب للنويري  
للاستاذ عبد الحلیم الندوي



# التحقيق العلمي

عند الدكتور مصطفى جواد

محمد ابراهيم الكنائي، الأستاذ في جامعتي القرويين  
ومحمد الخامس « المغرب الأقصى »

أوفد المكتب الدائم الأستاذ محمد ابراهيم الكنائي ليمثله في حفل تاسين  
المرحوم الدكتور مصطفى جواد ببغداد وقد ألقى الأستاذ باسم المكتب الدائم المحاضرة  
الآتية :

ومنها الاخذ من نحو البصريين دون الكوفيين ، مع أن  
مذهب البصريين مناب لطبيعة اللغات .

وفي ( الصرف ) يبين بطلان فكرة ( المطاوعة ) و  
( المصدر الصناعي / و ( عدم النسبة للجمع ) .

وفي مشكلة معجمات العربية ومرداتها يذكر أن  
اللغة العربية محتاجة الى معجمات تستوعب الفصح  
وغير الفصح ، والقديم والمولد ، والعربي والمغرب ،  
كما ورد في كتب المسلمين الى زمن انتطاع الفاليف  
المتن .

يذكر أن الكلمة العربية لها قيمتان دائما ، قيمة  
معجمية لا حياة فيها ، وقيمة استعمالية هيوية ، واثق  
اذا تصلحت هذه المعجمات اللغوية المتداولة قلما  
تجد الشواهد القرآنية لاستعمال الكلم مع أنها اقدم  
الشواهد تسجيلا وأصحها .

فالمعجمات ينبغي فيها أن تأخذ وجوه استعمال  
الكلمات في القرآن الكريم ، وتجب دراسة القرآن  
دراسة لغوية ودراسة تعوية مودا على بدء . ففي ذلك  
نعش للعربية من كبوتها وتقوية وتوسيع .

ويعتر أن من أعظم ميسرات العربية على  
طالبها والكتاب الناشئين وضع ( قواعد عامة )  
تغنيهم في كثير من الاحيان عن مراجعة المعجمات ،  
وتدم 16 قاعدة امثلة لما يقترحه من القواعد .

ان الناظر في كثير من آثار الفقيد الدكتور مصطفى  
جواد رحمه الله ، - ولو كان معجلا ، يتجلى له  
بوضوح متانة ثقافته واتسامها وعمقها ، واطلاعه  
الواسع ، واستقلاله الفكري ، ومعرفته الكبيرة بالكتب

لهو ذو ثقافة لغوية متينة . شديد الحرص على  
سلامة التعبير العربي من المسخ والانحراف عن النهج  
السليم . وهو في نفس الوقت شديد العناية بمسايرة  
اللغة العربية لركب التطور ، ومواجهة المشاكل التي  
تعترض سبيلها ، وهو اذا كان عارفا بالتراث محترفا  
به قادرا له حق قدره ، فانه في نفس الوقت يفرق عن  
معرفة واسعة بين ما هو من جوهر العربية وذاتيتها  
القائمة على اساس المقدسات التي لا تحتل تطورا ولا  
تبديلا . وما هو من اجتهادات المجتهدين التي يحسني  
لغيرهم ان يناقشهم فيها وأن يدلي من جهته بتجربته  
الخاصة ، حسبما جرت عادة الباحثين في عصر  
ازدهار الفكر العربي . وهو بهذا التفكير الاصيل المتحرر  
في نفس الوقت ، يواجه مشكلة المصطلحات ومشكلات  
نحو العربية وصرنها : من الجمود وعدم الابداع ،  
ويعنى بالجمود اتباع قديماء النحويين في سرد القواعد  
من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من  
الضرورة .

ويذكر من اسباب اختلال النحو اختلالا ملحشا  
حصله عما يسمى ( علم المعاني ) الذي كان من النحو ،

والدقة في التعبير ، وعدم القاء الكلام على عواهنه ،  
والعفة في المنطق ، والتواضع وعدم الدعوى .

وكما يتجلى فيها بوضوح شغفه الكبير بالكتيب  
ومعرفته الواسعة بمطبوعها ومخطوطها ، والصحيح  
والسقيم من طبعاتها ، وما هو منسوب خطأ لغوي  
مؤلفه ، ومن هو مؤلف بعض من جهل مؤلفه منها وما  
هي قيمتها ، وما هو تام منها وما هو ناقص ، والموجود  
منها وأمكنة وجوده ، وما هو مجهول المكان ، فإن ذلك  
يتجلى أيضا فيما نشره عن الكتب من دراسات  
ومتالات لا تعد ، مما يؤكد صحة ما قاله الفقيه رحمه  
الله عن الكتب والمخطوطات في الحديث الذي نشرته  
مجلة ( اتلام ) في الجزء الأول من السنة السادسة بقلم  
الاستاذ سالم الألوسي : ( أنها عماد حياته وسر  
بقائه ) .

وقديما قيل : ( العلم معرفة المظان ) فمن لـم  
يعرف المراجع التي تناولت الموضوعات المختلفة وقيمة  
هذه المراجع من الناحية العلمية ، لم يستطع معرفة ما  
يحتاج معرفته أو لم يكن على ثقة من صحة ما يجده  
فيها .

ومن أمثلة تحقيق الفقيه العلمي في دراسته للكتب ،  
بحته القيم عن ( الصانع من معجم الأدباء ) لياتوت  
الرومي الحموي ، فقد بين فيه وتوع النقصان فيه ،  
وفي مواضع لم ينسبه لها ناشره مرجليوت ، وفتدان  
القسم الثاني من الجزء الثالث والشك في كون الجزء  
الرابع أصلا أو مختصرا فقط ، وإن السابع مختصر  
مقط ثم شك في أن يكون كل من الجزئين الرابع  
والسابع منتزعين من ( معجم الشعراء ) لياتوت  
الحموي ، أن لم يكونا جزئين منه ، ثم عقب بذكر  
تراجم تعتبر ضائعة من معجم الأدباء عثر عليها من  
مطالعته وتصفحاته ، وقد وفقت منها على 46 ترجمة  
في العديدين السادس والسابع من مجلة ( المجمع العلمي  
العراقي ) وقال : له صلة ، فما ادري أنشر شيئا بعد  
ذلك أولا ؟

ويعتبر ميدان تحقيق المخطوطات من أبرز ميادين  
التحقيق العلمي .

وغير خاف أنه كان للعرب والمسلمين في عصور  
ازدهار الحضارة العربية والثقافية الإسلامية تقاليد  
رائعة في ميدان تحقيق المخطوطات ، فقد كان المؤلف  
يكتب تاليه ويصححها ، ثم يملئها على الطالب وهو  
يكتب ثم يقرأ الطالب على المؤلف ما كتبه والمؤلف  
يمسك نسخته ، فيصحح الطالب بين يدي المؤلف ما

وكل هذا في مقدمة محاضراته عن ( المباحث  
اللغوية في العراق ) وقد أشار في آخرها إلى  
مؤلفاته في هذه الموضوعات : ( المعجم المستدرك )  
الذي نشر منه شيئا في ( مجلة المجمع العلمي العراقي  
تحت عنوان ( مبحث في سلامة اللغة ) و ( المصباح  
النذير ، للمصباح المنير ) و ( قل ولا نقل ) و ( فقه  
اللغة العربية ) على حسب مباحث العلم الحديث في  
المباحث اللغوية ، وقال : أن فيه مباحث من تبيـل  
الإبداع ، لا التحسين والاتباع ، ( وكتاب القلب  
والإبدال ) قال : وتغلب عليه الجودة والاستنباط .  
( و نهج السداد ، في كلام النقاد ) و ( معجم الجمل  
العربية - الفرنسية ) وحقق ونشر بالاشتراك  
( الجامع الكبير ) لابن الأثير في البلاغة . وقد كان يعرف  
إلى جانب العربية والفرنسية الفارسية والألمانية .

وهو كذلك ذو اطلاع واسع في التاريخ وتروعه  
المختلفة من تاريخ الحوادث والتراجم والحركة الفكرية  
ووصف البلدان وأتوال الرحالين والأدباء في ذلك .

وقد نشر في هذه الموضوعات كثيرا من المؤلفات  
والبحوث والدراسات ، وحقق كثيرا من المخطوطات

مثل دراسته عن ( ابن الفوطي / وعن ( بقية  
الإدارة بمصر ) ، وعن ( أصلهان ، معقل الأدب  
العربي في إيران ) و ( معجم مواضع واسط واعيان  
واسطيون من حملة العلم والأثر ) و ( الثقات العتبية  
والحال الاجتماعية في عصر ابن سينا ) و ( الفتوة  
وأطوارها وأثرها في توحيد العرب والمسلمين ) و  
( جاوان القبيلة الكردية المنسية ومشاهير الجاوانيين )  
و ( علم ابن النديم باليهودية والنصرانية ) وكلها نشرت  
بمجلة المجمع العلمي العراقي ، و ( سيدات البلاط  
المباسي )

كما نشر بالاشتراك ( دليل خارطة بغداد ) وحقق  
وعلق ونشر ( الجزء التاسع من الجامع المختصر )  
و ( نساء الخلفاء ) كلاهما لابن السامعي . و ( تكملة  
اكمال الاكمال ) لابن الصايوني ، و ( المختصر المحتاج  
إليه من تاريخ ابن الدبشي ) والقسم الرابع من  
( تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطي ) . وهذه الآثار  
- وغيرها - من آثار الفقيه إلى جانب كونها تدل على  
سعة ثقافية وتنوعها وصحتها وأصالتها ، تتسم في  
الغالب بطابع التحقيق العلمي ، من جهة .

وتدل من جهة أخرى على ما كان يتصف به  
الفقيه من الكثير من أخلاق العلماء ، من التثبت والتفري

التعلمين الى الميدان — وميهم من يحملون شهادات عليا من جامعات اجنبية — وتياهم بأعمال مشوهة باسم التحقيق العلمي ، ممن دعا الى وضع رسائل عن المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات ، فيها الاصيل وفيها المنقول .

وتد كان النقيذ — رحمه الله — من ابرز العاملين في ميدان التحقيق العلمي للمخطوطات ، ولكننا لا نعرف له رسالة خاصة أو مقالا عن المنهج العلمي لهذا التحقيق (1) وبالرجوع الى بعض أعماله في هذا الميدان نستطيع استخلاص بعض آرائه في الموضوع .

وستنخذ عنه في رسالة ( نساء الخلفاء ) لابن الساهي التي نشرتها (دار المعارف) بمصر بدون تاريخ ضمن سلسلة (ذخائر العرب) رقم 27 مرجعا في هذا البحث .

### 1) اسم الكتاب

سمى المؤلف كتابه (جهات الخلفاء من الحرائر والاماء) وسماه صاحب (كشف الظنون) (نساء الخلفاء) نجيب المحقق بين الاسمين بتقديم الثاني لوضوح معناه ، وتأخير الاول نظرا لعدم استمرار استعمال كلمة (جهة) فيما كانت تستعمل فيه .

### 2) مؤلف الكتاب

لم يكتب اسم المؤلف على النسخة الوحيدة المعروفة من الكتاب .

وقد نسبة الاستاذ مكرم بن خليل مدرس التاريخ بجامعة استانبول الى كمال الدين عبد الرزاق المعروف بابن الفوطى المؤرخ ، فمتصدى المحقق لبيان بطلان هذه النسبة التي لا دليل عليها لا في الكتاب ولا خارجه ، وقدم أربعة أدلة على انه لابن الساهي لا لابن الفوطى استغرقت خمس صفحات .

ثم بين خطأ اهمال كتابة اسم المؤلف على الكتاب ، وذكر ان المؤلف المعروف في زمن قد تذهب شهرته أو كثير منها في عصر آخر وأورد امثلة على ذلك

### 3) التعريف بالمؤلف وعصره

لقد كان الترتيب الطبيعى يقتضي تأخير التعريف بالمؤلف وعصره الى ما بعد اثبات انه ابن الساهي لا

عساه يكون قد صدر منه اثناء الكتابة من خطأ ، وبعد فراغ الطالب من مقابلة جميع الكتاب مع المؤلف يكتب له المؤلف بخط يده وتوثيقه على نسخته شهادة بان الطالب قد قرأ عليه هذا الكتاب وقابله معه حتى أصبحت نسخته هذه طبق اصل المؤلف ، ويضيف المؤلف لذلك ما مؤداه اعترافه بان هذا الكتاب من تأليفه وانه موافق على صحة هذه النسخة باذنه لهذا الطالب ( واجازته ) له ان يروي عنه هذا الكتاب ، وهكذا يفعل هذا الطالب عندما يصبح استاذاً مع طلبته ، فمتفرغ من نسخة المؤلف الاصلية لمروع طبق الاصل بقدر من تراوها على المؤلف وقابلوها معه واجاز لهم روايتها عنه ، ثم تفرغ عن كل نسخة من هذه النسخ المطابقة لاصل المؤلف نسخ عديدة طبق الفروع المنسوخة منها ، وهكذا دواليك .

وقد عرف تاريخ الثقافة الاسلامية نسخا اصلية مصححة ومقابلة استمرت الاجيال المتعاقبة في مختلف الاقطار تتناقلها وتقابل عليها الفروع المستنسخة منها ، وتتصل روايتها عن مؤلفها أو ناسخها بالسند المتصل جيلا بعد جيل ، وكان اهل العلم يتناسون ويتغالون في الحصول على هذه النسخ ويمرغون لها تيمتها . على انه لا نكران انه كان الى جانب هؤلاء المثبتين المتحررين الممتنين طائفة اخرى من النساخ الجاهلين الذين لا ذمة لهم ، مما استحقوا معه ان يسموا بالماسخين !

وظهرت المطبعة العربية اول مرة في اوربوا وقام احاجم غير مسلمين بطبع بعض المخطوطات العربية لاغراض خاصة . وعلى نطاق محدود ، وكانت عندهم امكانيات مادية كافية ، ولم يكن بعضهم يخلو من معرفة وروح علمية .

وعندما انتقلت المطبعة العربية الى البلاد ذات الثقافة العربية قامت بعض المؤسسات الرسمية باسناد مهمة تصحيح المطبوعات العربية الى طائفة من اهل العلم ، فنشرت مخطوطات مهمة لا تنقصها الصحة في كثير من الاحيان ، ولكن تحول نشر المخطوطات الى عملية تجارية كان نكبة نظيمة للكتاب العربي مسخته مسخا ثانيا ، مما دفع بعض المخلصين للنسرات العربي في بعض البلاد العربية الى القيام بهركات لاتخاذ الكتاب العربي بنشره نشرًا علميا .

ولكن هؤلاء المحققين لم يسلكوا منهجا واحدا في التحقيق ، وزاد الامر تعقدا تسرب جماعة من انصاف

(1) علمت بعد القاء هذا البحث في المهرجان التابيني ان له بعضا مخطوطا في الموضوع .

## 5 ( اصلاح اخطاء النسخة

ذكر المحقق انه صحح ما في النسخة من خطأ النسخ ، بالناسخ نقل في عدة مواضع ما لم يلهمه من الكتاب ونسخ ما هو غير واضح ، الى اخطاء املائية يرتكبها .

وقد حدث خلل في النسخة : وهو ان تسما من اخبار احدى المترجمات ادغم في اخبار ترجمة اخرى ، مماستوجب ذلك تنبيها واصلاح الخلل ، ولم ينبه على ذلك احد قبل المحقق .

ونشير الى ان من محققي المخطوطات من يحافظون على ما في النسخة كما هو صوابا وخطا ، ثم يعلتقون في الحاشية ببيان الاخطاء ووجه الصواب فيها ، ومنهم من يصلح الاخطاء ، في الاصل ويذكر في الحاشية ما كانت عليه في المخطوط ، ووجه اصلاحها .

وقد سلك الفقيه هذا المسلك الاخير في ( نساء الخلفاء ) اربعا وعشرين مرة ، منها ما هو خطأ نحوي ، ومنها ما هو خطأ في الاعلام ، ومنها ما اصلحه اعتمادا على المصادر ، ومنها ما اصلحه لعدم مناسبته المقام ، ومن امثاله :

ومطربها ( بمعزفه ) ... يؤوب الى نواحيها .  
مكان ( بمعرفة ) قال : لا محل للمعرفة فيه ، وانما العبرة في سيرورة المطرب بمعزفه الى النواحي !

ولكن المحقق ابقى اخطاء اخرى على حالها ونبه على خطئها مثل ( الرزازين ) التي هي تصحيف الزرادين و ( تضر الخلافة ) والصواب تضر الرفاة ) ( وظهرسي ) الداعي العلوي ، وهو قريب من ظهر ابن الداعي العلوي .

وتارة بيتي. الخطا على حاله ويضيف كلمة (كذا) اليه . هذا كله نيبا اتضح فيه وجه الخطا ، اما ما كان محتلا مانه يبقيه على حاله ويذكر الاحتمال في التعليق ، فقد وردت في المخطوط - مثلا - كلمة ( مقبلتها ) ويجوز ان تكون ( مقبلتها ) كأنها عملت ذلك احتراماً لمهديها .

## 6 ( هل الكتاب تام أم ناقص ؟

استظهر المؤلف في تعليق (ص 53) انه ناقص .

## 7 ( هل التزم المؤلف شرطه ؟

ختم المحقق تصديره بان المؤلف لم يلتزم شرط

ابن الفوطي ولا غيره ، ولكن المحقق رأى ان الادلة التي قامت له على انه ابن السامي تنفي كل احتمال ممكن في انه لغيره ، لذلك تجاهل هذا الاحتمال اولا وتصدى للتعريف بمصر المؤلف والمؤلف فأورد ما قاله ثمانية من الرحالين والمؤرخين من الحالة السياسية في عصر المؤلف . وأورد قائمة بأسماء بعض الشعراء والمعلماء ، بمعنى العلم الصحيح ، والمؤرخين .

وفي كلامه على سيرة المؤلف ، ذكر مولده ، وأشار الى عدم وجود ذكر لوالده في التاريخ ، وبين معنى السامي وسامع المؤلف للحديث ، ودراسته الادب والتاريخ ولبسه خرقة التصوف وشيوخه .

ثم ذكر ان بعض من ذكروا المؤلف التمس عليهم اسمه ابن السامي بابن الساماتي ، وبين غلطهم .

وان ابن السامي عرف بالخازن ، وبين معناه وذكر أسماء بعض من كانوا يختلفون الى دور الكتب في هذا العصر ، وان ابن السامي ألف اكثر كتبه في أيام الدولة العباسية ، وان العباسيين كانوا يجيزونه عليها ، وأضاف : وهذا يطعن في حياده عند أهل التحقيق والتدقيق !

ثم ذكر بعض من استمد من تأليفه ، وقيمته كمؤرخ وضعف طعن من طعن فيه ، ثم أورد قائمة بأسماء مؤلفاته ومن ذكر كل واحد منها .

ويقع هذا التصدير في 40 صفحة بالحرف الصغير بينما تقع الرسالة بتعاليقها في 92 صفحة أغلبها بالحرف الكبير .

هذا - وقد سبق للمحقق ان حقق ونشر (الجزء التاسع مع المختصر ، في فنون التواريخ وفنون السير) لابن السامي . ومصدره بمقدمة ترجم فيها المؤلف ، وذكر نظم الدولة العباسية في اواخر عهدها، والخلافة على عهد الناصر لدين الله فيعتبر عمله في تصدير ( نساء الخلفاء ) تنبيها لعمله السابق .

## 4 ( مصدر النسخة وصفتها

ذكر المحقق - في التصدير - كيف علم بوجود النسخة ومكانها ، وكيف تم تصويرها ثم اخراجها على الورق وقيامه بنسخها ، ووصف خط النسخة وذكر تاريخها .



كتابه بتضمينه آياه نساء الخلفاء ، فقد اضاف اليه من نساء السلاطين والامراء .

## ( 8 ) تشكل الكلمات -

ويولي التقييد رحمه الله مناية خاصة للكلمات التي تحتل الخطا عند النطق بها فيشكلها بالحركات مثل : المكبري ، وبفا والديشي ، والسهروردي ، والجنابذي ، وخاروييه ، وبنفشا ، والصلح .

وضبط شعبة بفتح الشين والميم ، فزارا من قول من قال : ان تسكين الميم من كلام المولدين - وان لم ينبه على ذلك - .

واحيانا يناقش المصادر في ضبطها لبعض الكلمات .

فمريب ضبطها الذهبي بالضم . ولكن ورد في الجزء الثامن عشر من الأغاني شعر يدل على ان المعين مفتوحة والراء مكسورة .

وبنان بضم الباء وضبطها مصححوا كتاب الاغاني بدار الكتب المصرية بالفتح .

## ( 9 ) تفسير الكلمات المحتاجة الى تفسير

سمى المؤلف كتابه ( جهات الخلفاء ) - جمع جهة وهي كناية عن زوجة الخليفة او حظيته ، او زوجة السلطان او حظيته ، استعملت كذلك في العصر السلجوقي وما بعده ، واريد بها احيانا السيدة المتزوجة مطلقا . ووردت كلمة ( البدنة ) في كلام المؤلف واحمد ابن ابي طاهر وابي جعفر الطبري ، بدون تفسير ففسرها واستعمل المؤلف كلمة ( الفابرين ) بمعنى الباقين وهذا هو الوجه الصحيح في استعمال الفابرين وهو الوارد في القرآن الكريم ، واما استعمال الفابر بمعنى الماضي وكونه من الاضداد كما عند ابن الاثيري فنأثسه - من رأى الحق - من تصحيح المابر بالمعين البهلة .

## ( 10 ) التعريف بالامثلة الواردة لذكرها في النص

اذا ورد ذكر مكان ، وكل الامثلة الواردة ذكرها من بغداد ، فان المعلق يعين المحل الذي كانت توجد فيه .

فمصور دار الخلافة ومرافقتها كانت في الشارع المعروف اليوم بشارع المستنصر بالله في بغداد الشرقية .

ومحلة نهر عيسى تسمى اليوم محلة السوق الجديد من الجانب الغربي من بغداد وما قاله ياقوت عن نهر عيسى مأخوذ من تاريخ الخطيب البغدادي ، واكثر ما في تاريخ الخطيب مأخوذ من كتاب انهار العراق لابن سرائيمون .

والظاهر ان سوق الخبازين كان مجاورا لدرب الخبازين المعروف اليوم بدرب العاتولية بشرق بغداد ويعرف بسوق الحيدر خانة .

ومن المعروف ان المحقق الف في هذا الموضوع بالاشتراك - كما سبق القول - ( دليل خارطة بغداد ) .

## ( 11 ) التعريف بالاشخاص

يلحق المحقق - غالبا - على اسم المترجمة في الكتاب بذكر مراجع ترجمتها ، وبعض المراجع التي لها فيها ذكر ، مطبوعة ومخطوطة ، مع ذكر الجزء والصفحة وكان الطبع وتاريخه - غالبا في كل ذلك - ويذكر في المخطوط - زيادة على الجزء والصفحة - المكتبة التي يوجد بها ورقمه ، والمكتبة التي توجد بها صورة منه ان كانت هي التي رجع اليها ، ويكرر ذلك كلما ورد ذكر الكتاب .

وقال عن واحدة انه لم يجد لها ذكرا في كتسب التاريخ والادب التي وصلت اليها يده سوى كتاب واحد وقال عن اخرى انه لم يقف على ذكر لها في كتاب آخر .

ولكنه لم يشر الى مراجع 16 ترجمة ، فالظاهر انه لم يقف على ذكرهن من غير ان ينبه على ذلك .

## ( 12 ) الرجوع الى المراجع التي اهل عليها المؤلف

من ايسر توامد التحقيق العلمي ان يتأكد المحقق مما ينقله المؤلف من مرجع من المراجع . فمعرفة هل هو موجود فيه أولا ، واذا كان موجودا لما هو بمقدار مطابقته لما نقله منه المؤلف .

وقد نبه المحقق على عدم وجود بعض ما ذكره المؤلف في المصدر الذي رجع اليه .

محمد بن الأخضر ، ومحمد بن داود هو ابن الجراح ،  
والشهور بأبي عبد الله الحنبلي في عصر ابن النجار  
هو أبو عبد الله محمد بن مكى بن أبي الرجاء الملقب  
تقي الدين .

### (15) التنبيه على أوهام المراجع

ويولي التقيد رحمه الله عناية بالغة للأوهام  
الواقعة في المراجع يهتم بالتنبيه عليها وبيان الصواب  
فيها ، فقد نسب ابن خلكان للسعدي انه ضبط كلمة  
جهير بالضم وهو غلط ، مع ان الوارد في ( الانساب )  
هو الفتح ، وكذلك ما في مختصره ( اللباب ) .

وبنان بضم الباء ، وضبطها محققوا كتاب الاغانى  
بدار الكتب المصرية بفتحها .

وظن ابن ثغرى بردى ان ابن السامى كان حنفيًا  
مع انه شافعي ، وقد نبه المحقق على ما يمكن ان  
يكون السبب في ظنه هذا .

وذكر علي بن الحسن الخزرجي ابن السامى  
نسباً ابن الخازن والصواب الخازن .

ومن مؤلفات ابن السامى ( الاحاديث الثمانية ) .  
وقد ورد في بعض المصادر ( البيانية ) من غلط النسخ  
او الطبع .

ولابن السامى كتابان في نساء الخلفاء ، وقد  
حسبها الذهبي وبعده الصفدي وتابعه ابن ثغرى  
بردى كتاباً واحداً .

وسمى المؤلف احد شيوخه عبد العزيز بن  
المبارك ، وجاء في ( تذكرة الحفاظ ) للذهبي : عبد  
العزيز بن مسمود ، وهو خطأ ، ولم يصحح هذا  
الخطأ مصححو « معجم البلدان » ( طبعة دار صادر  
ببيروت ) .

وذكر ياقوت باب الحول من الجانب الشرقي من  
بغداد والصواب الغربي .

وتردد صاحب مختصر بغداد في نسبة خبر  
للمعتضد او المعتد والصحيح انه المعتد .

ولقب ابن النجار في ( النجوم الزاهرة ) بمجد  
الدين بدلا من محب الدين وهو من خطأ النسخ وعدم  
التصحيح في الطبع !

مقد نقل المؤلف من الجهشياري فلم يجد المعلق  
الخبر في المطبوع من كتاب ( الوزراء والكتائب ) لان  
المطبوع ناقص كما هو معلوم .

ونقل المؤلف من ابن الجوزي فلم يجد المؤلف  
الخبر في ( المنتظم ) لانه انتهى قبل ذلك التاريخ ،  
فالظاهر ان هذا الخبر من ( درة الاكلیل ) .

ونقل المؤلف من ابي بكر الصولي فاستظهر  
المعلق ان المؤلف اخذ هذا القول مما ذكره ابو الفرج  
في اخبار ابي المعاهدة .

واورد المؤلف كلاما مضطربا فاصلحه المعلق من  
( مروج الذهب ) . والذي جرت به عادة محققى  
المخطوطات وعليه درج التقيد في كثير من تحقيقاته ،  
( تلخيص مجمع الآداب ) مثلا ، بيان جزء المصدر  
والصفحة الذين يوجد فيهما ما نقله المؤلف .

ولكنه اهل هذا في تحقيقه ( لنساء الخلفاء )  
مقد ذكر المؤلف في ترجمة ( عنان ) ان لها اخبارا مدونة  
ذكرها ابو الفرج الاصلهاني في ( كتاب الاغانى ) وذكر  
المعلق في مراجع ترجمتها الاجزاء : العائش والمشرىين  
والثالث والمشرىين المخطوط . ولكنه لم يذكر في اى  
جزء من هذه الاجزاء يوجد انه ما نقله المؤلف .

وكذلك في ترجمة مريب ، وبدعة الكبيرة .

وكذلك فيما نقله من ( كتاب بغداد ) لاحمد بن  
ابى طاهر ، ونقل من كتاب ( الورقة ) لابن الجراح  
مذكر المعلق ان المطبوع منه ناقص ، ولكنه لم يشر الى  
ما اذا كان ما نقله المؤلف موجودا في المطبوع اولا .  
الى غير ذلك .

### (13) التعريف بالمراجع

وقد يضيف المحقق التعريف بالمرجع الذي نقل  
منه المؤلف مقد نقل عن تاريخ ثابت بن سنان بن قرة ،  
فنقل عن التفتي التعريف بهذا التاريخ ، وبيان المدة  
التي ارضها واهيته .

### (14) ايضاح المبهات

فالحافظ أبو عبد الله البغدادي هو محب الدين  
محمد ابن النجار وأبو القاسم الأرجي هو يحيى بن  
أسعد بن بوش ، وأبو أحمد الأمين هو عبد الوهاب  
ابن سكين ، وأبو محمد الجنابذي هو عبد العزيز بن

وذكر محقق الكتاب الدكتور الفاضل محمد حبيد الله انه مع سميح لم يكثر على ترجمة القاضي الرشيد ، مع انه مترجم بتفصيل في مصادر اوردها المحقق . وهو من اهل القرن السادس لا الخامس . ثم قال : ونسبة الكتاب المذكور اليه - وهو من تأليف القرن الخامس - خطأ مبين يجب اصلاحه ، ولعله من مؤلفات ابن بابشاد المشهور .

و ( طبقات الشعراء ) منسوب لابن المعتز .

### 18) التنبيه على نقصان بعض الكتب

الظاهر ان ترجمة عبيد الله بن احمد بن ابي طاهر تقدمت فيها نقد من ( معجم الادباء ) .

والمطبوع من ( كتاب الوزراء والكتاب ) للجيشياري ناقص كما هو معلوم ، وما اكثر المقنود منه !

والمطبوع من ( كتاب الورقة ) ( بعناية دار المعارف ! ) وتحقيق الاستاذين الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار نراج خال من الترجمة التي نقلها ابن الساعي بالنسخة ناتمة .

وقد ورد في ( اخبار النساء ) خبر منقول عن ( الورقة ) لا يوجد في المطبوع .

وفيها نقل عن احمد بن ابي طاهر لذكر له في المطبوع منه المعروف ( باخبار بغداد ) .

ونقل عن تاريخ هلال بن محسن الكاتب لذكر له في المطبوع منه الملحق ( بتاريخ الوزراء ) لهلال المذكور ، فهو ناقص .

### 19) التنبيه على خطأ تسمية بعض المؤلفات

كان العقيد قد صحح تديما مخطوطا غسلا من التسمية وتسمية المؤلف ، سماه في المطبوع ( الحوادث الجامعة ) لكمال الدين ابن الفوطي ، وقد صدره ناشره بمقدمتين اولاهما بقلم صديقنا الاديب الكبير محمد رضا الشيبيني رحمه الله ، وقد جاء فيها : ( ومن رأيي - وقد تصفحت الكتاب - انه كتاب ( الحوادث والتاريخ ) لمؤلفه ابن الفوطي ، وزاد : وان لدينا من الادلة ما يكفي في نسبة هذا الكتاب الغفل الى العلامة المذكور .

وذكر ابن جبير دار ابي الفرج ابن الجوزي : مع انها مدرسة بنفشأ وكان يسكن فيها لانه كان مدرسا يومئذ .

وكان انشاء تربة هون ومعين ايام الناصر . واخطأ الصلاح الصفدي فنسب عبارات الناصر ومنها تربة هون ومعين الى ابيه محمد الظاهر .

ووقع في ترجمة ثابت بن سنان في تاريخ الحكماء للقطبي اضطراب في تاريخ وماتته : حيث ذكر مرة انها كانت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، ومرة سنة خمس وستين وثلاثمائة . وورد اسم ( شاهفرند ) في تاريخ الطبري وفي الكامل شاه آفريد ، وفي بعض نسخ ( مروج الذهب ) للسمودي ( سارية ) وهو تصحيف .

ورجح ابن خلكان ما ورد عند العماد في ( الخريدة ) على ما ورد عند السمعاني لظنه ان بينهما تعارضا . فبين المحقق انه لا تعارض بينهما .

وورد ذكر ابي بكر ابن العلاف ، فذكر الملحق مصادر ترجمته وقال : وهو صاحب الابيات المشهورة في رثاء المبرد ، وليست هي لثعلب كما ذكر الكمال بن الانباري في ( نزهة الالباء ) .

### 16) التعريف بمؤلفي بعض المخطوطات الغفل

نقل المحقق عن ( ذيل تاريخ بغداد ) لابن الديبشي ، نسخة كمبردج ، وزاد : ولم يعلم المفهرس انه تاريخ ابن الديبشي وقد حققنا ذلك وتأكد لنا .

### 17) التنبيه على الخطأ في نسبة بعض المؤلفات لمؤلفيها

تقدم انه بين ان ( نساء الخلفاء ) لابن الساعي لا لابن الديبشي ، ومن مؤلفات ابن الساعي ( اخبار الخلفاء ) ، واما هذا المطبوع المسمى ( مختصر اخبار الخلفاء ) فهو مدسوس عليه نخله اياه بعض المزورين الذين اعتادوا التزوير في كل امورهم وشؤونهم !

و ( المحاسن والاضداد ) منسوب خطأ للمحافظ . وكتاب ( الذخائر والتحف ) مجهول المؤلف ، وقد نسب الى القاضي الرشيد ابن الزبير ، وكتب تحته ( القرن الخامس الهجري ) . قال المحقق : وكل ذلك خطأ على خطأ !

وثانية المقدمتين بقلم الفقيده ، مصحح الكتاب والمعلق عليه ، وقد اورد اسم ( الحوادث الجامعة ) بدون نقاش .

وذكر اول من نسبه لمؤلفه في عصرنا .

ولكنه في تعاليفه على ( نساء الخلفاء ) يقول : الكتاب الذي سميناه ( الحوادث الجامعة ) استرجاحا لظهور انه غيره !

## (20) التنبيه على قيمة بعض الطبقات

ينقل المحقق من ( وفيات الاعيان ) طبعة بلاد المعجم ، ثم قال عنها انها اصح من الطبقات الاخرى .

## (21) اضافة ملحق للكتاب

اضاف المحقق الى ( نساء الخلفاء ) ملحقا اورد فيه اخبارا متعلقة ببعض المترجمات في الكتاب وردت في ( الذخائر والتحف ) السابق الذكر .

## (22) الفهارس وقائمة المراجع

الفهارس مفاتيح الكتب ، فالكتاب الذي لا يفهرس له تكون الاستنادة منه صعبة وفي نطاق محدود . ولهذا كان وضع الفهارس من اهم ما يقوم عليه المنهج العلمي لتحقيق المخطوطات .

وقد اختلف موقف الفقيده من هذه القاعدة فهو تارة يضع الفهارس اللازمة والتنوعة ، مثل ما فعل في جزء ( الجامع المختصر ) .

حيث اضاف له خبسة فهارس احدها للكلمات المفردة وآخر ممراني للاخلاق والمعادن والشؤون الاجتماعية ، وفي ( تكملة اكمال الاكمال ) لابن الصابوني حيث اضاف له اربعة فهارس ، ثالثها للفوائد الشارحة وفي ( الجامع الكبير ) لابن الاثير ثمانية فهارس .

وفي ( دليل خارطة بغداد ) فهران .

وتارة اخرى يكتبي بفهرس مختصر مثلما فعل فيما سماه ( الحوادث الجامعة ) .

ومثل جزاي ( المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي ) حيث ذكر في الاول مراجع التصحيح والايضاح والتراجم ، وفي الاخير ثبتا مختصرا للمترجمين في الجزء ، ومثل القسم الثالث من الجزء

الرابع من ( تلخيص مجمع الآداب ) لابن الفوطي حيث اقتصر على فهرس ابواب هذا القسم الثالث من الكتاب ، ووعد ان يثبت في القسم الرابع والاخير منه الفهارس العامة التفصيلية للجزء الرابع كله ، ولم اقف الا على القسم الثالث وحده .

ولكنه تارة ثالثة لا يضع فهرسا بالمره مثل سيدات البلاط العباسية و ( نساء الخلفاء ) .

واذا كان مظهر ( سيدات البلاط ) لا يدل على طابع تحقيق علمي ، لخلوه من التعليقات والمصادر تاخرى الصفحات وما يتبعها ، الى جانب الصورة التي على الغلاف !

فان النسخة التي وقلت عليها من ( نساء الخلفاء ) خالية من الفهارس والمراجع ، فما ادري استطلعت من هذه النسخة فقط ، ام ان المحقق رأى ان صغر الرسالة في غنى عن الفهارس ، او انها الفيت من طرف الدار ( اعتمادا في الفتحات ! !

## (22) اخطاء الطبع

قلما يسلم مطبوع من خطأ مطبعي ، و ( نساء الخلفاء ) التي بذل محتقها رحمه الله جهودا في التحقيق والضبط لم تسلم من خطأ مطبعي !

ومن امثلة ذلك في ص 60 بفتح الواو والصواب الميم ، وفي 135 السادس والصواب الخامس ، وفي 124 الجبازين والصواب الخبازين ، وفي 120 واقرت والصواب واقرت .

وكثير من محققي الكتب يوردون في آخر الكتاب جدولا للخطأ والصواب ولم يرد في ( نساء الخلفاء ) شيء من ذلك !

## (23) نماذج مصورة من الاصل

في اول الكتاب صور 3 صفحات من المخطوط لتمكين القارئ من تكوين فكرة عن المخطوط .

## الاستطراد

ومن مظاهر اتساع ثقافة المحقق استطراده العابر الفقيده .

فالتصوف والتشيع اخوان ، واوقف ابن السامي كتبه على المدرسة النظامية قبل موته بتقليل ، كما هو

وهذه العبارة الاخيرة ليست من باب التواضع ولكنها الحقيقة الواجبة ، ومدق الله العظيم : ( ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا )



هذه صورة من ثقافة التقيد و اخلاجه العلمية كما تتجلى للناظر في كثير من آثاره ، ومنها يتجلى انه رحمه الله كان علما بارزا من اعلام النهضة الثقافية العربية في هذا العصر .

ولعل مما ساعده على ذلك انه تنكف في اول امره ثقافة اسلامية عربية متينة خالصة ، ولم يتصل بالفكر الاجنبي الا بعد ان تكونت شخصيته تكوينا سليما ، فلم يصب بما أصيب به الكثيرون ممن اتصلوا بالفكر الاجنبي في هذاتهم فنجح في مسخ شخصيتهم ، وقطع صلتهم بترائهم الفكري والحضاري المجيد .

رحم الله التقيد رحمة واسعة ، وجزاه احسن الجزاء ، كفاء ما قدم من خدمات جليلة للغة العربية وتراثها واحسن عزاء الامة العربية التي تقدمت ليه ركنا من اركان نهضتها ، ووفق تلاذته لمواصله اداء رسالته في خدمة اللغة العربية وتراثها ، وعسى ان يقوم المجمع العلمي العراقي بجمع جميع مقالات التقيد وبحوثه المتفرقة في اعداد مجلة المجمع وغيرها من المجلات وطبعها حتى يعم الانتفاع بها ، وتسهل الاستفادة منها ، فان مجلة المجمع - مثلا - على اهميتها الكبيرة محدودة الانتشار جدا في الوطن العربي.

كما ان من الواجب الاكيد ايلاء عناية خاصة لآثار التقيد المخطوطة حتى تخرج للوجود ويستفيد منها تراء العربية في كل مكان .

وشكرا جزيلا لوزارة الارشاد على تبنيتها لهذا العمل الجليل واتاحتها لهذه الفرصة التي مكنت زمرة من اهل الفكر العربي والاسلامي بالاف العلماء والمؤلفين الذين انجبتهم في عصورها الزاهرة ، والذين قاد الكثيرون منهم الفكر الاسلامي والعربي في مختلف انحاء الوطن العربي والاسلامي عدة ترون .

عادة العلماء الوائمين كتبهم على المدارس ، وفعل ذلك قبله ابن النجار ، ودلان ابن السامي بمقبرة الشوينزية بالجانب الغربي من بغداد ، وهي مقبرة الصوفية وذوي المشرب الصوفي وان لم يتصوموا ، وفيها دفن الجنيد الصوفي الزاهد المشهور ، ولا يزال قبر الجنيد معروفا مزورا .

ومن شيوخ المؤلف ابو البقاء المكبري المنسوب اليه ( شرح ديوان ابي الطيب المتنبى ) المطبوع غير مرة مع انه تأليف عفيف الدين علي بن عدلان الموصلى المتوفى سنة 666 هـ .

### الاعتراف بالجميل

وقد كرر المحقق التتويه بفضل ماسينيون الذي كتب اليه مخبرا بوجود المخطوطة في استانبول . كما نوه بالاستاذ ( احمد آتش ) التركي الذي صور المخطوطة بالمايكروفيلم ( يعني الشريط الدقيق ) .

وهكذا تجد التقيد يعترف لكل ذي فضل بغضه ولا تشمر انه يحاول غبط حق احد ممن يرد ذكركم في كلامه ، وهو اذا كان حريصا على بيان الاخطاء التي وقع فيها المؤلفون لماته يعبر عن ذلك بمبارات مهذبة ولبقة ، مع التماس الاذار لكل مخطيء غالبا ، وفي كثير من عباراته التي اوردناها سابقا امثلة على ذلك .

وقد علق على وصف الموفق بالامام : ولم يكن الموفق اماما اي خليفة ، بل كان ولي مهد ، فان صح ان هذا قول المؤلف فهو خطأ ، ولعل الاصل الامير .

### التواضع

ويرجو المحقق ان لا تخلو تعاليقه من مائدة يقطنها القارىء في أثناء تراءته الكتاب ، والباهت عند استمداده منه ، ويزيد : ولا ابرى نفسي من تصدير ولا من ذهول فان نشر كتاب مخطوط اول مرة لا يبلغ الكمال في كل الاحوال .

# الفكر العلمي العربي

في شخص العباس بن فرناس

حكيم الأندلس  
الأستاذ سعيد السويدي  
عضو مجمع بعلمي العراقة

ومناظرات ومجادلات علمية ، وما يلقيه علماء الأندلس  
من طريف ما أخذوه من المشاركة .

ويقصد المجالس الأدبية ، ويستمع الى شيوخها  
استماع متبصر ، يريد أن يستفيد مما يجري في  
الحلقات والمجالس ، مما كان يلقيه شعراء الأندلس  
وأدباؤها من جميل النظم والنثر ، ومن غريب  
الأخبار واللغة التي أخذوها من أهل المشرق .

وكان يتردد الى أصحاب الفنون الرفيعة ،  
فيستمع الى الاصوات التي وضموها ، والآلات  
الموسيقية التي يوتنون عليها .

درس كتب الطب ، وخصائص الأمراض  
واعراضها ، وطرق الوقاية منها ، وملاج من أصيب  
بها .

درس خصائص الاحجار والامشاب والنباتات ،  
ووقف على ما تفيد في المعالجة ، وكان يقصد الاطباء  
والصيادلة ويناقشهم فيما ظهر له من اطلعه وتجاربه  
في هذا العلم الجليل ، الذي يحفظ صحة المجتمع ،  
ويقيه شر الاسراف .

ابو القاسم عباس بن فرناس بن ورداس التاكروني  
الاموي بالولاء - احد اساطين العلم والادب والفن في  
الأندلس .

لم نقف على ولادة هذا العالم الجليل ، والذين  
ترجموا له ذكروا : انه توفي سنة 274 هـ ( 884 م )  
وانه اربى على الثمانين ، فتكون ولادته في آخر  
القرن الثاني للهجرة ( حوالي سنة 194 هـ )

أصله من برارة « تاكرونا » ونشا في قرطبة ،  
عاصمة الدولة الاموية ، وهي - اذ ذاك - مركز العلم  
والادب والفن في أوروبا ، يشدون اليها الرحال ،  
ويقتبسون من معارف العرب وفنونهم وصناعاتهم ،  
التي كانت تبهر عقولهم ، وتأخذ بالبابهم .

في هذا المحيط الزاهي بالعلوم والمعارف ، شب  
ابن فرناس ، وكان ذكي الفؤاد ، سريع الحفظ ، دقيق  
النظر .

تعلم القرآن الكريم ، ومبادئ الدين الحنيف  
في الكتابيب التي كانت كثيرة في قرطبة ، ثم أخذ  
يرتاد الحلقات العلمية ، التي كانت تعقد في جامع  
قرطبة ، ويستمع الى ما يجري فيها من محاضرات

واشتهر بين اطباء عصره ، فانخذ الامراء الامويون (1) طبيبا خاصا لمعالجة الاسرة الحاكمة ، يشرف على صحتهم وطعامهم ، ويورثهم الى انجح الطرق في معالجة مرضاهم .

درس الفلسفة والمنطق والنجوم والعلوم الروحانية ، وجمع الكتب التي تبحث عنها ، والتي صعب الحصول عليها ، وقرأها قراءة مدققة ، واستفاد منها والناد قومه .

اشغل بالنحو ودقائق الامراب ، واطنح على آراء النحاة في التعليل وصار من نهاية عصره في الاندلس ، يؤخذ عنه وذكره الريبدي في الطبقة الثالثة من نهاية الاندلس ، وقال عنه : كان متصرفا في ضروب من الاعراب .

كان يقصد اهل الصناعات الرفيعة ، ويدقق باعمالهم وصناعاتهم ، وفنونهم الدقيقة ، ويسألهم عن سر ما لم يهند الى معرفته بنفسه ، فاقتبس منهم صناعات ومعارف ساعدته على ابراز ما علمه ، مما يحتاج الى عمل آلات عملية .

وهكذا صار ابو القاسم العباس بن فرناس متضلعا بعدة علوم وفنون وصناعات ، وآداب مختلفة ، فبرز على علماء زمانه ، بما انفرد به من معارف وعلوم لم تنهيا لغيره من اهل الاندلس ، حتى انهم اطلقوا عليه « حكيم الاندلس »

- 2 -

كثير هم الذين قنعوا من العلم بالامور البسيطة ، التي يسهل لهمها . وبالنظريات المجردة ينقلونها عن غيرهم ، ولم يكلفوا انفسهم عناء البحث والتدقيق فيما درسوه ، او تحقيق ما علموه ، ولم يحاولوا تطبيق العلم على العمل ، ليتأكدوا من صحة ما نقل اليهم ، او اخذوه عن غيرهم .

وابو القاسم لم يكن من هذا الرميل القانع بالسهل المبسط ، بل كان يدقق ما يدورسه ، ويحقق ما يفهمه ، ويتدبر ما يقرأه ، ويطبق عمليا ما يحتاج الى العمل ، ليتأكد صحة المدعى ، ويستفيد مما اخذ ، فهو احد العلماء العاملين ، الذين وضعوا اساس الحضارة العلمية والمطوية في الاندلس : سهلوا العويص ، وشرحوا الغامض ، ويسروا المر ، وابتكروا آلات علمية ومعارف عملية .

فابو القاسم من العلماء الذين علموا وعملوا : مكف على تحقيق القضايا التي درسها ، وهيا لنفسه ما يحتاجه عمله من آلات دقيقة ، وادوات مختلفة والايهزة العلمية - التي ساعدته على اظهار علومه ومعارفه عمليا ، ورسم طريقة مثلى لاهل بلاده . وهي محاولة تطبيق العلم على العمل ، بحيث يحققون ما يدرسونه ، ويصنعون لانفسهم الآلات والادوات العلمية التي يحتاجونها من غير ان يتكلموا على غيرهم ، وبدا يحق لهم ان يكونوا علماء عاملين ، يسمي اليهم ، ويؤخذ عنهم ، ويعتز بأرائهم المزيده بالعمل بعد العلم .

وعلى هذا فابو القاسم فاق اهل عصره في طريقته العملية ، فبرز في علوم ومعارف أوجدتها من تجاربه في التوليد والاختراع ثم الابتكار ، ومن ذلك :

1 - عانى صناعة الكيمياء ، وقام بتجارب وفحوص مختلفة ، واهتدى الى حقائق ، لم تكن معروفة عند الاندلسيين ، منها : انه استنبط صناعة الزجاج من نوع من الحجارة ، وبدا يصر للاندلسيين صناعته من مادة بخسة الثمن ، سهلة التناول ، فانتشرت صناعته في الاندلس ، وتفوقوا فيها .

2 - عانى علم الفلك والتنجيم ، راقب النجوم والكواكب في افلاكها ومداراتها ، وصنع الآلات التي تساعد على الرصد . ومما صنعه الآلة الكروية « بلات الطلق » ورنمها الى الامير محمد بن عبد

(1) اصل ابن فرناس بثلاثة امراء - وكان مقربا اليهم وهم على التوالي :

1 - الحكم بن هشام 188 - 206 هـ = 803 - 821 م

2 - عبد الرحمن بن الحكم 206 - 238 هـ = 821 - 852 م

3 - محمد بن عبد الرحمن 238 - 273 هـ = 852 - 886 م

الرحمن الاموي ، وكتب عليها ابياتا من نظمه تناسب الآلة ، وما تقوم به من عمل :

قد تم ما حملتني من آلة  
اهيا الفلاسفة الجهابد دوني

لو كان بطليموس الهم صنعة  
لم يشتغل بجداول القانسون

فاذا راته الشمس في آفاقها  
بعثت اليه بنورها المحزون

ومنازل القمر التي حجبت معا  
دون الميون بكل طالع حين

يبدون فيها بالنهار - كما بدت  
في الليل في ظلماتهن الجورن

3 - عمل الميقاتة لمعرفة الاوقات - وهي تقوم مقام الساعة في يومنا هذا ، ورفعها الى الامير محمد بن عبد الرحمن ، وكتب عليها من نظمه :

الا انسى للدين . خبير اداة  
اذا غاب عنكم وقت كل صلاة

ولم تر شمس بالنهار ، ولم تنر  
كواكب ليل ، حالك الظلمات

بيمن امام المسلمين « محمد »  
تجلت من الاوقات كل صلاة

4 - اتخذ في داره هيئة السماء ، وصور فيها الشمس والقمر ، والكواكب ومداراتها ، والغيوم والرعد والبرق ، فكان من اعاجيب الصنعة والابتكار .  
5 - انه اول من طار وحلق في الهواء - كما تطير الطيور وهذا من الاختراعات المدهشة التي قام بها « حكيم الاندلس » .

قام بمدة تجارب تمهيدية ، درس بها ثقل الاجسام ، ومقاومة الهواء لها ، وتأثير ضغط الهواء

عليها اذا ما طارت في الفضاء ، وكان له خير مسامد على هذا تفوقه في العلوم الطبيعية والرياضية والكيمياء ، فاطلع على خواص الاجسام ، واجتمع لديه من المعلومات ، ما حمله على ان يجرب الطيران بنفسه .

كسا نفسه بريش اتخذه من سرقبي الحرير (1) ، اثنتائه وقوته ، وهو يتناسب مع ثقل جسمه ، وصنع له جناحين - من الحرير ايضا - يحملان جسمه اذا ما حركهما في الفضاء ، وبعد ان تم له كل ما يحتاج اليه هذا العمل الخطير ، وتأكد ان باستطاعته اذا ما حرك الجناحين ، فانهما سيحملانه ويطيرون في الفضاء ، - كما تطير الطيور - ويسهل عليه التنقل بهما اينما شاء .

اعلن للناس انه يريد ان يطير في الجو ، وان طيرانه سيكون من الرصافة - ظاهر مدينة قرطبة - فاجتمع الناس فيها ليشاهدوا البطل يتهادى في سماء قرطبة .

صعد ابو القاسم فوق مرتفع ، وحرك جناحيه ، وقلز في الجو ، وطار في الفضاء مسافة بعيدة عن العل الذي وقف فوقه ، والناس ينظرون اليه بدهشة واعجاب ، يهللون له ، وشامروهم يقول :

يطم (2) على المنقاء في طيرانها  
اذا ما كسا جسمانه ربح قشقم

ولما هم بالنزول الى الارض ، تاذى في ظهره ، وفاته ان الطائر انما يقع على زمكه ( ذيله ) ، ولم يكن يعلم موقع الذنب في الجسم انما هبوطه الى الارض ، فاصيب بما اصيب من اذى .

هذه اول عملية جريئة يقوم بها حكيم اندلسي ، يجرب الطيران بنفسه ، وينجح بعمله الى حد ما ، وهذا النجاح الذي سجله حكيم الاندلس ، دفع الناس

(1) شقق الحرير الابيض والواحدة سرقبي

(2) طم : فلا ، غلب ، والقشقم : المسن من النور .



بالإقدام على محاولة الطيران ، فكان عمله نواة طيبة ،  
نمت وازدهرت ثم انثرت .

وصف مجالس الانس والطرب ، وما فى تصورهم من  
جنات وميون ، وزروع ومقام كريم ، وملاعب  
وكواهب ، ومصاندهم ومطاردهم - وكان يرافقهم بها .

رافق الامير محمد بن عبد الرحمن ، لما سار الى  
اخمد ثورة اهل « طليطلة » مع حلفائهم النصارى  
سنة 240 هـ ( 854 م ) فوقع فيهم الامير ، واخمد  
الثورة بمنف وشدة وشنت الثائرين . فقال ابن  
فرناس يصف هذه الواقعة :

ومؤتلف الاصوات مختلف الزحف  
لهوم الغلا ، جبل القبال ملتف

اذا اومضت فيه السوارم خلتها  
بروقا تزوى فى الفمام وتستخفى

كان ذرى الاملام فى ميلانها  
قراير فى يم ، مجزن من القذف

بكى جبلا وادي سليط فاصولا  
على النفر العبدان ، والمعصبة الغلف

يقول ابن بوليس لموسى - وقد اتى -  
ارى الموت قدامى وتحتى ومن خلفى

قتلت لهم الفا والفا ومثلها  
والفا والفا بعد الف الى الف

سوى من طواه النهر فى مستحله  
فأفرق فيه ، او تهدهد فى جرف

لقد نعمت فيه غزاة نسورنا  
وسمعت الدقات قصفا على نصف

ووصف ما آلت اليه طليطلة من الدمار  
والتخريب ، وهدم الامير قنظرتها الشهيرة فقال :

(1) كان اماما فى اللغة والادب ، وخطه يضرب به المثل فى الجودة ، لا يكاد يفرق بينه وبين خط « ابن  
مقله » سافر فى طلب العلم ، واخذ من مدة شيوخ وخالط الامراب فى بلاد ربيعة ومضر ،  
وصنف كتابه المشهور « الصحاح » فى اللغة واستقر فى نيسابور على التدريس والتأليف ، وتعليم  
الخط ، وكتابة الصحاف ، وله عدة كتب .

نكر فى الطيران ، واعتقد ان فى مقدور الانسان ان يطير اذا ما اتخذ له جناحين ، كجناحي  
الطير ، ولكنه لم يتم بدراسات تمهيدية يجرب بها ما افترضه - كما فعل حكيم الاندلس - فانه  
صعد سطح الجامع القديم فى نيسابور وقال : ايها الناس انى عملت فى الدنيا ما لم اسبق اليه ،  
فساعمل للاخرة امرا لم اسبق اليه ، وضم الى جنبه مصراي باب ، وثابطهما بحبل ، وطسار فى  
الفضاء ، - ولم يكن موثقا بعمله ، فان مصراي الباب لم يحملانه فى الفضاء ، بل سقطا به على  
الارض ومات . فكان عمله هذا دراسة سطحية لئلا يكبر .

الجميلة التي فنتت الكثير من شعرائها ، فابدموا في وصفها .

ومما قاله في صفة روضة :

ترى وردها والاقحوان كأنه  
بها شفة ليماء ضاحكها نضر

وقد ابدع في وصف اشجار النخيل الباسقات  
- الاشجار المباركة التي رافقت العربي اينما حل  
واستقر - نقلوها الى الاندلس وزينوا بها حدائقهم  
وبساتينهم :

حنايا كأمثال الالهة ركبنت

على عمد ، تمتد في جوهر البدر

كان من الياقوت قبست رؤوسها  
على كل مسنون مقيض من السدر

ترى الباسقات الناشرات فروعا  
موائس فيها ، من مداولة الوقر

كان صناعا صاغ بين فصولها  
من الذهب البادي، عراجين من نخل

نشت لؤلؤا ، لم استحالت زمردا  
بؤول الى العقيان قبل جنى البسر

ووصف الصحراء ووحشتها ، وترامى اطرافها  
فقال :

موسومة بالبعد ، تحسب سهلا  
لقى السماء بحولها اطنابا

فكانها دار تقاذف صحنها  
لم يجعل الباني لها ابوابا

ومن جميل قوله في وصف السراب :

يفلقن لجة آله ، فامامها  
حاد ، وآخر خلفها لم يلحق

فكان ذا موسى ، وذلك بالره  
فرهون ، الا انه لم يفرق

ومن تشبيهاته الجميلة ما قاله في وصف كوز :

ومعجم لم يبق في جثمانه  
الا حشاشة مهجة لم تزهرق

اضحت طليطلة معطلة  
من انها ، في قبضة الصقر

تركت بلا اهل تؤهلها  
مهجورة الاكثاف ، كالتبر

ما كان يبقى الله قنطرة  
نصبت لحمل كتاب الكفر

وله قصيدة يهنيء بها الامير محمد بمودته من  
طليطلة ، موافقا عيد الاضحى المبارك اولها :

ان القفول الذي اودى بعيدى الخ . .

ولما جدد الامير محمد قصور الرصافة ، التي كان  
قد شيدها جده « صقر قريش » عبد الرحمن  
الداخل ، وزينها بجميل الزخارف والكتابات وجعلها  
من اجمل القصور بهاء ورونقا ، فقال ابن فرانس فيها:

كان تصور الارض بعد تمامه  
كثير له اخفى شخوصا من الدر

فاعجب من اقتائها الفرر التي  
يقيم بهن البرد في دعوة الحر

وتنتشر الابصار منها الى مدى  
التنزه بالاطيار والوحش والزهر

كان الذي يخفي الحديث بنجوها  
على اخفض الاصوات يشدو على وتر

وكما كان يتحف الامراء بالالات الدقيقة الصنع،  
كان يتحفهم بهدايا طريفة نفيسة ، نظم اربعة ابيات،  
وكتبها بالذهب على تفاعلة ، ورفعها الى الامير محمد،  
اولها :

محمد اكرم مستخلف  
من خلفاء الله في الارض

فسر الامير ، وامر ان يفتى بها ، وكانا ابا  
القاسم من كل بيت بالف دينار ، وقال : لو زادنا  
لردنساء .

كان ابو القاسم مرهف الحس ، واسع الخيال،  
يستهو به جمال الطبيعة ، وسحرها الخلاب ، دقيق  
الوصف ، وكيف لا يصف مباحج الاندلس ، ومناظرها

حنيت على كشحيه من برحائه  
مضان : فهو لموتق لم يطلق

حلت عمامة راسه فتضومت  
منا مفارقه ، بمثل الرنبق

وله شعر رقيق يستهوي القلوب ، كقوله :

فبتنا وانواع النسيم ابتذالنا  
ولا غير عينيها ، وعيني كالي

الى ان بدا وجه الصباح كانه  
جبين فتاة ، لاح بين حجال

وقوله متفزلا :

واحور ما يعني الميون من الفسق  
له كذب في الجدد ، احلى من الصدق

وللحسن في خديه شمس مقيمة  
وبدر كمال لا يحور الى محقق

وما الميش الامتة الهجر والهوى  
باحور ، ما يبقى هواه ، وما يبقى

- 4 -

كان ابن فرناس موسيقيا مبدعا ، ينظم الشعر ،  
ويضع اللحن ، ويفضي به ، ويوقع على الصوت ،  
واشتهر بما وضعه من قطع جميلة كانت من نظمه  
وتوقيعه ، وكان امراء قرطبة يزيتون مجالسهم  
بانشاده وعزفه ، واكثر الامراء حبا له هو الامير محمد  
ابن عبد الرحمن ، فناه يوما صوتا من نظمه وتلحينه  
اوله :

الجهل ليل ليس فيه نور  
والعلم فجر نوره مشهور

فاجزل له العطشاء .

ومما يدلنا على سرعة بديته في نظم الشعر ،  
ورضع الصوت المناسب وحسن توقيعه على العود ،  
ما رواه المرزباني ( في طبقات اللغويين والنحويين )  
فقال :

(1) مدينة غربي الاندلس

كان محمود بن ابي جميل غلاما جوادا - وكان  
ماملا في اخريات ايام الامير عبد الرحمن بن الحكم  
- فعمل قبة ادم - بلغت النفقة فيها ونى وطالها  
خمسائة دينار - فاكملت غريبها على وادي لكة (1) ،  
وصنع ضيفا ، جمع له اصناف الكورة ، ووافق ذلك  
اطلاع « عبد الملك بن جهور بن يوسف بن بخت »  
ضياحه « بشدونة » فاستجلبه محمود مع بياض الكورة ،  
فشهد وشهدوا ، فلما تقضى طعامهم ، وصاروا الى  
المؤانسة - ومندهم احد بني زرياب - طلع عليهم  
عباس بن فرناس زائرا لمحمود ، فقام محمود اليه  
والتزمه ، وسر جميعهم بوروده ، ثم عرض عليه  
الطعام ، فطمع ، ثم صار الى المؤانسة ، ودفع ابن  
زرياب يغني :

ولو لم يشقني الظامنون لشاقتني  
حمام تدامت في الديار وقوع

تدامين فاستبكيين من كان ذا هوى  
نوائح ما تجري لهن دموع

فاستمدادوا الصوت اصجابا ، فاعاده .

فلما تقضى فناه ابن زرياب ، مد العباس يده الى  
العود ، فاخذته وغنى البيتين ، ووصلهما من عنده  
بديهة فقال :

شددت بمحمود يدا حين خانها  
زمان لاسباب الرجاء قطوع

بنى - لسامي الجود والمجد - قبة  
اليها جميع الاجودين ركوع

وكان محمود جوادا ، فقال له : يا ابا القاسم ،  
امر ما يحضرني من مالي القبة وهي لك - بما فيها من  
كسوتي هذه - وتكون في ضيافتك بقية يومنا ،  
ودعا اليه بكسوة فلبسها ، ودفع اليه كسوته ، وكانوا  
يومهم كذلك ..

هذه القصة الطريفة عن الفنان ابن فرناس ،  
تطلعنا على ما كان عليه من النظم الذي يناسب

المقام ، وانه كان يضع له الصوت ، ويفني بما يجب  
البرزين في الفناء ، بل يفوقهم بذلك

- 5 -

هذا التفوق في الموسيقى والإيقاع ، ساعده على  
حل اصطلاحات كتاب العروص للخليل بن احمد  
الفراهيدي (100 - 170 هـ = 718 - 786 م) احد  
مفاخر العرب والإسلام .

ذكر المؤرخون : لما ادخل الى الاندلس كتاب  
العروص ، للخليل بن احمد الفراهيدي وصار الى  
الامير عبد الرحمن بن الحكم ، عرضه على علماء قرطبة  
وادبائها ليوضحوه له ، فمعجزوا عن ذلك ، وصار  
الكتاب مما يتلوه به في قصر الامير ، حتى ان بعض  
جوارى القصر كان يقول لبعض : صبر الله عقلك ،  
كعقل الذي ملا كتابه من : مما ومما . فبلغ الخبر ابا  
القاسم بن فرناس ، فتقدم الى الامير ، وطلب اليه  
اخراج الكتاب اليه ، ففعل ، ولما قراه ابن فرناس  
وتدبره ، علم انه في علم العروص ، العلم الذي  
ابتكره الفراهيدي ، وضبط به بحور الشعر العربي ،  
فكف ابو القاسم فوامضه ، وشرحه لقومه ، فسئل  
عليهم دراسة هذا الفن الجميل والاستفادة منه .

فنولا برامته في الموسيقى والنغم ، وشعوره  
المرهف ، وتبصره بالغريب ، واطلاعه الواسع على  
دقائق هذا الفن - لما سهل عليه حل رموز الكتاب ،  
وتبسيطه .

- 6 -

حكيم الاندلس ابن فرناس ، كان من عباقرة  
عصره في العلوم ، والمصارف الدقيقة ، والآداب  
الرفيعة ، والفنون الجميلة .

عانى صناعة الطب ، فكان من اطباء زمانه ،  
درس المنطق والفلسفة وعلوم الحكمة وصار من اعلامها ،  
عكف على التجارب في الكيمياء والعلوم الطبيعية  
واهتدى الى امور خفيت على غيره ، متضلعا بعلم  
الفلك والنجوم والرياضيات ، وجاء بما ادهش  
قومه - وكان مع هذا كله - اديبا شاعرا نحويا لغويا ،  
يتقن وضع الالحن ، ويحسن الإيقاع على آلات الطرب ،  
ويطير في الفضاء ، محالقا في جو الاندلس ، ذلك  
لانه كان بعمله وفنه ، فوق ما عليه قومه ، فخلق في  
العلم والعمل .

رحم الله ابا القاسم « حكيم الاندلس » فقد كان  
من اعلام نوابغ الاسلام ، يفاخرون بعلمه وادبه وفنه .

اهم المصادر التي عولنا عليها في هذا البحث :

- بغية الملتبس - للضبي
- المغرب في حلى المغرب - نشره شوقي ضيف .
- جدوة المقتبس - للحميدي .
- التشبيهات من اشعار اهل الاندلس - الكتاني .
- نفع الطيب - المقري .
- الحلل السندسية - ارسلان
- معجم الادباء - ياقوت
- يتيمة الدهر - للثعالبي .
- طبقات اللغويين والنحويين - الزبيدي .
- وفيات الاميان - ابن خلكان
- بغية الوصاة - السيوطي
- شذرات الذهب - لابن العماد
- مقال في العدد 22 من مجلة العربي للاستاذ عثمان .
- وغیرها من المصادر ..

# أعلام اللغة

أحمد فارس الشدياق  
الأستاذ محمد صديق بيهم

الى قرية الحدث على مقربة من بيروت سنة 1809  
فترعرع فيها ، وتعلم في مدرسة عين ورقة . ولما  
مات والده انكب على المطالعة ، واحترف مهنة نسخ  
الكتب .

ولما مات اخوه بطرس الذي كان حبيس البطريرك  
الماروني في دير قنوبين خاف فارس على نفسه فعاف  
وطنه مفاضيا ، وسافر الى القاهرة ليكون استاذ  
اللغة العربية عند رجال البعثات الاميركيين . وهناك  
انكب على دراسة اللغة العربية وعلى الاتصال بالائمة  
المصريين والعلماء ، فبلغ ابعاد اعماقها . ولذلك عهد  
اليه محمد علي الكبير والي مصر بتحرير جريدة  
الحكومة : « الوقائع المصرية » .

وفي سنة 1824 ذهب الى مالطة بناء على  
طلب المرسلين الاميركان ، ولبت في تلك الجزيرة  
اربع عشرة سنة يعلم في مدرسة هؤلاء ، ويصحح  
مطبوعات مطبعتهم .

وفي سنة 1848 طلبته وزارة الخارجية  
الانكليزية من حاكم مالطة ليعاون الدكتور «لي» على  
ترجمة التوراة ، فلبى طلبها ومكث في لندن عشر  
سنوات تعرف خلالها باكبر علماء أوروبا وأدبائها .  
وهناك ألف كتبه « الواسطة » و«كشف المخيا»  
و «الفارياق» الذي طبعه في باريس سنة 1855 .

وفي باريس ألف واصدر كتبا اخرى ابرزها  
«سر الليالي» الذي كشف به الفطاء عن مظمة اللغة

منذ بداية القرن التاسع عشر برزت في كل من  
مدينة بيروت ، التي كانت مركزا لولاية تحمل اسمها،  
ولبنان في مهديه الاقطامي والتصريفية الممتازة، برزت  
نهضة هارمة شملت النواحي الادبية والاجتماعية  
والسياسية . وكان يرجع مصدرها الى اختلاط هذا  
الشعر والجبال المشرفة عليه بأوروبا وذلك بانتقال  
بعض رجال الدين المسيحي الى عواصم الغرب ،  
وتدفق الرسائل التبشيرية الى هذين البلدين ،  
وتنافسها في انشاء المدارس والكليات والطابع ،  
بالاضافة الى ما تخلل ذلك من قيام الشركات الاجنبية  
بالمشاريع العمرانية والاقتصادية ، وفي اسفار كان  
يقوم بها تجار بيروت الى الممالك الاوروبية وغيرها في  
سبيل التبادل التجاري .

وفي اواخر القرن المذكور كان شعار النهضة  
اهتماما باللغة العربية وآدابها ، وقد حمل لواءهما  
ادباء من رجال الدين والدنيا نظموا الشعر وكتبوا  
المقالات وانشأوا الصحف والمدارس ليس في سوريا  
فحسب ، وانما في غيرها من البلاد المجاورة ،  
وأوروبا . وعلى قول جاحظ لبنان المعاصر المرحوم  
مارون عبود احمد فارس الشدياق كان الرجل  
الاول في هذا البعث الاجتماعي ، وحامل لواء اللغة  
العربية .

— \* —

ولد فارس الشدياق في قرية مشقوت ببلبنان  
سنة 1804 ، ولاحوال سياسية انتقل والده منصور

وعلى رأسهم مفتي البلدة ، والاعيان والادباء ، وكانت  
الرايات والاعلام تمشي امام الجنائز ، ومشائخ  
الطرق يمشون وراءها يهللون ويكبرون .

وبعد الصلاة عليه في الجامع العمري الكبير ،  
وسماع المرثي من نظم ونثر ( على ما ذكرت جريدة  
لسان الحال في اليوم التالي نقل جثمانه الى قرية  
الحدث ، ولكنه لم يدفن فيها ، وانما دفن على مقربة  
منها في محلة الحازمية على جانب الطريق بين بيروت  
ودمشق حيث شيدت الدولة له ضريحا مرموقا على  
نسق مقامات الباشوات والحكام .

— \* —

في نهاية عام 1936 اجتمع في بيروت جمهرة  
من كبار الادباء والصحفيين والاعيان، وقرروا الاحتفال  
بيوبيل الشدياق بمناسبة مرور خمسين عاما على  
وفاته ، واختاروا لجنة ادارية منهم تتولى اعداد  
مهرجان كبير لاحياء ذكراه، ولاءدة طبع آثاره .  
وقد شرفني المجتمعون بانتخابي رئيسا لهذه اللجنة ،  
ولكن الاسباب التي حالت دون دفن الشدياق في  
القرية التي ولد فيها ، حالت هذه المرة ايضا دون  
قيام هذه اللجنة بما عهد اليها .

ونحن نترك الكلام هنا الى اديب لبنان الكبير  
مارون عبود . فهو قد ختم كتابه « صقر لبنان »  
الصادر سنة 1950 بفصل اطلق عليه اسم « صرخة  
في ود » : اورد فيه ما اعترض الاحتفال الخمسيني  
للشدياق من ملاحظات وعقبات . وقال : « عندما  
ارسانا الصرخة تلو الصرخة لم نحسب انها جميعا  
ستذهب في واد . فما اصدرنا بضع مقالات ، في  
نهاية عام 1936 نذكر فيها العالم العربي باديب النهضة  
الحديثة ، وواضع حجر الزاوية في بنيانها العلامة  
الاكبر احمد فارس الشدياق حتى اهاب بنا صوت من  
بيروت : ان انزل العاصمة ، فهبطنا اليها شاكرين  
للاستاذ محمد جميل ييهم دموته الى شربنا فيها  
الشاي والقهوة ، واكلنا من الحلوى اقراصا مختلفة .

كنا اربعين ، ولكن غير الاربعين الخالدين ،  
فانتخبنا منا اثني عشر رسولا ... حملناهم الدموة  
للشدياق ، وارسلناهم كالخراف ... كانت همتنا  
عظيمة يوم بداننا ، وتلك مادتنا ، نار هشيم ، ثم  
تنظيفه . فما ذاقنا الدموة حتى انبعثت الهمم ،  
واتانا من القاهرة نأ الدكتور فيليب الشدياق ( ابن  
هم المرحوم ) يتبرع بمائة جنيه مصري لعمل تمثال

العربية . وصادف ان جاء باريس وقتل احمد باشا  
باي تونس ، فمدحه الشدياق بقصيدة كان اولها  
« زارت سعاد » ، ثم بعث بها اليه بعد عودة الباي الى  
بلادها فاعجب هذا بها ، وارسل يستقدمه الى تونس  
على سفينة بخارية ليبحر الشدياق عليها هو وعائلته .

وفي تونس فخر الباي الشدياق بنعمه ، وقلده  
اسمى المناصب ، فضلا عن مديرية المعارف عهد اليه  
برئاسة تحرير جريدة الرائد التونسي . وفي غمرة  
هذه النعم اعلن فارس الشدياق اسلامه ، وازاد الى  
اسمه احدا ، وتكنى بابي العباس .

وحينئذ ، وقد ذاع صيته في الشرق والغرب ،  
استدماه السلطان عبد المجيد العثماني بواسطة الباي .  
ولما جاء دار السعادة « اسطامبول » رحب به  
السلطان ، ومهد اليه بادارة المطبعة السلطانية طوال  
عدة سنوات . وفي سنة 1861 انشا الشدياق جريدة  
الجواب ، فكانت تنطق بلسان الشرق ، ومرجما  
للصحف الاوروبية في القضايا الشرقية التي كان  
يطلق عليها « المسألة الشرقية » . وكانت هذه  
الجريدة تحمل لواء العرب والعربية الامر الذي افضى  
الى اسكانها سنة 1884 .

وفي 1886 زار احمد الشدياق القاهرة ،  
وهو شيخ ، فآكرمه الخيديوي توفيق باشا ، ونوه  
بخدماته للشرق افضل تنويه ، ولكنه مع ذلك ظل  
يحن الى العاصمة العثمانية فعاد اليها ، وقضى  
نحبها فيها سنة 1887 . وقد احتفل بمآتمه احسن  
احتفال ، واشترك فيه ممثل السلطان ، وصدرت  
ارادة سنية بدفنه في تربة السلطان محمود ، بينما  
رثته صحف العالم على اختلاف لغاتها ، ونقل البرق  
نعيه الى العواصم الاخرى . وقالت عنه جريدة  
الاجيبيان غازيت ما يلي : « فع الكتبة الانجليز  
سكيت وامرسون وداور دروث ووايكنف وبلوير في  
شخصية واحدة فحينئذ يمكنك ان تتصور جيدا عظمة  
احمد فارس الشدياق . ولو ولد الشدياق في أوروبا  
لدفن مع نخبة العظماء ، ولتصب له التماثيل في اكثر  
مدن بلاده . »

ولكن الشدياق ( على ما جاء في دائرة معارف  
البيستاني ) كان يريد ان لا يدفن في غير مسقط رأسه  
ولذلك فان ولده سليمان التمس الاذن بان يدفن في  
قرية الحدث عملا بوصية والده . وكان يوم نقل  
جثمانه الى لبنان من اعظم ايامه ، كما كان يوم استقبال  
جثمانه في بيروت يوما مشهودا اشترك فيه العلماء

للفقيد ، وتوالت جلسات اللجنة المختارة حتى خطر  
ببإلها أن تفرع باب الحكومة ، فمئة فيليب شجعتها  
... اما كرم الحكومة فكان حائما ... واليك ما  
كتبته جريدة صوت الاحرار الخطيرة على اثر تلك  
المقابلة تحت هذا العنوان الضخم « الجمهورية  
البنانية تقدر ثوابها » .. « اوفدت لجنة تكريم امام  
الفة العربية وحجتها في القرن التاسع عشر الماسوف  
عليه احمد فارس الشدياق اربعة من اعضائها :

السادة محمد جميل بيهم رئيسها ، والشيخ يوسف

زكريا ، وكرم ملحم كرم ، ويوسف يزبك فقابلوا  
فخامة رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ اميل ادة  
وطلبوا اليه التلطف بقبول جمل المهرجان تحت رعاية  
فخامته . وقد استقبل اللبناني الاول وفد اللجنة  
بحفاوة وقال : « انه شخصيا يعطف على مشرومها  
ويقدره حق قدره ، ولكنه يطلب الى الوفد ان يجتمع  
بمعالي وزير التربية الوطنية ويتفق معه على تقرير  
الامر ، عملا بنصوص الدستور ... وذهب الوفد الى  
معالي الاستاذ حبيب ابي شهلا ، فلقي من وزير  
التربية الوطنية كل عطف وتشجيع ، وقال : انه  
مستعد لتسهيل مهمة اللجنة بكل ما لديه من الوسائل  
المادية والمعنوية ، وقد تلطف وشكر اللجنة باسم  
الحكومة اللبنانية على اهتمامها بتكريم نابغة لبناني  
من نوايخ الامة العربية ، ووعد بقبول رعاية المهرجان .

وهكذا ارتخت همة لجنة الشدياق ، اذ علم  
الاعضاء الكرام ، والرئيس الهمام انهم ينفخون في  
رماد . »

وهنا امرت المرحوم مارون عبود عن أسفه على ما  
اترضس يوبيل الشدياق الخمسيني من عقبات ،  
ولكنه قال : « فلا بأس ان تركنا التمثال للذرية فلعلها  
تكون خيرا منا فلجنة تمثال بودليس نامت زهاء ربيع  
قرن » .

اما وقد مضى 35 عاما على موهد يوبيل  
الشدياق الخمسيني توفي خلالها الدامي الاول لهذا  
اليوبيل ، واشرفت على اللحاق به حين ان احدا من  
الذرية لم يفكر في الاحتفال بذكرى الشدياق فاني  
احببت ان اذكر العالم العربي بمجلة «اللسان العربي»  
المحترمة، بالرجل الفد الذي خدم هذا اللسان خدمات  
لم يقم فيها احد سواه في عصره ، ولعل الذكرى تنفع  
المؤمنين .

وقد بسط لمعالي الوزير منهاج اللجنة لتكريم  
الشدياق ، ومنه اعادة طبع بعض مؤلفاته ، واختيار  
مختارات منها ، ثم اقامة تمثال له ، وترميم ضريحه  
في الحازمية ، وجعل مدة المهرجان اسبوعا كاملا  
يشترك فيه المستشرقون ، ووفود الاقطار العربية  
وشعراؤها وكتابها . ولم يفسح معالي الوزير المجال

# تاريخ جامعة الدول العربية

الشيخ طه الوحي « بيروت »

هذه المرة لم تعتمد على موظفيها العاديين في البلاد العربية امثال السير هنري مكماهون ، وانما كلفت وزير خارجيتها بالذات ، المستر انطوني ايدن ، باطلاق تصريح سياسي قال فيه :

« لقد خطا العالم العربي خطوات واسعة في طريق الرقي، وهو يطمع الآن الى تحقيق نوع من الوحدة يجعل منه عالما متماسكا، ويرجو ان تسامده بريطانيا العظمى في بلوغ هذا الهدف . ويسرني ان اعلن باسم حكومة صاحب الجلالة عن ترحيب بريطانيا بهذه الخطوة وعن استعدادها لمساعدة القائمين بها حالما تتوفر لديها الادلة على تأييد الرأي العام العربي لها » .

غير انه بالرغم من المكانة الرسمية التي يتمتع بها المستر ايدن في حكومته ، فان تصريحه المثير لم يحدث اثره المطلوب في نفوس القادة العرب . لان هؤلاء كانوا ما يزالون غير مقتنعين بقوة الحلفاء ولا بسلامة موقفهم العسكري ، من جهة ، ومن جهة اخرى ، فان العرب على مختلف اوساطهم كانوا غير مؤمنين بصديق نوايا الانكليز الذي سبق لهم ، اثناء الحرب العالمية الاولى ، ان تنكروا لوعودهم وعهودهم التي اسرفوا في اغداقها على الشريف حسين ، امير مكة ، حين استدرجوه للثورة على دولة الخلافة العثمانية الاسلامية . فلما انتصروا على اعدائهم ، لم يتورعوا عن اعتقاله في جزيرة قبرص ، واحتلال الشرق العربي وتقسيم بلاده فيما بينهم وبين حلفائهم الفرنسيين على ما هو معروف ، ولا داهي لتكراره في هذه المناسبة .

كان عام 1941 بالنسبة للحلفاء مشحونا بالمفاجآت والمتاعب . وفي اثنائه احرزت قوات الالمان انتصارات عسكرية ساحقة على اكثر الجبهات الحربية سواء في اوربا حيث سقطت فرنسا صريعة تحت اقدام الغزاة وتفتشت قوات المحور بقيادة رومل على طول شمال افريقيا حتى الحدود المصرية، وبدا للناس في كل مكان ان هتلر سيصبح سيد العالم بلا منازع .

وقد ادى هذا الوضع العالمي الى تحريك المشاعر القومية في بلاد الشرق العربي فقامت الاوساط الوطنية المتحمسة باثارة الجماهير للانتفاض على السلطات الحليفة باساليب مختلفة ، بنفت احيانا حد الحركات المسلحة ، كما حدث مثلا في العراق حيث اعلن الجيش العراقي الحرب بصورة رسمية على القوات البريطانية التي كانت ترابط في البلاد ، واستولى على السلطة بعد ان اضطر الوصي على العرش وحكومته للهرب من العاصمة بغداد والاعتصام في البصرة تحت حماية القوات الانجليزية التي كانت صارتها البحرية قريبة منها .

وعلى الرغم من ان الجيوش الحليفة كانت ولا تزال قادرة على اخماد كل حركة محلية تقوم ضدها، بل هي اخمدتها بالفعل ، بالرغم من ذلك فان الحكومة البريطانية وجدت ان من مصلحتها يومئذ معالجة المواطنين الوطنية مند العرب بالتي هي احسن ، فلجأت الى نفس الاساليب التي سبق لها ان اتمتها في الحرب العالمية الاولى (1914 - 1918 ) بيد انها في



وكان تصريح المستر انطوني ايدن الاول بتاريخ 29 ايار 1941 . وفي 24 شباط سنة 1943 جاء ايدن بتصريح جديد ، كرر فيه ما كان قد عرض في السابق من بلبل خدمات بريطانيا لمساعدة العرب على تحقيق امانيهم في الاتحاد والتحرر ، وذلك في معرض رده على سؤال وجه اليه من قبل احد اعضاء مجلس العموم البريطاني .

ويبدو ان الظروف في سنة 1943 كانت ، بالنسبة للحلفاء افضل منها في سنة 1941 . نظرا لتحول الموقف العسكري بوجه عام الى صالحهم ، فاستقبل ساسة العرب التصريح الانجليزي الثاني بروح ايجابية ، رغبة منهم في الافادة من هذا العرض البريطاني ، الذي بدا لهم وكأنه فرصة ذهبية ، لا يجوز تفويتها على امتهم ولاسيما وان الحلفاء في ذلك الحين ، ارادوا تبديد الشكوك فيما يقولونه ، فانتهزوا فرصة انسحاب قوات المحور وفي جملتها قوات حكومة فيشي التابعة لهم ، من منطقة الشرق الاوسط ، فأعلن ديفول ، رئيس الحكومة الفرنسية المؤقتة اعترافه باستقلال سورية ولبنان ، كما اعلن الانجليز مزعمهم على الاعتراف باستقلال امارة شرق الاردن فيما بعد .

وبالفعل كان اول رد فعل لتجاوب العرب مع المبادرة البريطانية جاء من قبل الامير عبد الله بن الحسين حاكم شرق الاردن الذي كان اول من اعرب عن استجابته لتصريح ايدن ، معلنا بان العرب سيجتمعون حالا ، لدراسة التصريح المذكور ، والتصرف على ضوء ما تضمنه من عروض ووعود .

وكان الامير عبد الله يرى ان الظرف اصبح ملائما للعمل على تحقيق حلمه في بئث مملكة له تضم البلاد السورية في جميع اجزائها التي اقتسمها الحلفاء فيما بينهم بعد الاحتلال الذي فرضوه عليها في اعقاب الحرب العالمية الاولى . فوجه مذكرة الى الحكومة الانجليزية يشاؤها فيها الغاء الانتداب من شرق الاردن اسوة بالاقطار السورية الاخرى ليتمكن من السعي مع تلك الاقطار للوحدة تمهيدا للملك الذي يطمح به . وايد الامير مذكرته هذه بان ارسل معها صورة عن قرار اتخذه مجلس الوزراء الاردني بتاريخ اول تموز سنة 1941 جاء فيه :

... « ان التصريح البريطاني الاخير على لسان المستر ايدن اولا ، ولسان السير مايلز لمبسون

ثانيا ، وكذلك تصريح فرنسا الحرة على لسان الجنرال كاترو . قد قوبلا بالاعتباط والشكر من حكومة سموكم واتاحا لها ، على ضوءها ان تدرس الموقف السياسي الحاضر في البلاد التي تتألف من سورية ولبنان وشرق الاردن وفلسطين ، وتمثل المجموعة السورية المراتية التاريخية ، وانها لترحب اجمل ترحيب بهذين التصريحين وتسجلهما وتعتبرهما اعترافا بجدارة البلاد السورية بالاستقلال والوحدة ، ودليلا على تقدير بريطانيا العظمى وفرنسا الحرة للمنافع المشتركة التي يمكن ان يضمناها استقلال البلاد العربية السورية ووحدها للدولتين الحليفتين وللرب انفسهم سواء في ايام السلم او ايام الحرب . وبناء على هذا الرأي ترى ( اي الحكومة الاردنية ) ان تفضلوا وتسمحوا لها بالاتصال بالحكومات المشار اليها والتعاون واياها على العمل لتحقيق الغايات الالفة وجمع الكلمة وتوحيد الرأي العام ، وانها تستند في اقتراحها هذا الى الامور الآتية :

تضمن تصريح المستر ايدن ان الحكومة البريطانية عظيمة العطف على قضية الاستقلال السوري وانها مستعدة لتأييد السعي الذي يبذله فريق من زعماء العرب لايجاد نوع من الوحدة العربية . . وان ذلك ليعد اكبر تأييد من الحكومة البريطانية واعظم عطف منها على القضية العربية .

ثم تضمن قرار الحكومة الاردنية ، النقاط التي رواها مبررة لما جاء فيه .

على ان الحكومة البريطانية استقبلت مذكرة الامير عبد الله وقرار حكومته بفتور ملحوظ وكلفت معتمدا في الاردن بالجواب عليه في مذكرة جاء فيها :

« . . ان فخامة المندوب السامي ( بفلسطين ) قد احال الامر الى حكومة جلالتك . . واومر الي بان ابلى سموكم رد حكومتك بالنص التالي :

« ان المثل الاعلى للوحدة العربية والاستقلال هو مستحوذ على عطف حكومة جلالتك التام ، على ان القضية يرجع امرها الى تبصر العرب انفسهم ، عندما يكون الميدان اكثر جلاء مما هو عليه في الوقت الحاضر . اما فيما يتعلق بالقرار الموجود قيد النظر ، فان حكومة جلالتك تلزم رايها التاكيد ان كل تقارب من الحكومة السورية او من اية حكومة اخرى من الحكومات ، كالتى تضمها حكومة شرق الاردن

نصب عينها ينبغي ارجاؤه ريثما تغدو الحالة اكثر استقرارا » .

ولم تكن استجابة الامير عبد الله هي الوحيدة التي قوبل بها تصريح ايدن من قبل العرب ، بل ان نوري السعيد قام بدوره بتقديم مذكرة عرفت يومها « بالكتاب الازرق » الى المستر كيزي وزير الدولة البريطانية في الشرق الاوسط ، وقد اعربت هذه المذكرة عن ترحيب العراق بالبادرة الانجليزية التي وردت على لسان المستر ايدن .

### بيان مصطفى النحاس باشا

ان البيانات التي اصدرها المسؤولون في الاردن والعراق لم تترك اي صدى في الدوائر العربية الاخرى لان الوضع السياسي في كلتا الدولتين المذكورتين لم يكن يحظى بتأييد هذه الدوائر ولا برضاها ، فاتجهت الانظار الى مصر كبرى الدول العربية . وفي غضون اسابيع قلائل تناقلت وكالات الانباء ان مصطفى النحاس باشا ، رئيس الحكومة المصرية كلف وزير العدل في حكومته ، المرحوم صبري ابو عزم باشا بان يلقي يوم 30 اذار سنة 1943 ، باسمه وبصفة رسمية ، البيان التالي :

« انني من قديم معنى باحوال الاسم العربية والمعاونة على تحقيق امالها في الحرية والاستقلال ، سواء في ذلك ، اكنت في الحكم ام خارج الحكم ، وقد خطوت في ذلك خطوات واسعة ، صادفها التوفيق بان اتجه نظام الحكم في بعض الاقطار العربية الاتجاه الشمسي الصحيح . ومنذ اعلن المستر ايدن تصريحه فكرت فيه طويلا ، وقد رايت ان الطريقة المثلى التي يمكن ان توصل الى غاية مرضية ، هي ان تتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية ، وانتهيت من دراستي الى انه يحسن بالحكومة المصرية ان تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل ، فتبدا باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من امال كل على حدتها ، ثم تبدل جهودها للتوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، ثم تدعوهم بعد ذلك الى مصر معا في اجتماع ودي لهذا الغرض ، حتى يبدأ المسمى للوحدة العربية كجبهة متحدة بالفعل ، فاذا ما تم التفاهم او كاد ، وجب ان يعقد في مصر مؤتمر برياسة الحكومة المصرية لاكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه المؤتمر من القرارات محققا ما تشده الامم العربية . »

ويمكن تفسير هذا الموقف السريع والحاسم الذي بادر الى اتخاذه مصطفى النحاس باشا من تصريح المستر ايدن ، بان مصر ارادت ان تدخل الى الحركة العربية من بابها الواسع ، وان يكون لها في هذه الحركة الدور الرئيسي الفعال ، فلا تترك ، لا للامير عبد الله ولا لنوري السعيد الاستقلال باخذ المبادرة في توجيه النشاط العربي سواء من الناحية القومية او من الناحية الرسمية ، وهذا ما يعنيه بالفعل ، تركيز بيان النحاس باشا على ان تتولى مصر بالذات الدعوة لعقد المؤتمر العربي في اراضيها وبرئاسة رئيس حكومتها دون سواه .

ونظرا لمكانة مصر في العالم العربي وفعاليتها في الميدان الدولي العالمي ، فان بيان النحاس باشا احدث تأثيره السريع لدى المحافل العربية ، فاستجابت له الحكومات العربية على الفور وكان اول المستجيبين الحكومة العراقية فاوفدت وزير داخليتها المرحوم تحسين العسكري ومعه جميل المدفعي احد رؤساء الحكومة العراقية السابقين لاجراء مشاورات رسمية مع الحكومة المصرية حول ما جاء في بيان النحاس باشا لاتخاذ الخطوات العملية التي من شأنها اخراج فكرته الى حيز التنفيذ . واتفق الطرفان ، مصر والعراق ، على توجيه الدعوة الى الحكومات العربية كي ترسل ممثلين عنها للمشاركة في هذه المشاورات في مؤتمر تحضيري ، يعقد لهذا الغرض في مدينة الاسكندرية . وقد رؤى الاقتصار يومئذ على الدول العربية المستقلة وكان عددها خمسة وهي : سورية والاردن والعراق ولبنان ومصر . وقد لبثت هذه الدول الخمس دعوة الحكومة المصرية لحضور هذا المؤتمر التحضيري وفي جملتها الاردن نفسه ، الذي ارسل موافقته في كتاب حمله الى النحاس باشا نوري السعيد باشا ، جاء فيه :  
حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، رئيس الوزارة المصرية الافخم  
كتابي هذا الى مقامكم الرفيع مع حضرة صاحب الفخامة نوري باشا السعيد ، وقد زارنا بعمان وسيزور مصر ليرى رفعتكم في القضية العربية التي قد استرهمى افكارنا عنها علاوة على ما يعلم فخامتة من المبدأ القديم الذي سار عليه بيتنا في القضية العربية . واثنا لنشكر لرفعتكم على ميلكم للاخذ باليد والعمل على التعاون الاخوي الواجب علينا جميعا في اقطارنا المحبوبة ، واثنا حين تكتب كتابنا هذا ، نتمنى لرفعتكم الصحة والعافية والتوفيق في جميع الاعمال . »

## مؤتمر الاسكندرية التحضيري

استمر انعقاد المؤتمر الذي دعاه اليه النحاس باشا في مدينة الاسكندرية طوال المدة الواقعة ما بين 25 ايلول و 7 تشرين الاول من سنة 1943 . وفي نهايتها اصدر المؤتمر بيانا رسميا ، عرف فيما بعد باسم « بروتوكول الاسكندرية » ، وجاء في مقدمة هذا البيان :

« البنا للصلوات الوثيقة والروابط العديدة التي تربط بين البلاد العربية جمعا ، وحرصا على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها الى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة ، وصالح احوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق امانها وادائها ، واستجابة للرأي العربي العام ، في جميع الاقطار العربية قد اجتمعوا ( اي المؤتمر ) بالاسكندرية بين يوم الاثنين 8 شوال سنة 1963 الموافق 25 سبتمبر 1943 ويوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1943 في هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربي العام وتم الاتفاق بينهم على ما يأتي :

اولا : تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام اليها ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى (مجلس جامعة الدول العربية) تمثل فيه الدول المشتركة في (الجامعة) على قدم المساواة وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات وعقد الاجتماعات الدورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تطبيقا للتعاون فيها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء ، بالوسائل الممكنة وللنظر بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها . وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها ، فيما عدا الاحوال التي يقع فيها خلاف بين دولتين من اعضاء الجامعة ويلجأ فيها الطرفان الى المجلس لفصل هذا الخلاف ، ففي هذه الاحوال ، تكون قرارات ( مجلس الجامعة ) نافذة وملزمة ، ولا يجوز على كل حال الاتجاه الى القوة لفصل المنازعات بين دولتين من دول الجامعة ، ولكل دولة ان تعقد مع دولة اخرى من دول الجامعة او غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الاحكام او روحها . ولا يجوز في اية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية او اية دولة منها . ويتوسط المجلس في الخلاف الذي يفضي منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين اية دولة اخرى من دول الجامعة

او غيرها للتوفيق بينهما . وتؤلف منذ الآن لجنة فرعية من اعضاء اللجنة التحضيرية لامداد مشروع لنظام « مجلس الجامعة » وليبحث المسائل السياسية التي يمكن ابرام اتفاقات فيها بين الدول العربية . « وقد تضمن هذا البيان « البروتوكول » بالاضافة الى فقراته الاساسية قرارين خاصين ، احدهما عن لبنان والآخر عن فلسطين . ويمكن تلخيص المباديء العامة الواردة في هذا البروتوكول بما يلي :

« التعاون في الشؤون الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها وتدعيم هذه الروابط في المستقبل » . وجرى التوقيع النهائي عليه في ادارة جامعة فاروق الاول بالاسكندرية يوم السبت 20 شوال سنة 1363 الموافق 7 اكتوبر سنة 1944 والذين وقعوا عليه هم :

من مصر :  
مصطفى النحاس ، رئيس الحكومة  
احمد نجيب الهلالي ، وزير المعارف العمومية  
محمد صبري ابو علم ، وزير العدل  
محمد صلاح الدين ، وكيل وزارة الخارجية  
من سورية :

سمد الله الجابري ، رئيس الحكومة .  
جميل مردم ، وزير الخارجية .  
نجيب الامنازي ، امين السر العام لرئاسة الجمهورية  
من الاردن :

توفيق ابو الهدى ، رئيس الحكومة  
سليمان السكر ، سكرتير مالي وزارة الخارجية  
من العراق :  
حمدي الباجه جي ، رئيس الحكومة  
نوري السعيد ، رئيس سابق للحكومة  
ارشد العمري ، وزير الخارجية  
تحسين العسكري ، وزير العراق المفوض بمصر .

من لبنان :  
رياض الصلح ، رئيس الحكومة  
سليم نقلا ، وزير الخارجية  
موسى مبارك ، مدير غرفة رئيس الجمهورية

## اجتماع القاهرة والقرار ميشاق الجامعة

ولما كان اجتماع الاسكندرية عبارة عن مؤتمر تحضيرى، والبيان الذى ائتيق منه عبارة عن بروتوكول امدادي ، فان الحكومات العربية التى شاركت فى هذا الاجتماع ووقعت البروتوكول ، كلفت من بينها لجنة فرعية لصياغة مشروع نهائي فى تنظيم المباديء التى تقوم عليها جامعة الدول العربية وهيكلها الاداري . وقد قامت هذه اللجنة بما عهد اليها وقدمت هذا المشروع بشقيه السياسى والاداري فى غضون مدة قليلة لم تتجاوز الاسابيع الثلاثة ، وفى 22 اذار سنة 1945 ، انعقد مؤتمر عربي عام اشترك فيه مندوبون رسميون عن الدول التى سبق لها ان وقعت على بروتوكول الاسكندرية من قبل ، وقد انضم الى المجتمعين فى هذا المؤتمر مندوبون عن المملكة العربية السعودية والمملكة المتوكلية اليمنية ، بعد جهود شخصية بذلها عبد الرحمن عزام باشا لدى المرحوم الملك عبد العزيز وال سعود الذى لم يكن فى ذلك الوقت على علاقة طيبة مع مصر والعراق لاسباب تاريخية معروفة .

وبعد ان ناقش المؤتمر فى القاهرة المواد التى عرضت عليهم، ادخلوا عليها بعض التعديلات التى راوها ضرورية لنجاح المؤسسة القومية التى يريدون تاسيسها ثم ذبلوا ما اتفقوا عليه بتواقيعهم . وكان ذلك فى قصر الزعفران بالقاهرة يوم الخميس 8 ربيع الثانى سنة 1364 الموافق 22 اذار سنة 1945 . وكانت الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ، بعد ان الفوا كلمة «بروتوكول الاسكندرية» ووضعوا مكانها عنوانا واخر وهو « ميشاق جامعة الدول العربية » . والذين وقعوا هذا الميثاق نيابة عن دولهم هم السادة :

عن سورية :

فارس الخوري ، رئيس الحكومة  
جميل مردم ، وزير الخارجية

عن الاردن :

سمير الرفاعي ، رئيس الحكومة  
سميد المفتى ، وزير الداخلية  
سليمان النابلسى : نائب سر الحكومة

عن العراق :

ارشد العمري ، وزير الخارجية

علي جودت الايوبي ، وزير العراق المفوض  
بواشنطن

تحسين المسكري ، وزير العراق المفوض  
بمصر .

عن المملكة السعودية :

الشيخ يوسف ياسين ، نائب وزير الخارجية  
خير الدين الزركلى ، مستشار المفوضية  
السعودية بمصر

عن لبنان :

عبد الحميد كرامي ، رئيس الحكومة  
يوسف سالم ، وزير لبنان المفوض بمصر

عن مصر :

محمود فهمى النقراشى ، رئيس الحكومة  
محمد حسين هيكل ، رئيس مجلس الشيوخ  
عبد الحميد بدوي ، وزير الخارجية  
مكرم عبيد ، وزير المالية  
عبد الرزاق السنهوري ، وزير المعارف  
العمومية

عبد الرحمن عزام ، الوزير المفوض بوزارة  
الخارجية

اما اليمن فقد ارسلت الى صنعاء نسخة الميثاق  
حيث وقعها مندوب المملكة المتوكلية اليمنية وبذلك  
تكون جميع الدول التى اشتركت فى مؤتمر القاهرة  
قد وقعت ميشاق الجامعة بلا استثناء .

يوم 22 اذار سنة 1945 هو ميلاد جامعة  
الدول العربية رسميا

تنص المادة العشرون من الميثاق ، وهى اآخر  
مادة فيه :

« يصدق على هذا الميثاق وملاحقه ، وفقا للنظم  
الاساسية المرعية فى كل من الدول المتعاقدة وتسدوع  
وثائق التصديق لدى الامانة العامة . ويصبح  
الميثاق نافذا قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة  
عشر يوما ومن تاريخ استلام الامين المام وثائق  
التصديق من اربع دول » .

وقد نفذت الدول العربية المتعاقدة مضمون هذه  
المادة خلال ايام متقاربة ، واودعت حكومات هذه

الدول وثائق التصديق على الميثاق حسب الترتيب التالي :

المملكة الأردنية الهاشمية	بتاريخ 10 نيسان 1945
المملكة المصرية	بتاريخ 12 نيسان 1945
المملكة العربية السعودية	بتاريخ 16 نيسان 1945
المملكة العراقية	بتاريخ 25 نيسان 1945
الجمهورية اللبنانية	بتاريخ 16 ايار 1945
المملكة المتوكلية اليمنية	بتاريخ 19 ايار 1945
الجمهورية السورية	بتاريخ 9 شباط 1946

وعلى هذا فإنه ابتداء من يوم 11 ايار 1945 أصبح ميثاق جامعة الدول العربية نافذ المفعول بشكل رسمي ، غير ان الرأي اتفق بالاتفاق على ان يكون يوم 22 اذار 1945 هو البعاد الرسمي لتأسيس الجامعة ، ذلك ان مندوبي الدول العربية المجتمعين في القاهرة وقعوا بمجموعهم تقريبا الميثاق في هذا اليوم .

ونظرا لاهمية هذا الحدث القومي في تاريخ الامة العربية ، فقد قررت جميع الدول المشتركة في الجامعة اعتبار هذا اليوم عيدا قوميا تعطل فيه سائر الدوائر والمؤسسات العامة في بلادها من كل عام .

### خلاصة الميثاق

وميثاق جامعة الدول العربية يقع في عشرين مادة اتفق عليها جميع الدين وقعوا عليه لتكون قاسما مشتركا ضمن الحدود التي تواضعوا على التزامها فيما بينهم ، سواء في علاقاتهم بعضهم ببعض او في علاقاتهم مع غيرهم من الدول الاجنبية .

وقد عبرت المادة الاولى من هذا الميثاق عن طبيعة الجامعة واهراضها ومبادئها اذ نصت انه :

«تتألف جامعة الدول العربية من الدول المستقلة الموقفة على هذا الميثاق ، ولكل دولة عربية مستقلة الحق في ان تنضم الى الجامعة ، فاذا رغبت في الانضمام قدمت طلبا بذلك يودع لدى الامانة العامة الدائمة للجامعة ، ويعرض على المجلس في اول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب » .

كما نصت المادة الثانية على ان :

« الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقا لتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها والنظر

بصفة عامة في شؤون البلاد العربية ومصالحها .  
كذلك من افراسها تعاون الدول المشتركة فيها تعاوننا وثيقا . بحسب نظم كل دولة منها واحوالها في الشؤون الآتية :

1 - الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل في ذلك التبادل التجاري والجمارك والعملية وامور الزراعة والصناعة .

2 - شؤون المواصلات ، ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

3 - شؤون الثقافة

4 - شؤون الجنسية والجوازات والناشيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين

5 - الشؤون الاجتماعية .

6 - الشؤون الصحية .

### ملاحق الميثاق

ويعد ان عدت مواد الميثاق انواع النشاطات المختلفة التي تقوم بها الجامعة فان مندوبي الدول العربية الذين اشتركوا في اعداد الميثاق بصيغته النهائية ، كانوا حريصين على تضمينه ملحقا خاصا بقضية فلسطين قالوا فيه :

« منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المسلخة من الدولة العثمانية ومنها فلسطين ولاية تلك الدولة ، واصبحت مستقلة بنفسها ، غير تابعة لاية دولة اخرى ، واعلنت معاهدة لوزان ان امرها لاصحاب الشأن فيها . واذا لم تكن قد مكنت من تولي امورها ، فان ميثاق العصبة (عصبة الامم ) في سنة 1919 لم يقرر النظام الذي وضعه لها الا على اساس الاعتراف باستقلالها . لوجودها واستقلالها الدولي من الناحية الشرعية امر لا شك فيه ، كما انه لا شك في استقلال البلاد العربية الاخرى . واذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لاسباب القاهرة ، فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلا دون اشتراكها في اعمال مجلس الجامعة ، ولذلك ترى الدول الموقفة على ميثاق الجامعة العربية ، انه نظرا لظروف فلسطين الخاصة ، والى ان يتمتع هذا التطر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة امر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في اعماله » .

## اختيار القاهرة مقرا للجامعة

اما بصدد المكان الذي يتخذ مقرا رئيسيا لاقامة امين هام للجامعة بصورة دائمة مع الدوائر الادارية التي تتبع له مباشرة ، فقد روى ان يكون في مدينة القاهرة . وقد روي في هذا الاختيار مكانة مصر في العالم العربي ، وهي المكانة التي تستمد قوتها ونفوذها من الامكانات الضخمة التي تتوفر لهذا القطر الكبير سواء بالنسبة لعدد سكانه او بالنسبة للظروف المعنوية التاريخية التي جعلت منه كيانا قوميا تكاملت له اسباب الزعامة الفكرية عن طريق ما فيه من المؤسسات العلمية الكثيرة، الى جانب الزعامة الدينية عن طريق وجود الجامع الازهر الشريف في ارضه . وعلى هذا فقد نصت المادة العاشرة من ميثاق الجامعة :

« تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ولمجلس الجامعة على ان يجتمع في اي مكان آخر يعينه » .

## النص على مصرية الامين العام للجامعة

وتبعا لاختيار مدينة القاهرة مقرا دائما للجامعة، فان اعضاء مجلس الجامعة راوا ان يكون كذلك منصب الامين العام لهذه المؤسسة وقفا على واحد من المصريين ، لا ينازهمهم في ذلك غيرهم من الشعوب العربية . وقد اكد المجلس ذلك بالنص عليه في الملحق الذي اضافوه في آخر الميثاق وهو يقضي باسناد هذا المنصب الخطير الى عبد الرحمن عزام باشا نظرا لخبرته في الشؤون العربية وسابقته في خدمة العروبة في مختلف اقطارها وامصارها .

## الفوارق الملحوظة بين بروتوكول الاسكندرية وميثاق القاهرة

وما دنا قد تحدثنا فيما سبق عن ميثاق الجامعة بمواده وملاحقه ، فاننا لا نرى باسا من ان نتناول بكلمة عابرة الظروف والملابسات التي جعلت من هذا الميثاق يختلف في بعض مواد الرئيسية وملاحقه الاضافية عن البروتوكول الذي أصدره المؤتمر التحضيري في الاسكندرية عندما اجتمع في هذه المدينة بدفوة من مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية .

ولقد كان اختيار الشخصية العربية الفلسطينية موضوعا شائكا بالنسبة لامضاء الجامعة ، وذلك بسبب الاوضاع الصعبة التي كانت تعانيها فلسطين تحت وطأة الانتداب الانجليزي وهموم الخطر اليهودي الذي يهددها بالزوال من خريطة العالم العربي ، وكذلك بسبب غياب زعيمها سماحة السيد محمد امين الحسيني وصحبه من قادة النضال الفلسطيني ، في المعتقلات والمنافي السحيقة .

غير ان مجلس الجامعة رأى الخروج من هذا المأزق الحرج بتبني اقتراح قدمه السيد محمد صلاح الدين باشا . وهذا الاقتراح يقضي بتعيين السيد موسى العلمي ممثلا عن فلسطين في ذلك المجلس ، وكان الذي وجه نظر صلاح الدين باشا الى هذا الشخص الاستاذ محمد علي الطاهر المجاهد العربي المعروف . والسيد موسى العلمي الذي كان حينئذ مقيما بمصر هو من رجال فلسطين المثقفين الذين يتمتعون بسمعة مرموقة واسم طيب ، وكان يشغل في بلده فلسطين ايام الانتداب البريطاني وظيفته مساعد النائب العام .

## موضوع الدول العربية غير المستقلة

وكذلك فان ميثاق جامعة الدول العربية لم يشأ ان يحصر اهتمامه بالدول العربية المستقلة ، بل انه تضمن الى جانب الملحق الخامس بفلسطين ، ملحقا واخر خاصا بالتعاون مع البلاد العربية فيير المشتركة في مجلس الجامعة بسبب وقوعها تحت السيطرة الاجنبية كي لا تحرم هذه الدول وما هو في حكمها من المساهمة في نشاطات الجامعة داخل لجانها المتعددة . وقد جاء في الميثاق في هذا الصدد انه: « نظرا لان الدول المشتركة في الجامعة ستباشر في مجلسها وفي لجانها شؤوننا يعود خيرها وانرها على العالم العربي كله ، ولان امانى البلاد العربية فيير المشتركة في المجلس ينبغي ان يراها وان يعمل على تحقيقها فان الدول الموقمة على ميثاق الجامعة العربية يعنيها بوجه خاص ان توصي مجلس الجامعة عند النظر في اشراك تلك البلاد في اللجان المشار اليها في الميثاق ، بان يذهب في التعاون معها الى ابعد مدى مستطاع ، وفيما عدا ذلك بان لا يدخر جهدا لتعرف حاجاتها وتفهم امانيتها وآمالها ، وبان يعمل بعد ذلك على صلاح احوالها وتأمين مستقبلها بكل ماتهيئه الوسائل السياسية من اسباب » .

ويمكن القول ان أبرز مواطن الاختلاف بين الميثاق وبين البروتوكول ، تكاد تنحصر في موضوعي لبنان وفلسطين .

### ملحق لبنان في البروتوكول

تضمنت الفقرة الرابعة من بروتوكول الاسكندرية قرارا خاصا بلبنان هذا نصها :

« تؤيد الدول العربية المثلة في اللجنة التحضيرية مجتمعة احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده العاصرة ، وهو ما سبق لحكومات هذه الدول ان اعترفت به بعد ان انتهج سياسة استقلالية اهلنتها حكومته ببيانها الوزاري الذي نالت عليه موافقة المجلس النيابي اللبناني بالاجماع في 7 اكتوبر 1943 » .

اما الميثاق فقد خلا خلوا تاما من الاشارة الى لبنان ، فلم يذكر هذا القطر فيه لا تصريحيا ولا تلميحيا ، وليس من شك في ان تخصيص لبنان بمثل هذا القرار المستقل من قبل المؤتمرين بالاسكندرية كان بايحاء من المرحوم رياض بك الصلح الذي كان يتمتع باحترام جميع الزعماء العرب في داخل المؤتمر وخارجه ، ولعل المرحوم رياض بك اراد من وراء ذلك تطمين بعض الفئات اللبنانية الانعزالية الى احترام الدول العربية المؤسسة للجامعة لكيان لبنان بصورة رسمية ونهائية ، هذا الكيان الذي لم يكن حتى ذلك الحين يحظى لدى هذه الدول بالقبول والتأييد بسبب ما كان يحيط بنشونه سنة 1920 من اعتبارات سياسية تتناقض مع الاماني الوطنية منذ العرب في ذلك الحين . فلقد اراد المرحوم رياض بك الافادة من المكانة السامية التي كان يحتلها في الاوساط العربية لدعم موقفه الشعبي في نفس لبنان عن طريق بادرنه هذه ، وبذلك يعيب مصفورين بحجر واحد ، كما يقول المثل السائر ، اثبات وجوده عربيا من جهة وتأكيد ولانه الصادق للبنان في حدوده التي خطتها الانتداب الفرنسي لدى بعض مواطنيه من جهة ثانية .

ومما ساعد رئيس الحكومة اللبنانية يومئذ على تمرير قراره في صلب النص الرسمي لبروتوكول الاسكندرية ان هذا القرار وجد هوى واستجابة في نفوس زملائه المؤتمرين الذين راوا الفرصة سانحة امامهم لحل « العقدة العربية » التي كانت تمنش اصاب فريق من اهل « متصرفية جبل لبنان » القديمة ،

وتشير في نفوسهم الشك والريبة بكل ما هو عربي او يتصل بالمروبة من قريب او بعيد . . .

بيد ان المؤتمر التحضيري الذي تحول في القاهرة الى مجلس جامعة الدول العربية رأى الميثاق هذا القرار في ميثاقه كي لا يكون في هذا الميثاق نتوءات نفسية او ثغرات قومية ، توحى بالترقة بين دولة عربية واخرى . واكتفى امضاء المؤتمر بتأكيد المبادئ العامة التي تشمل الدول العربية المستقلة جميعها ، على سوية واحدة من الاعتبارات الوطنية .

### فلسطين وبروتوكول الاسكندرية

اما بالنسبة الى فلسطين فان بروتوكول الاسكندرية كان قد خصصها في فقرته الخامسة بقرار مستقل جاء فيه :

1 - ترى اللجنة ان فلسطين وكن مهم من اركان البلاد العربية وان حقوق العرب لا يمكن المساس بها من غير اضراء بالسلم والاستقرار في العالم العربي ، كما ترى اللجنة ان التمهيدات التي ارتبطت بها الدولة البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الاراضي العربية والوصول الى استقلال فلسطين هي من الحقوق الثابتة التي تكون المبادرة الى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب نحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار . وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين بالعمل على تحقيق امانهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة . وتصرح اللجنة بانها ليست اقل تالما من احد لما اصاب اليهود في اوربا من الويلات والالام على يد بعض الدول الاوربية الديكتاتورية ، ولكن يجب ان لا يخلط بين مسألة اليهود بأوربا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف اديانهم ومذاهبهم .

2 - يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في « صندوق الامة العربية » لانقاذ اراضي العرب في فلسطين الى لجنة الشؤون الاقتصادية والمالية لبحثه من جميع وجوهه وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية في اجتماعها المقبل .

وعندما اجتمعت هذه اللجنة التحضيرية في قصر الزعفران بالقاهرة واصدرت بيانها « ميثاق جامعة الدول العربية » يوم 22 آذار 1945 ، جاء نص الملحق الخاص بفلسطين مخالفا جملة وتفصيلا للقرار الذي

تضمنه البروتوكول بهذا الصدد ، اذ روعي في نص الميثاق من فلسطين ، ان يدور في العموميات الغامضة التي لا تلزم اعضاء الجامعة بأية مبادرة محددة من اجل انقاذ فلسطين من الاخطار الاستعمارية والصهيونية التي كانت تهدد كيانها بالزوال والتي ازالته بعد ذلك بالفعل .

وقد اثار هذا الفموض في قرار فلسطين بالميثاق يومئذ تساؤلات كثيرة رددتها الصحف على السنة بعض القادة والزعماء الوطنيين . على ان هذه التساؤلات بقيت دون اى جواب من قبل المسؤولين العرب ، والتعليق الوحيد الذي صدر في حينها حول هذا الموضوع هو ما نسب الى الامين العام السيد عبد الرحمن عزام باشا من « الخواجات عاوزين كده » .

وطبيعي ان هذا الجواب المنسوب الى عزام باشا ابقى علامة الاستفهام عاتقة حيث هي في اذهان المتسائلين لان عبارة « الخواجات عاوزين كده » لم تحمل اليهم الجواب الذي كانوا يتوقعونه . وكل ما حصل هو ان الظنون اتجهت الى ان المقصود « بالخواجات » هم الانكاز ، الامر الذي جعل الناس غير مطمئنين الى جدية الكلام الوارد في الميثاق بصدد قضية فلسطين والذي يؤسف له ان الايام قد كشفت فعلا فيما بعد ان سوء ظن الناس كان في محله !

### الصفة القانونية والوضع الدولي لجامعة الدول العربية

بعد ان قدمنا جامعة الدول العربية في اطارها القومي العام واهراضها الوطنية المختلفة ، فانه يجدر بنا ان نقدم هذه المؤسسة الهامة من خلال مفهومها القانوني سواء في علاقاتها الرسمية باعضائها من الدول العربية او فيما كانت تقوم به من طريق امينها العام من اتصالات مع حكومات الدول الاجنبية والمؤسسات العالمية كهيئة الامم المتحدة واللجان المنفرعة عنها .

والملاحظ ، ان الذين وضعوا ميثاق الجامعة بما فيه من مواد او ملاحق او تنظيمات لم يحاولوا تحديد وضعها القانوني لا عربيا ولا دوليا ، وذلك على الرغم من ان البحث في هذا الوضع اثير اكثر من مرة واستقطب اهتمام الدول الامم واستدرجهم الى كثير من الحوار والمناقشات الجدلية التي تميزت بالحدة والعنف . الا ان الاعضاء كانوا يدورون دائما حول الحمى دون ان يرتعوا في صميمه ، او ينتهوا منه الى راي حاسم يجمع

عليه كافة الفرقاء المميين . واخيرا تركوا البحث في هذا الموضوع تاركين للزم مهمة البت في الوصف القانوني لمؤسستهم لتفادي الحرج والانقسام والفشل فيما اخذوا انفسهم به لا سيما بعدما سمعوا زميلهم الاستاذ هنري فرعون ، وزير خارجية لبنان يعلن قائلا: « عندما نمطي كيانا قانونيا للجامعة تصبح لها الشخصية الدولية ، ونفس البروتوكول لا ينص على ذلك ، فاذا اردتم موافقتنا فلنتترك هذه المسألة » .

وهكذا يمكن القول بان شخصية جامعة الدول العربية من الناحية القانونية بقيت غير واضحة ولا محددة المعالم ، مما حمل اهل الدراية في الفقه السياسي والتشريع الدولي على ان يعتبروها مجرد مؤتمر دائم للدول العربية يرمي الى القيام بمهام خاصة ومحددة ، وعلى انه « ليس لهذه الجامعة شخصية كاملة في السيادة والاستقلال سواء في الداخل او في الخارج » . وهذا هو الرأى الذي تشبث باعتماده مندوب لبنان الاستاذ هنري فرعون وعلق بقاء حكومته في الجامعة على اساسه .

### الجامعة العربية وعلاقتها الدولية والعالمية

هذا فيما يتصل بالشخصية القانونية للجامعة في المحيط العربي البحث . اما فيما يتصل بصفتها القانونية في المحيط الدولي والعالمي ، فان اوار الجدل حول هذا الموضوع لم يكن اقل احتداما عنه في صدد الموضوع السابق . ذلك ان بعض الحكومات العربية وفي طليعتها لبنان كانت تصر دائما على ان تنفي عن الجامعة الصفة القانونية التي تخولها حق التكلم باسمها في المحافل الدولية كهيئة الامم المتحدة ، او عن طريق المراسلات الرسمية مع الدول الاجنبية الاخرى . وكانت معارضة هذه الحكومات قائمة على ان القول باعتبار الجامعة العربية هيئة اقليمية يتعارض ومبدأ السيادة القومية لكل دولة من دولها على حدة .

وهنا لا بد من القول بان الحكومة اللبنانية كان لها يومئذ النصيب الاوفر في معارضة الصفة القانونية الدولية للجامعة ، وعندما كان عبد الرحمن عزام باشا يقوم في امريكا بجولة دعائية لصالح القضية المصرية اثناء نظرها في مجلس الامن التابع لهيئة الامم المتحدة ، نقلت جريدة المصري من لسان الاستاذ هنري فرعون قوله :



حدود الميثاق صادرا من الجامعة بوصفها هيئة اقليمية قائمة بذاتها .

وبالفعل فان حكومات الدول العربية عملت على التو بهذه التوصية التي سرعان ما لقيت استجابة رسمية من بعض الدول الاجنبية ، فاعلنت الحكومة البريطانية على لسان وزير خارجيتها في ذلك الحين : « ان الحكومة البريطانية ستعترف رسميا بالمخبرات الخاصة بالموضوعات السياسية والتي توجه من قبل جامعة الدول العربية ، وسيوجه الرد عنها الى الامين العام للجامعة ، بنفس الطريق الذي اتبع في ارسال الخطاب المجاب عليه » . وتمنى البيان بان هذا الكتاب الرسمي من طرف الوزارة البريطانية يعني اعتراف هذه الحكومة بكيان الجامعة وصفتها القانونية . حتى ان الحكومة الاسبانية لم تكتف بالاعتراف الشكاسي بالصفة الدولية لجامعة الدول العربية، بل انها تجاوزت ذلك الى مدى ابعد ، وتقدمت الى مجلس الجامعة عبر مذكرة رسمية تلتزم فيها معاونتها في محيط السياسة الدولية وتأييدها في مواقفها السياسية عندما تدعو الحاجة الى ذلك .

#### اعتراف هيئة الامم المتحدة بالكيان الدولي للجامعة

هذا ، ولم يقف الاعتراف بالشخصية القانونية لجامعة الدول العربية عند حدود الحكومات الاجنبية وحسب ، بل ان هيئة الامم المتحدة نفسها ، قد اعترفت هي الاخرى بهذه الشخصية وذلك عندما اقرت جمعيتها العمومية اقتراحا قدم اليها بدعوة من المجلس الاقتصادي والاجتماعي الى النظر في انشاء لجنة اقتصادية للشرق الاوسط واعترفت فيه « بان تعاون اللجنة مع الهيئات الاقليمية في الشرق الاوسط كالجامعة العربية » من شأنه ان ييسر للجنة مهمتها

وعلى الرغم من ان قرار هيئة الامم المتحدة الذي اصدرته جمعيتها العمومية ، فسر يومها بأنه نوع من الاعتراف « الواقعي » بالجامعة ، الا انه على أي حال يعتبر اعترافا ضمنيا بالشخصية الدولية لهذه المؤسسة الاقليمية . وقد ذكر عبد الرحمن هزام باشا في حديث نشرته له جريدة « الحياة » البيروتية في عددها الصادر يوم 23 آذار 1969 ان الجمعية العمومية للامم المتحدة اتخذت سنة 1950 قرارا بقبول الجامعة كمنظمة اقليمية تخدم اهداف الامم المتحدة في الشرق الاوسط .

« بما انه ليست للجامعة اية شخصية قضائية ( لعله يريد قانونية لانه لا يحسن العربية السليمة ) فان امينها العام لا يخرج من كونه موظفا كبيرا اداريا . ومن الواضح انه ليست له اية صفة لبذل مثل هذا المسمى على حساب الجامعة . وتعتبر هذه الجامعة بمثابة مؤتمر دائم للدول العربية ، وان الدول العربية تعرب من آرائها بواسطة حكوماتها ووزرائها المفوضين » .

على انه مما يشير الدهشة والاستغراب ان موقف لبنان من هذه المسألة كان يناقض بعضه بعضا حتى في نفس الحكومة الواحدة ، اذ بيننا كان رأى وزير خارجية لبنان كما بينا آنفا . فان رئيس الحكومة اللبنانية المرحوم عبد الحميد كرامي في ذلك الوقت ، نجده مند نظر قضية جلاء القوات الفرنسية من سورية ولبنان بصر ، وفي مجلس الجامعة بالذات بان : « لبنان يتمسك بتمثيل الجامعة في كل مؤتمر يعقد بين الدول الكبرى لمعالجة هذا الامر »

اما مندوب سورية المرحوم سعد الله بك الجابري فقد ذهب في الاهتمام على قانونية الوجود الدولي للجامعة الى ابعد مدى حين قال : « ان سورية تؤثر ان لا تمثل هي ويمثل مجلس الجامعة » .

وبالفعل فان المجلس قد اصدر يوم 5 يونيو 1945 بناء لطلب مندوبي سورية ولبنان قرارا متضمنا هذا التمسك بتمثيل الجامعة وتفضيله على تمثيل الدولتين صاحبتى الشأن المباشر ، وكان هذا القرار باجماع آراء الدول الممثلة في المجلس، وهو اعتراف اكيد وصریح بالصفة القانونية الدولية للجامعة .

**والواقع ان جامعة الدول العربية كانت تعتبر نفسها ذات شخصية دولية غير مشكوك في قانونيتها .** وقد كان امينها العام عبد الرحمن هزام باشا يمارس نشاطه ويقيم اتصالاته وعلاقاته مع الحكومات الاجنبية والمنظمات الدولية من خلال هذا الاعتبار . وعندما بحث مجلس الجامعة في اجتماعه العادي الخامس قضيتي ليبيا وفلسطين مع كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية، فان هاتين الدولتين تخاطبتنا رسميا ومباشرة مع جامعة الدول العربية في موضوع هذين البلدين .

على انه في 13 حزيران 1946 حسم الجدل حول هذا الموضوع ، اذ اصدر مجلس الجامعة المنعقد في بودان قرارا يوصي فيه الدول العربية بان تطالب الحكومة البريطانية بالاعتراف بجامعة الدول العربية صراحة ، وان تعتبر ما يوجهه اليها الامين العام ، ضمن

اقتطارها ، بل انها تجاوزت في نضالها الدبلوماسي هذا النطاق القومي فأصدرت قرارا بتوصية الدول الاعضاء ببيئة الامم المتحدة بالاعتراف بالجمهورية الاندونيسية عندما حصلت هذه البلاد على استقلالها وتخلصت من الاستعمار الهولندي . وهكذا ...

### الجامعة توصي بانشاء جيش موحد للدفاع عن البلاد العربية

عندما تعرض مجلس الجامعة لبحث الاعتماد الفرنسي على سورية ولبنان 1945 ، اقترح المرحوم توفيق السويدي ترويد هذين البلدين بجيش عربي مشترك لساندهما في الدفاع عن كيانهما الوطني ، وقد علق عبد الرحمن عزام باشا يومئذ على هذا الاقتراح بالتعبير وقال : « ان هدف الجامعة العربية هو ان تكون في المستقبل مسؤولة عن الامن داخل نطاق دول الجامعة وتستمد هذه السلطة من نفسها ومن شعوبها . وقد يقرها مجلس الامن الدولي على ذلك ، وسياتي اليوم الذي يكون فيه للدول العربية قوة دولية كافية لتأمين الامن في نفس هذه الساحة .. مستندة الى مجلس الامن نفسه ا » .

### محكمة عدل عربية تابعة للجامعة

وقبل ان ناتي على ختام هذا الحديث فانه لا بد لنا من الإشارة الى أن المرحوم رياض بك الصلح سعى سعيا حثيثا لاجل انشاء « محكمة عدل عربية » في صلب تنظيمات الجامعة العربية، تكون مهمتها النظر من الناحية القضائية في النزاعات التي يمكن أن تقوم بين الدول الاعضاء في هذه الجامعة ، وذلك من أجل تحديد الحالة القانونية للدول المتنازعة . على نحو ما هو متبع في محكمة العدل الدولية في لاهاي بهولندا ، غير أن هذه الفكرة الجلييلة لم يكتب لها الخروج الى حيز التنفيذ وطوي البحث فيها بعد اغتيال المرحوم رياض بك في سنة 1951 .

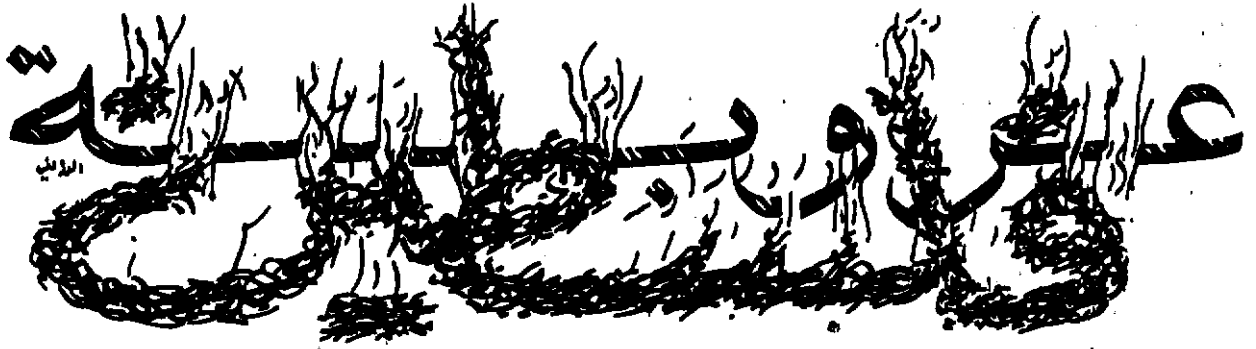
وايا ما كان ، فان جامعة الدول العربية ما لبثت ان اصبحت عربيا ودوليا ذات شخصية قانونية قائمة ببلاتها رغم أن المندوب اللبناني أصمر على اعتبارها بمثابة مؤتمر يجمع الحكومات العربية للتشاور فيما بينها في درس القضايا الخاصة بالمرب مما يعرض عليه .

### الجامعة تتصرف على أنها هيئة قومية اقليمية

وان الجامعة ، قد تصرفت فعلا على انها هيئة سياسية اقليمية ، من ذلك انها تقدمت الى مجالس الوزراء بالدول العظمى عبر مذكرات متعددة تبين فيها وجهة نظرها في مصير ليبيا وتطلب الاشتراك بهذه الصفة في اى لجنة تحقيق يمكن ان ترسل اليها لتعرف رغبات سكانها في تقرير مصيرهم . وطالب الحكومة البريطانية باتخاذ الاجراءات اللازمة لوقف هجرة الايطاليين غير المشروعة الى البلاد الليبية .

وبعثت بمذكرتين الى الجمهورية الفرنسية ، أحدهما بشأن تحرير المرحوم محمد المنصف باي تونس الذي كان أسيرا في فرنسا واهادته الى عرشه الذي اغتصب منه بغير حق ، والاخرى بشأن اطلاق سراح المرحوم الامير محمد عبد الكريم الخطابي زعيم ثورة الريف بمراكش الاسبانية . كما انها قامت بجهود خاصة في سبيل منع تنفيذ احكام الاعدام التي أصدرتها الحكومة الفرنسية بالجزائر بحق عدد من المجاهدين الجزائريين سنة 1945 . وكذلك أرسلت مذكرة اخرى الى فرنسا تطالبها فيها بتنفيذ التزاماتها كدولة تدير أقاليم لا تتمتع بالحكم الذاتي مما هو منصوص عليه في ميثاق هيئة الامم المتحدة . وايضا فان الجامعة قامت بالتوسط لدى الحكومة البريطانية لدعوة الهيئة العربية لفلسطين الى الاشتراك في مؤتمر لندن ، واتصلت ببيئة الامم المتحدة بشأن تحديد موعد اجتماع اللجنة المؤقتة للجنة الصحية للامم المتحدة عند انعقادها في جنيف بسويسرا .

بل ان الجامعة لم تكتف بالاتصالات العالمية التي قامت بها لصالح قضايا الشعوب العربية في مختلف



## الدكتور أسعد عروبة "دمشق"

وكان القادة الصهاينة والقيمين من انه لن يصدر عن العرب والمسلمين رد فعل جدي، لاحتراق المسجد الأقصى، وأن الرد لن يكون أكثر من احتجاجات وصيحات لن تلبث أن تهدأ، ولن يكون لها على الصهاينة اثر ولا ضرر.

وكان موسى ديان هو القائد الصهيوني الذي دأبت الاحلام الخادمة أجفانه، بل يقترن اسمه في التاريخ بتحقيق دولة (اسرائيل الكبرى)، والتضاء على كل اثر للعرب والاسلام فيها. وان نصر حزيران الرخيص الذي حققته قيادته على العرب، قد فاق جميع تقديراته وآماله، فظن أن ما حملت اسرائيل بتحقيقه، على مدى اجيال وقرون، اصبح، بعد نصر حزيران، امرا سهلا المنال قريب التحقيق، فطمع بأن يكون هو ذلك البطل المحقق لاحلام توميه.

واندفع ديان وعصابته في مفاخراتهم، وجرائمهم، التي بلغت ذروتها في احراق المسجد الأقصى، ليعجموا هود العرب والمسلمين، وليجربوا رد فعلهم، حتى اذا وجدوه هزيبا ضعيفا، عاذاوا الكرة لاحتراقه بشكل تام ونهائسي.

وفي الواقع كان رد فعل العرب والمسلمين ضعيفا، لا يتناسب وقدسية المكان الذي أشعل الصهاينة فيه النار ودمسوه. ولكن يجب ان نعترف للامانة والحقيقة، بأن العرب انفسهم - اصحاب المصلحة المباشرة في ارض فلسطين، وفي الحفاظ على قدسية المسجد الأقصى - لم يحسنوا الافادة من هذه المناسبة، ولم يحسنوا

ابطر الصهيونيين فشل العرب عام 1948، في القضاء على احلامهم في اقامة دولة لهم في قلب العالم العربي، في البقعة المقدسة فلسطين، وواد في جرائمهم نجاح هدوانهم على مصر عام 1956، اذ اشتركت معهم في المعركة دولتان كبيرتان هما انكثرا وفرنسا، بينما ترك العرب مصر لمصيرها، تواجه العدوان لوحدها.

وبلغت النشوة والخيلاء بالصهيونيين حد الجنون اثر ظفرهم، غدرا وغيلة، بالعرب في معركة حزيران 1967 فاستخفوا بالعرب وقدراتهم على الحفاظ على ما تحت ايديهم من ارض واثاث، فانطلقت من افواه المسؤولين الصهاينة اصوات وصيحات، تفضح بوضوح ودون تورية او تمويه، المخطط الصهيوني البعيد المدى، من ضم والحاق وتوسيع على حساب الارض العربية. ولم يستبعدوا التفكير في الاعتداء على الاماكن المقدسة الاسلامية في الحجاز.

اما القدس فقد اعتبر الصهاينة امرها منتهيا، فامروا باحراق المسجد الأقصى، الذي يمثل احد المقدسات الكبرى للعالم الاسلامي، غير مقيمين وزنا لرد فعل العرب، ولا لغضب المسلمين المنتشرين في اسقاع الارض. اذ كانوا يريدون ان ينتهوا، وبأسرع ما يمكن، من القضاء على كل ما يربط العرب والمسلمين بالقدس، والارض المقدسة فلسطين، ليسهل عليهم امر ترحيل من تبقى من العرب في القدس والمدن الفلسطينية الاخرى، الى البلاد العربية.

ولا شك في أن السعي الجدي لتحقيق التنسيق والتقارب بين مصر وليبيا والسودان ، ستتلهوه خطوات أخرى نحو الوحدة بين الاقطار الثلاثة ، تجعل تلك المنطقة المتلاصقة ، التي تضم قرابة خمسة ملايين كيلومتر مربع من الأرض وخمسين مليوناً من البشر ، كتلة واحدة في المعركة ، ونواة تستقطب الاقطار العربية الواحدة بعد الأخرى ، لتجتمع شملها من جديد .

واننا لا نشك في أن التصريحات الوقحة التي صدرت وتصدر كل يوم ، عن قادة المنصرين في اسرائيل ، والتي تكشف عن نواياهم واهدافهم ، واطماعهم التوسعية ، وان تدبيرهم للمقدسات الاسلامية والمسيحية في القدس والخليل وبيت لحم والناصرة ، واعتداءاتهم المتكررة على الوطن العربي ، ستكون بدء النهاية بالنسبة لهذا الجسم الغريب الذي اريد زرعه في جسم الامة العربية ، ويوم ينهض هذا الكيان القائم خلافا لمنطق التاريخ ، ولعقبة العصر ، سينال القادة الغامرون جزاء وفاقا على ما اقترفوه بحق الانسانية والمقدسات من جرائم .

وليس زعماء اسرائيل هم أول من طرا على هذا الأرض وحاول تدنيس مقدساتها ، والاساءة الى شعوبها ، وليس موسى ديان وعصاته هم أول الغامرين الذين اغرامهم التفرق ، والنزعات العارضة بين شعوب العالمين الاسلامي والعربي ، بالاستطالة على العرب والمسلمين وعلى مقدساتهم ، وبالسخريه من قدراتهم ، وامكاناتهم في رد الأذى والحق الهزيمة بالمتدين . فمئذ قرابة ثمانمئة عام حل في جنوبي البحر الميت ، مفامر صليبي غادر ، غرته انتصارات عارضة ، حققها الصليبيون على المسلمين في المنطقة ، فظن ان بإمكانه تدنيس المقدسات الاسلامية في مكة والمدينة ، كما دنس من سبقوه المقدسات الاسلامية في القدس والخليل ، واتخذوا من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة مربطاً للخيرول ومهجماً للجنود .

وكان من نتيجة ذلك أن فتحت جرائم ذلك الغامر عبون العرب والمسلمين على حقيقة الخطر المحقق بهم وبمقدساتهم في المنطقة كلها ، وادركوا انه ما دام هناك مستقر لجسم غريب في ارضهم ، فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان ، فتحررت اوتال تتلو اوتال من المجاهدين ، من كل أرض من اراضي الاسلام ، مليئة دعوة الجهاد ، تقايل وتحارب ، حتى كانت معركة حطين ، التي دفع ذلك الغامر قومه الى خوضها وهم

عرض قضيتهم ، ولم يعرفوا ما يريدون بالضبط من وراء دعوة اقطاب المسلمين الى مؤتمر الرباط . وفي اعتقادنا انهم لو اتبعوا صيحة الجهاد التي اطلقوها ، بتنظيم جدي لايفاد متطوعة ومحاربيسن من العالم الاسلامي ، لراينا اليوم زحوا فتلوها زحوف من الابطال المستميتين ، يتدفقون على ميدان المعركة ، من كل أرض انطلقت من مآذنها صيحة ( الله اكبر ) ، ملبين دامي الجهاد المقدس ، ليقضوا على العدو الذي دنس مقدساتهم ، او لينالوا اجر الشهداء على الأرض المقدسة في المعركة المقدسة .

ان الصهيونيين يستمدون على العرب كل من يستطيعون ، باسم الدين ، وباسم القومية ، وباسم المصالح الاقتصادية والسياسية . الخ ، لا يفرطون في عون يائيمهم وان صفر . ونحن نستبعد عونا كبيرا ، بل معيناً من العون لا ينضب ، كان يمكن ان يكون في كفتنا ، وكان يمكن ان يؤثر تأثيراً فعلياً وحقيقياً على اولئك الذين يدعمون اسرائيل ، ويمكنون لها ، لو اننا احسنا التصرف ، وعرفنا ما نريد ، الا وهو عون العالم الاسلامي ، ذي المصلحة الحقيقية في ان لا يكون في المنطقة خطر يهدد مقدسات الاسلام في فلسطين والحجاز .

وعلى كل حال فقد كان لاحراق المسجد الأقصى ، ولتصريحات زعماء اسرائيل وتهديداتهم فائدة اذ فتحت عبون العرب على حقيقة ما يراد بهم ، وعرفتهم بحقيقة وضعهم ، الذي يغري الاعداء بهم . فادركوا انه ما لم يتم تسامح حقيقي بين الدول العربية ، بانتظار قيام وحدة بين اقطارهم ، تستطيع اقامة دولة مصرية وجيش مدرب قادر على استيعاب العلم الحديث والسلاح الحديث - فانهم لن يستطيعوا رد الطامعين بهم ، وستبقى حفنة من الغامرين ، تستخف بهم ، وتستهزئ بهم وتتحداهم في كل يوم وفي كل ساعة ، وتضربهم في عقر دارهم كلما شاء لها هواها ان تلهو بذلك

وقد كانت اول بادرة للتضامن تصدر عن العرب ، وتشمر برفض هذا الواقع المؤلم ، هي الاجماع في مؤتمر الخرطوم ، الذي عقد اثر النكسة ، على دعم الامكانيات المادية والمسكرية لدول المواجهة مع العدو ، وعلى رفض التفاوض مع العدو ، وعلى رفض الصلح معه . وتلت ذلك ثورتان في ليبيا والسودان ، كان من شأنهما وضع امكانيات القطرين الشقيقتين في الميزان العربي الفعلي في المعركة المضيرية .

المهود والمواثيق على القادة الصليبيين بان يعيدوا اليه ما يحتلونه مما كان تابعا في الماضي للامبراطورية البيزنطية ، وخصوصا انطاكية .

ولكن بوهمند لم يكن يفكر في غير مصالحه الخاصة، فرفض الاستماع الى النصائح والاعتراضات ، وتمكن بحيله ومداوراته ، من الفوز بامارة انطاكية، رغم معارضة بعض زملائه .

وسار الامراء الصليبيون الآخرون جنوبا ، واقام كل منهم امارة لنفسه ، فكانت هناك مملكة في القدس، وامارة في طرابلس ، وامارة في الرها ( اورفه ) .

واصبح بوهمند بلاء على المسلمين من جيرانه، وكان اكثر ضغطه منصبا على حلب المجاورة لانطاكية ، ثم اسر بوهمند من قبل الغازي ابن الدانشمند ، امير التركمان في الاناضول ، ولكن لم يلبث ان فاضله واطلق سراحه لقاء فدية كبيرة ، فعاد بوهمند يتابع اعتداءاته نحو من حوله من المسلمين والبيزنطيين .

وتقم البيزنطيون على بوهمند حنثه بيمينسه ، واتكاهه لحقهم في السيادة على انطاكية ، فافتنموا فرصة هزيمة الفرنج - وفيهم بوهمند - في معركة حران عام 1104 م، واسرعوا بحثون الخطا نحو كيليكيا واللاذقية التابعتين لامارة بوهمند . فخارت قوى بوهمند وشعر بالخطر الشديد المحدق به . فهدد بالامارة الى ابن اخته تانكريد ، وذهب الى اوربسا ، ليستشير حملة صليبية اخرى ، هدفها انقاذ انطاكية من خطر المسلمين والبيزنطيين . ولكن بوهمند ذهب ولم يعد ، وتزوج هناك من اميرة فرنسية رزق منها بولد يعرفه التاريخ باسم بوهمند الثاني .

وفي الفترة بين ذهاب بوهمند الاول الى اوربا ، ووصول بوهمند الثاني الى الشرق ، تعاقب على انطاكية اميران نورمنديان ، احدهما يدعى تانكريد ، والاخر روجيه ، وقد قضى المسلمون على روجيه وعلى جيشه في معركة البلاط على الطريق بين حلب وانطاكية .

وفي عام 1128 م ، وصل الى انطاكية بوهمند الثاني ، وهو شاب فارغ الطول ، قوي البنية ، جميل الملامح ، قد بلغ الثامنة عشرة من عمره ، واتقن استعمال السلاح ، حتى بد اقرانه به . وما هو الا ان تسلم امارة انطاكية حتى تزوج باليس الابنة الثانية لملك القدس بودوان الثاني ، وباشسر الاشارة على جبراته المسلمين ، ومباغتة الحصون القريبة من

لها كارهون ، فوقع في يد صلاح الدين اسيرا ، فلم يعف عنه ، لانه اعتبره مجرما ، وقاطع طريق ، ولم يعتبره محاربا يحترم قوانين الحرب .

ومنذ ذلك اليوم ادرك الصليبيون ان دولتهم قد اصبحت في حكم المقضي عليها بالزوال ، وتابح من خلفوا صلاح الدين المهمة التي بداها ذلك البطل ، حتى قذفوا بآخر الصليبيين في البحر ، بعد مائة وهشتر سنين من الحروب المتواصلة من يوم حطين .

وها نحن نسوق قصة ذلك المغامر الصليبي ( ارناط ) او ( رينودوشا تيون ) لعلها ان يكون فيها عظة للعرب ، وهبرة للمغامرين .

### — ارناط —

تدفقت سيول الصليبيين على المشرق عام 1097 م ( 490 هـ ) تريد - استجابة لنداء الكنيسة - استرجاع القدس من ايدي المسلمين ؛ ووجد الامراء المغامرون في اوربا الفرصة سانحة ، فتبنوا المشروع لعاهم يفوزون بامارات واقطاعات في الشرق ، مستغلين حماسة البسطاء والسذج ممن دفعتهم الحماسة الدينية لتحقيق رغبات الكنيسة . وكان من بين اولئك الامراء المغامرين ، امير نورمندي الاصل استقر اباؤه في جنوبي ايطاليا وجزيرة صقلية ، وكان من نصيبه في الميراث ارضا صغيرة في جنوبي ايطاليا لا ترضي اطماعه الواسعة ، فاسرع بوهمند اوييمتد كما تسميه الرواية على راس من تجمع تحت لوائه ، ينضم الى الجيوش الصليبية في الجانب الشرقي من مضيق البوسفور .

وبعد حروب واهوال وفظائع ومذابح ، تمكن ثلاثة ارباع المليون من الصليبيين من شق طريقهم الى سوريا، وكان اول ما احتلوه فيها، مدينة انطاكية، التي دافع عنها حمايتها المسلمون اشرف دفاع واشجمه طوال عشرة اشهر . ولولا الخيانة التي اقرت اهدم القادة الداخليين حديثا في الاسلام ، لما تمكن الفرنج من احتلالها ، ولتبدل سير التاريخ كله في المنطقة .

وطمع بوهمند في ان يقيم لنفسه امارة في انطاكية وخاف رفاقه ، القادة الآخرون ، ان تفسد اطماع بوهمند خططهم الرامية الى التعاون مع الامبراطور البيزنطي ، اسحق كومنين ، وضرب المسلمين نقوة صليبية بيزنطية موحدة . وكان الامبراطور قد اخذ

أراضيه ، فحقق بعض النجاح ، وقد زاد ذلك النجاح  
المحدود في صلته وفروره .

وفي يوم من أيام شهر شباط (فبراير) 1131 ،  
اتجه بوهمند من أنطاكية إلى كيليكيا ، على رأس قوة  
من فرسانه ، يريد أن يلحق به الإمارة الأرمنية ، بعد  
أن توفي صاحبها وابنه ، فانقض عليهم جيش من  
التركمان بقيادة الغازي بن الدانشمند ( أسر بوهمند  
الاول عام 1101 م ) ، وأحاط بهم إحاطة تامة ، وأنهال  
عليهم رميا بالنبال ، فخروا على الأرض صرعى ،  
وكانهم أعجاز نخل منقعر ، وفيهم بوهمند نفسه .

ولم يترك بوهمند من الأولاد غير بنت صغيرة لا  
يتجاوز عمرها السنتين ، أسماها (كونستانس) فتسلمت  
أما الأميرة (اليس) إدارة الإمارة ، تحت وصاية ملك  
القدس .

ومرت الأيام ثقلا على الأميرة الشابة في إدارة  
إمارة واسعة ، يطمع بها جيرانها البيزنطيون من  
الشمال ، والمسلمون من الشرق . وكان خطر المسلمين  
قد أصبح مقلقا فعلا ، إذ تسلم أمارتي الموصل وحلب  
أمير شهم ، بعيد الهمة ، قوي المزينة ، هو عماد الدين  
زنكي ، وقرر أن يخوض بالمسلمين حربا ضروسا مع  
الفرنج ، ليزيل ما تجمع في نفس المسلمين من هيبة  
للفرنج في ميدان الحرب . فسار بجيشه إلى حصن  
قريب من حلب ، هو حصن الأتاب ، الذي طالما  
ارعب فرسانه أهل حلب ، وخربوا زروعهم ، ونهبوا  
أموالهم .

وتجمع الفرنج للدفاع عن الحصن ، وسأل زنكي  
رجال ماذا يرتأون . فأشار عليه بعضهم بالانسحاب من  
الأرض التي يحتلها العدو ، والعودة إلى حلب ، وأشار  
عليه آخرون بالتراجع إلى أراضي حلب ، فإذا لحق  
بهم الفرنج ، أمكنهم انشباب المعركة في أرض إسلامية .

وكان زنكي قد قرر في نفسه خوض المعركة  
مهما كانت النتائج ، فقال لرجال ، أن الفرنج قد  
استطالوا على المسلمين كثيرا ، وقد أصبح مألوسا  
لديهم أن يروا تراجع المسلمين واحجامهم من القتال  
كلما راوا تجمع الفرنج ، ولذلك فإنه يرى أن يذيق  
المسلمون بأسهم للفرنج ، ليذكروا ذلك في المستقبل  
ويقدروه . وأنه يرى أن أي تراجع أمام الفرنج  
سيجرتهم ، ويضعف من هزيمة المقاتلين المسلمين .  
وخلص من ذلك إلى القول بأنه يرى أن يقدم المسلمون

للقاء العدو مصممين على النصر ، وما النصر إلا من  
عند الله .

وتقدم المسلمون ، وقضوا على الجيش الصليبي  
واكثروا فيه القتل ، حتى ذكر ابن الأثير ، أنه مر في  
أرض المعركة ليلا ، بعد أكثر من سبعمين عاما ، فقيل  
له أن عظام القتلى الفرنج ما زالت منتشرة في  
تلك الأرض . وعاد المسلمون إلى حصن الأتاب  
فتسلموه من الفرنج ، فأخربوه حتى سووا بناءه  
بالتراب ، لكيلا يتركوا التراب يرمز إلى الرهبة في قلوب  
أهل حلب ، ومن حولهم من المسلمين .

وخافت الأميرة الشابة على ملكها ، فأخذت  
تراسل زنكي سرا ، وتضع نفسها تحت حمايته ، فأساء  
ذلك الفرنج الذين تسربت إليهم أنباء اتصالاتها  
بالمسلمين . وأخذ الجميع يفكرون في وسيلة يتمكنون  
بها من إبعاد الأميرة (اليس) عن حكم أنطاكية ، وقد  
وجدوا أن خير الوسائل لذلك هي البحث عن زوج  
للأميرة الطفلة الوارثة (كونستانس) .

ووجدوا لها أخيرا شابا جميلا من نبله فرنسا ،  
هو الكونت (ريمون دويواتيه) فقدم إلى أنطاكية على  
أنه سيكون زوجا للأميرة (اليس) ، لكي يأمناها  
معارضتها في دخول ريمون إلى أنطاكية .

ولم يمض وقت طويل حتى فوجئت الأميرة بمقد  
قران ريمون على ابنتها كونستانس ، فانسحبت إلى  
اللاذقية .

تسلم ريمون دويواتيه إدارة أنطاكية ، نيابة عن  
زوجته ، وكان فارسا نجدا ، ولكن خصائصه ومميزاته  
ضاعت أمام هتكة عماد الدين زنكي وابنه نور الدين  
محمود ، الذي خلف أباه في حكم حلب ، في عام 1146م  
فانتزعا من الفرنج جميع ما كانوا يحتلون شرقا  
العاصي ، كما انتزعا منهم جميع إمارة الرها .

وفي 29 حزيران (يونيو) 1149 م ، ظفر نور الدين  
محمود بجيش أنطاكية ، عند قرية (أتب) (القريبة  
من جسر الشغور) وأباده تقريبا ، وكان ريمون بين  
القتلى . فأصبحت كونستانس وصية على ابنتها  
بوهمند .

وقد شعرت الأميرة ، لأول مرة ، بمد موت  
زوجها بلذة الحكم . وسر البطريرك لشموها هذا ،  
فاخذ يشجعها على عدم الزواج مرة أخرى ، لكيلا

يأتي امير جديد يقضي عليه بالاقتصاص على عمله  
الديني وحسب .

وحاول ملك القدس - وهو ابن خالة كونستانس -  
أن يجد لها زوجا يحمره من مسؤولية الاشراف على  
انطاكية ، ويستطيع النهوض بأعباء الدفاع عنها في  
تلك الايام العصيبة من تاريخ امارات الفرنج في الشرق ،  
فلم تقبل الاميرة بروج ، وآثرت الاستمرار في حياتها  
طليقة من قيود الزواج .

وسارت الامور سيرها العادي ، ونور الدين  
محمود يلح على ما بيد الفرنج من مدن وحصون ، في  
كل يوم ، وقابو الفرنج في انطاكية وفي غيرها ، ترجف  
هلما ، كلما نظروا الى المستقبل المظلم .

### لقاء الاميرة ( باوناط )

وفي ذات يوم من اواخر عام 1152 ، لمحنت  
الاميرة الشابة فارسا يدل زيه على انه حديث عهد  
بالوصول الى الشرق ، فاهجبت به واستدمته اليها ،  
وتعرفت عليه ، فزاد اعجابها به . ولم يكن ذلك  
الشاب غير الغامر رينو دوشاتيون ( او ارناط كما  
تسميه الرواية العربية ) الذي سيجر الممالك الصليبية  
كلها الى الهاوية في معركة حطين ، وهو الذي سيرجده  
غدره ومحاولاته العبث بالمقدسات الى الموت بيد  
الرجل الرحيم صلاح الدين الايوبي .

وتكررت مقابلات الاميرة والفارس الفتى ، حتى  
اغرمت به وانفتحت معه على الزواج ، ووجد الغامر الجريء  
في هذا الغرام فرصة تحقق له اكثر مما كان يطمع به  
ويحلم ، فلم يشأ ان يضيئها . وكان لا بد - بحسب  
التقاليد أيام النظام الاقطاعي - من الحصول على  
موافقة ملك القدس ، بودوان الثالث على الزواج ،  
بصفته الوصي الشرعي على الاميرة وعلى الامارة ،  
وكان بودوان اذ ذلك منهمكا في حصار ميناء مستقلان في  
جنوبي فلسطين ، - ومستقلان هي آخر ما تبقى بيد  
الفاطميين من ملك في فلسطين - فطار اليه الفارس  
الغامر ، يرجوه الموافقة على الزواج .

وعجب الملك من غرابة اطوار ابنة خالته ، كيف  
تقبل الزواج من شاب مغمور ، لا ثروة له ولا جاه ،  
بينما سبق لها ان رفضت الزواج بخيرة الامراء والنبلاء  
الذين عرضوا عليها في الماضي ؟ مع انه كان من الممكن  
ان يكون في ثراء هؤلاء النبلاء ، ونفوذ بيوتاتهم ، واتساع

املاكهم ، خير عون لامارة انطاكية ، وللمالك الصليبية  
في الشرق ، في حربهم الفروس المستمرة منذ  
خمس سنين . ولكن الملك الذي يشس من موضوع  
زواج ( كونستانس ) ، اراد ان يتحرر من اعباء الدفاع  
عن انطاكية ، فوافق على الزواج ، بعد ان جثا ( ارناط )  
على قدميه ضارعا متوسلا .

تم الزواج الاسطوري ، وتسلم ارناط حكم  
انطاكية فساسها بمقلية المفامر الفظ ، وكان اول ما  
استهل به عهده في الحكم ، هو الانتقام من بطريك  
انطاكية ( ايمرى دو ليموج ) .

لقد كان البطريرك شيخا هرما يوم تم الزواج ،  
وكان يشارك الاميرة مشاركة فعلية في ادارة الامارة ،  
فاستمر الحكم والسلطة وسر بهما ايما سرور ، لذلك  
وجد من مصلحته ان تبقى الاميرة دون زوج ، تدير  
الامارة ، ليكون هو الحاكم الفعلي ، والموجه الاول ،  
تصدر الامور في انطاكية عن رايه ونهيه .

ولما تم الزواج فوجيء البطريرك به ، فامتعض  
وساءه ان يصبح تابعا لجندي مغمور ، ليس له من  
الميزات غير غرام الاميرة الطائش به ، فاطلق لسانه  
فيه ، وظهر له الاحتقار والازدراء ، وهو لا يعلم ان  
عدوه الجديد لا تقف قسوته عند حد .

### قسوة ارناط وغدره

وسرعان ما تطور الصراع بين الرجلين ، فامر  
ارناط بالقبض على البطريرك ، وجلده في الساحة  
العامة حتى ادمى جلده ، ثم امر به فشد الى وتد ،  
وهو عاري الجسد ، تحت اشعة الشمس اللاهبة ،  
وطلي جلده بالمسل ، لتتجمع عليه الحشرات والهوام ،  
تلسمه وتشرب من دمه .

وقد استاء الناس في انطاكية من هذه الوحشية ،  
التي يعامل بها اميرهم الجديد رجلا هرما له مكانته  
الدينية في نفوس الناس ، وله فضله في الدفاع عن  
انطاكية ، في ايام الشدة ، بعد مصرع ريمون دو بواتيه  
ووصلت انباء هذه الماملة الفظة الى ملك القدس ،  
فاوفد على جناح السرعة رسولا ، يستنكر عمل رينو  
ويستغفمه ، ويأمره باطلاق سراح البطريرك ، ففعل .  
ثم بدا لارناط ان يتفاهم مع الامبراطورية البيزنطية  
لمحاربة امراء الارمن في كيليكيا ، لعله يفوز بشيء من  
اراضيهم ، ولكنه سرعان ما انقلب على البيزنطيين ،

وتفاهم مع الارمن على محاربتهم ، وأعد أرناط وطوروس أمير الارمن حملة مشتركة على جزيرة قبرص - وكانت مقاطعة بيزنطية - فلم يشعر اهل الجزيرة الا والقوات الصليبية والارمنية تهبط في اراضيهم وتنكل بهم .

وعرف أرناط بما ينتويه بودوان من تسليم شيزر وما حولها للكونت دوفلاندر ، فاستاء من ذلك وأعرض على هذه الفكرة ، مدعيا ان شيزر وما حولها تدخل في نطاق المجال الحيوي لانطاكية وان على تيري ، اذا تسلم امارا شيزر وأواسط العاصي ، ان يكون تابعا له حسب التسلسل الاقطاعي . واستاء تيري بدوره من هذه الفكرة ، فانه لم يكن يخطر له على بال ، وهو المتحدر من امرق البيوتات واکرمها ، ان يدين بالولاء والطاعة لمغامر افاق حمله الحظ الى كرسي الامارة ، وأعلن رفضه لما اقترحه أرناط . واشتد الخلاف في المسكر الصليبي حتى كاد يؤدي الى ما لا تحمد عقباه ، فلم يجد بودوان بدا من رفع الحصار والانسحاب من شيزر لكيلا يكون احتلالها سببا في نشوب حرب اهلية بين الصليبيين .

### خسوع الجبناء

استاء الامبراطور مانويل كومنين ، اشد الاستياء من هجوم أرناط وزميله الارمني على قبرص ، ومن الفظائع التي ارتكبتها ، ولكن ظروف الامبراطورية ، وما كانت تواجهه من مشاكل في أوروبا ، لم تكن تسمح له اذ ذاك بالتفكير في معاقبة المجرمين .

ولكن بعد ان تحرر الامبراطور من الكثير من مشاغفه ، تحرك في عام 1158 م ، على رأس جيش كبير الى كيليكيا ، فسحق امارات الارمن فيها ، واستولى على امهات المدن ، وأقام معسكره قرب المصيصة بانتظار تحركه لمعاقبة أرناط .

وعلم هذا بما ينتويه الامبراطور ، فجزع جزع الجبناء المجرمين ، وخارت قواه ، وشل تفكيره ، ولم يعد يعرف ما يصنع ، بعد ان أدرك ان جرائمه قد أسلمته لمصيره ، وانه لن يجد بسببها ، معينا له في محنته . وبينما كانت هواجس أرناط تعذبه وتقص مضجعه ، لا حت لاحد المقربين منه فكرة ، وجد فيها الفرج والخلاص ، وهي : لماذا لا يخرج أرناط الى معسكر الامبراطور تابعا معتذرا ، ويضع نفسه تحت رحمته وتصرفه ، ويعلم له الاعتراف بطاعته والتبعية له . فقد سبق لوالد الامبراطور ان عفى عن ريمون

وتفاهم مع الارمن على محاربتهم ، وأعد أرناط وطوروس أمير الارمن حملة مشتركة على جزيرة قبرص - وكانت مقاطعة بيزنطية - فلم يشعر اهل الجزيرة الا والقوات الصليبية والارمنية تهبط في اراضيهم وتنكل بهم .

وقد ارتكبت القوات الغازية من الفظائع والقبايح ما تقشعر لهوله الابدان ، فصلمت آذانا ، وجدمت انوفا ، وهتكت اعراضا ، ونهبت اموالا لا يحصوها عد . وعاد المغامر ان وأيديهما مثقلة بالتسبي والغنائم .

### طمع أرناط وانانيته افشلا مخطط الصليبيين لاحتلال شيزر

كانت شيزر قلعة حصينة تقوم على الضفة اليسرى للعاصي ، وقد اعجز الصليبيين احتلالها ، بفضل دفاع امرائها ، آل منقلد وبفضل موقعها الجغرافي ، ومثانة أسوارها . وفي عام 1157 م ، ضربت هزة أرضية مدن سوريا فأخربت اكثرها ، وكان الخراب الذي اصاب شيزر كبيرا ، وكال آل منقلد قد تجمموا في قصرهم لحضور حفل فيه ، فانهار عليهم القصر ، ولم ينج منهم غير اسامة الذي كان منفيا خارج شيزر ، وغير امرأة وطفل منهم ، أخرجوا من تحت الانقاض .

وفي ذلك العام ، وائر الهوة التي الحقت بالمدن السورية ، وقع أمير سوريا وبطلها نور الدين محمود مريضا ، حتى أشفى على الموت ، فبدأ للصليبيين ان يفتنموا الفرصة ، ليحتلوا شيزر ، ويشتبوا اقدامهم في حوض العاصي من جديد .

وبدا للملك بودوان الثالث ان يحتل ما يمكن احتلاله من اواسط حوض العاصي ليسلمه الى الكونت ( تيري دوفلاندر ) يقيم له امارا فيه ، تفيد من الامكانات الضخمة التي يتمتع بها بيت الكونت واملارته في فرنسا ، وبذلك يستطيع تخفيف العبء الثقيل الذي أصبحت تنوء به الامارات القائمة في الشمال ، بعد القضاء على امارا الرها .

وفي اوائل تشرين الاول ( اكتوبر ) من عام 1157 م تجمع حول شيزر جميع الامراء الصليبيين ، مع جيش ارمني يدممهم ويعمل معهم ، وانضم اليهم الكونت تيري دو فلاندر ، ومن معه من الفرسان القادمين للحج والنجدة .



دوبوايه ، واكتفى بالاعتراف بالتبعية والولاء ، ورفض علم الامبراطورية على قلعة انطاكية .

وبدت الفكرة لارناط اخاذة . فانه اذا استطاع ان يدفع العقاب عن نفسه ، وان يؤجل احتلال انطاكية ولو الى حين ، يكون قد حقق كسبا لا يستهان به . فقرر السير بنفسه الى المعسكر الامبراطوري ، وارسل قبله رسولا من رجال الدين ، يمهّد السبيل ، ويلطف الجو . وتمكن الرسول ، بحذقه ودهائه وجميل امتدازه من تهدئة نائرة الامبراطور ، ومن تخفيف ثقله على ارناسط .

ووصل ارناسط الى المصيصة ، وكان عليه ان يجتاز المدينة كلها ، ليصل الى المعسكر الامبراطوري ، فترجل عن فرسه ، وخلع نعليه ، ولبس قميصا يكشف عن ذراعيه حتى المرفقين ، وامسك بسيفه من مقدمة النصل ، ليقدّم قبضته الى الامبراطور ، وسار وهو على هذه الحالة المزرية ، من الذل والاستخذاء في شوارع المصيصة ، التي اصطف الناس فيها على جانبي الطريق ، ليتفرجوا على هذا الجبان الدليل الغادر المتقلب .

ورضى الامبراطور ، ماتم من خضوع ارناسط ، واكتفى بالاعتراف بتبعية الامارة له والسماح له باقامة حامية بيزنطية في قلعة انطاكية ، كرمز لاثبات حقه .

### أسر المغامر

وبعد ان رحل الامبراطور عن كيليكيا ، تنفس ارناسط الصعداء ، ونسى ما لقيه من ذل ومهانة ، وعاد يتابع حياته المعتادة ، حياة المغامر الشريير . وفي يوم من ايام شهر تشرين الثاني ( نوفمبر ) 1160 م ، علم ارناسط ان قطعانا كبيرة من الماشية ترمى في السهول الواقعة بين عينتاب ومرعش ، وان هذه القطعان لا تحرسها قوات اسلامية ، وكانت القطعان في اكثريتها يملكها ارمن ويونانيون من سكان المناطق التي استرجعها المسلمون من الفرنج حديثا ، ولكن ارناسط لم يكن يهمنه من يملك القطعان ، وانما الذي يهمنه ان يحقق مفعما ، دون ان يتعرض لخطر قتال .

وبينما كان الرعاة آمنين مطمئنين ، انقض عليهم ارناسط وفرسانه ، فاسروهم ، واستاقوا قطعانهم فرحين بما حققوه من كسب . ولكن فرحتهم لم تطل كثيرا ، اذ ان انباء الهجوم الغادر ، وصلت الى نائب

نور الدين في حلب ، مجد الدين ابي بكر بن الدايدة ، فاستنفر قواته ، وطار بها ليقطع الطريق على المغامرين .

وعلم ارناسط وصحبه بخروج المسلمين اليهم ، فخاف اصحابه ، ونصحوه بان يتخلى عن المنجم الضخم ، وان ينسحب عائدا الى انطاكية . ولكن ارناسط اراد ان يتظاهر بالجرأة الكاذبة امام صحبه ، فرفض الفكرة ، وامر فرسانه بسوق القطعان ، بين صفيين من الجند ، وان يحثوا الخطا الى انطاكية ، وسار هو مع قوة من رجاله في الساقية ليحميها ويدافع عنها .

وبينما كان ارناسط وصحبه يسرون مسرعين قرب قرية الجومه ، شمالي غربي هزائر ، انقض عليهم فرسان حلب ، وفتكوا فيهم فتكا ذريعا ، وقتلوا اكثرهم ، وجبن الاخرون فاستسلموا ، وكان بين المستسلمين ارناسط . ونجا قليلون هاربين ، يخبرون فرنج انطاكية بانباء المعركة ومصير ارناسط .

والقى ابو بكر بارناسط وصحبه على ظهور الجمال ، وكانهم بعض المتاع ، ودخلوا بهم حلب ، فاسرع الناس يتفرجون على هذا المشهد الذي لم يعد يثير فضولهم كثيرا ، لكثرة ما تكرر منذ ان تولى عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود امور حلب . ووصلت الجمال باحمالها امام قلعة حلب التاريخية ، فانزلت الاحمال ، واستيق ارناسط الى سجنها ليقضي فيه ستة عشر عاما من حياته الشقية .

وبعد ان تولى نور الدين محمود ، موحد سوريا ومصر ، كان ابنه الملك الصالح ، صغيرا ، فاختلف الامراء من حوله ، ايهم يكفله ، ليبسط سلطانه على الدولة . وتحرك صلاح الدين نائب نور الدين في مصر ، يريد اثبات حقه في تولي رعاية ابن سيده . وجرت بينه وبين امراء سوريا المشرفين على الملك الصالح ، حروب ووقائع ، انتصر فيها صلاح الدين ، ووصل في زحفه المظفر الى حلب ، فحاصرها .

ولم يجد من يحلب من الامراء وسيلة لدفع صلاح الدين عنهم ، غير الاتصال بالفرنج ، فتحرك ريمون الثالث ، امير طرابلس ليهاجم حمص ، كما تحرك فرنج انطاكية . وليثبت امراء حلب للفرنج حسن نواياهم ، واخلاصهم في التعاون معهم ، اطلقوا في عام 1176 م سراخ من كانوا في سجن حلب من الفرنج ، ومنهم ارناسط .

وكانت اماردة انطاكية قد تولاها وارثها الشرعي ، بوهمند الثالث ، فلم يجد المغامر مكانا له في انطاكية ،

وتابع سيره الى القدس . وهناك تعرف بأرملة اخرى هي ( اتين دوميلتي ) ، ارملة ( أونفروادو تورون ) ( ابن الهنغري كما تسميه الرواية العربية ) . وكانت هذه الائمة قد ورثت امارة شرقي الاردن ، التي يقوم فيها حصنا الكرك والشوبك ، فأعجبت هي به ، وأعجب هو بمالها وأملاكها ، التي تحتل افضل مركز جغرافي ، يسيطر على طريق القوافل ، المتنقلة بين سوريا ومصر والحجاز ، فعتدا زواجهما حوالي عام 1177 م .

لم تكن الظروف مواتية لامال ارناط واطمائه في المغامرة ، حينما كان زوجا لاميرة انطاكية . اذ كانت انطاكية محصورة بين مملكة نور الدين في الشرق ، وبين الامبراطورية البيزنطية في الشمال . وكانت انطاكية اقرب المواقع الصليبية الى حلب ، وحصونها الغربية ، فلم يكن في مقدور ارناط أن يندفع وراء مغامراته كما يحلو له ، دون أن يكون معرضا لخطر الانتفاض عليه من المواقع الاسلامية المحدثة بأرض انطاكية . وقد رأينا كيف أن فرسان حلب كانوا أسرع من ارناط ، فاعترضوا سبيل عودته بالفنائم الى انطاكية واسروه .

كما ان الانضباط الذي كان يفرضه ملوك القدس على الامارات الصليبية الاخرى في المشرق ، كان سببا من اسباب كبح جماع المغامرين من الامراء ، والزمامم بالمعقول من التصرفات .

ولكن ما لم يكن ممكنا القيام به من المغامرات في انطاكية عام 1160 م ، أصبح ممكنا كل الامكان القيام به في جنوبي شرقي الاردن عام 1180 م ، فالملك بودوان الرابع ، أصبح ملك القدس ، وكان مصابا بالجذام ، وحالته ميثوس منها ، وقد ضعفت الملكية ، واصبحت موضع مساومة ومنازعات بين الطامعين في السيطرة على الملك .

**وفي المملكة الاسلامية كانت الظروف قد تغيرت هي ايضا ، فقد مات الرجل العديدي الارادة ، نور الدين محمود ، واصبحت خلافته موضع نزاع بين الطامعين في أن يخلفوه ، حتى تمكن صلاح الدين بعد كثير من الجهد من تثبيت اقدامه ، وفرض سلطانه على المنشقين عليه .**

اما من الناحية الجغرافية فان موقع قلعتي الكرك والشوبك ، في قلب الصحراء بعيدا عن عواصم المسلمين ومراكز تجمع قواتهم ، يجعل المغامرات اكثر ربحا ، وقل تعرضا للاخطار .

واذا فقد كان زواج ارناط من اميرة قلاع شرقي الاردن ، يحق جميع الشروط المناسبة والملائمة لانطلاق مغامراته من جديد .

واخذ ارناط بيت هبونه وارصاده من الصليبيين ومن بدو الصحراء ، ليرصدوا تحرك القوافل ، ويعلموه بها ليقوم بالاغارة عليها ونهبها وسبي من فيها ، دون أن يخشى مفاجأة من جيش اسلامي قريب .

وتكررت أعمال ارناط ، وعادت عليه الاعمال بالارباح الوفيرة ، فزاد ذلك في جرانه ، وفي اطمائه ، والمسلمون لا يستطيعون الوصول اليه ، كما لا يستطيعون أن يتخلوا عن سلوك طريق الصحراء ليصلوا من سوريا وما وراءها الى مصر والحجاز .

ثم جرت اتصالات بين ملك القدس وبين صلاح الدين ، لتحقيق هدنة ، تريح الجانبين من عناء الحروب المتواصلة ، وقد كانت الهدنة ضرورية لصلاح الدين ، ليتفرغ الى تسوية مشكلات مملكته ، واستكمال وحديتها وكانت الهدنة اكثر ضرورة للصليبيين ، الذين انهكتهم الحروب ، وقلصت رقعة اراضيهم ، وأخربت ما تبقى منها في ايديهم ، كما كانت ضرورة لهم لتسوية خلافاتهم الداخلية ، وخصوصا الخلافات بين أفراد البيوتات الحاكمة ومشاكلها العائلية ، والخلاف بين منظمتي الداوية والاستبارية .

وحيثما تحققت الهدنة كان من المفروض ان تشمل مملكة القدس ، باماراتها المختلفة ومنها امارة شرقي الاردن التي يحكمها ارناط . واتصرف كل من الجانبين الى تسوية اموره مطمئنا الى قدسية العهد والمواثيق .

ولكن هذه الهدنة لم ترق لارناط ، الذي اشتد على تحقيق المكاسب والفائز من طريق المدوان على القوافل العابرة في الصحراء ، فأضمر في نفسه الغدر ، وعدم التقيد بها . واخذ يتحين الفرصة ، المناسبة للغدر ، فقد تكون الهدنة اكثر كسبا له . وبالفعل كانت .

ففي صيف عام 1181 م ، علم ارناط أن قافلة اسلامية كبيرة جدا ، قدرت الروايات ثمن ما فيها بمئتي الف دينار تسلك الصحراء مطمئنة الى الهدنة ، في حراسة عدد قليل من الرجال ، فاستعد للاستيلاء عليها .

ولما اصبح القافلة قريبة من قلعته ، نزل من فيها يستريحون من وعناء السفر ، وباتوا ليلتهم هناك ،

تقضي بان يتحرك الصليبيون لنجدة أرناط ، ولاهتراض  
سبيل صلاح الدين أثناء هودته من مصر الى دمشق .

ولكن العقلاء ، وعلى رأسهم ريموند الثالث أمير  
طرابلس ، الذي كانت تربطه بالمسلمين هدنة ، لم يروا  
هذا الرأي ، وقدروا ان احتشاد الجيش الصليبي في  
جنوبي الاردن ، أمر بالغ الخطورة ، لانه يترك الأراضي  
الصليبية في فلسطين ، خالية من القوات ، فتعرض  
بذلك لهجمات المسلمين المباغتة .

وفازت نظرية المغامرين ، اذ لم يكن بودوان في  
وضع يمكنه من اتخاذ موقف حازم . فمبا الصليبيون  
قواتهم ، وصاروا بها الى الكرك ، وعسكروا حولها  
ينتظرون عودة صلاح الدين ، ليوقموا به . ولكن صلاح  
الدين علم بمخطط الفرنج ، فخرج على رأس فرسانه  
يعبر الصحراء على خير تعبئة ، وجعل أخشاه نوري  
على رأس قوة تحرس القافلة العائدة بالمتاع والمرضى  
والنساء ، على ان يسيروا موغلين في الصحراء ،  
ليكونوا بميدان عن متناول يد الفرنج .

وفي نفس الوقت ، الذي قرر فيه صلاح الدين  
عبور الصحراء ، أوعز الى ابن أخيه فروخ شاه ، وهو  
نائبه في دمشق ، بان يفتنم فرصة خلو فلسطين من  
القوات ، ويضرب هناك بمنف . فخرج فروخ شاه من  
دمشق على رأس قوة خفيفة الحركة ، وأسرى الى  
منطقة الجليل ، فلم يشعر الفرنج ، الذين كانوا  
يعملون آمنين مطمئنين ، الا والجيش الاسلامي ينقض  
عليهم ، يقتل ويأسر ويسبي ويغنم ، ويخرب ، دون  
ان تكون للفرنج فرصة للانتجاء الى معقل او حصن .  
ثم عاد المسلمون الى منطقة السواد الواقعة شرقي  
بحيرة طبرية ، يوقمون بالفرنج ويفتكون بهم .

وتقول الروايات ان فروخ شاه ، هاد الى دمشق  
يسوق امامه قرابة الف أسير وعشرين ألف رأس من  
الماشية . وعلم الصليبيون وهم في معسكرهم قرب  
الكرك ، بما أحدثته غارة فروخ شاه من خراب ودمار ،  
في منطقتي الجليل والسواد ، فقلقوا وأدركوا خطاهم  
بالباع أراء أرناط وأصحابه ، فانسحبوا مسرعين الى  
منطقة الجليل ، وعسكروا قرب حيون صفورية ،  
بانظار ما سيقوم به المسلمون .

اما صلاح الدين فانه وصل الى دمشق في 22  
حزيران ( يونيو ) 1182 م ، وبعد ان اطمأن الى وصول  
أخيه نوري والقافلة سالمين الى دمشق ، هاد بقواته  
الى حدود مملكته مع فلسطين المحتلة ، وعسكر في

فلم يشعروا الا وأرناط ورجاله ينقضون عليهم ،  
ويمعنون فيهم قتلا وأسرا ، فنجأ منهم من سبق  
فرسه ، ووقعت القافلة في ايدي أرناط . ووصل  
الناجون من رجال القافلة الى دمشق يقصون على  
صلاح الدين أخبار الغدر الفرنجي ، فانزعج صلاح  
الدين وأدرك ان وجود قلاع صليبية على الطريق بين  
شقي مملكته ، أمر بالغ الخطورة ، وانه لا بد من القضاء  
عليها اذا أريد للمملكة ان تزدهر وتماسك .

وانزعج الصليبيون في القدس كثيرا ، وخصوصا  
الملك بودوان الرابع ، الذي ألح عليه المرض وأنهكه ،  
فقد تعود أسلافه تشريف تمهيداتهم ، والحفاظ على  
مهودهم ، كما تعودوا ان يتقوا بمهود المسلمين  
وموايقهم ، وأسرع يكتب لأرناط يلومه على هذا الغدر  
الذي يظهر الصليبيين بظهر المغامرين الذين لا يتقيدون  
بعهد ولا ميثاق . وطلب اليه ان يعيد ما وقع بأيديه  
من المغانم الى المسلمين ، وان يطلق سراح الاسرى .  
فسخر أرناط من الملك ، وأعلن رفضه الاستجابة  
للطلب . فعاد الملك وأرسل اليه وفدا من رجال  
الدين ، ومن فرسان الاستتارية ، يلحون عليه في ضرورة  
امادة الاسرى والمغانم ، الى المسلمين ، للابقاء على  
الهدنة القائمة ، فلم يكن رد أرناط على الوفد بأفضل  
من رده الاول . وسخر من الملك ومن سلطانه عليه .

وأراد صلاح الدين ان تستمر الهدنة قائمة ،  
فكتب الى بودوان يعرفه بالواقعة ، ويستنكر تصرف  
أرناط ، ويطلب اليه التدخل لامادة الاسرى والأموال .  
فلم يجد بودوان ما يرد به على صلاح الدين فيسر  
الامتداع بأنه لا يستطيع عمل شيء مع تابع لا يحترم  
عهدا ولا هدنة .

وحيثما تلقى صلاح الدين هذا الرد ، اعتبر  
الهدنة غير قائمة ، وياشر الحرب من جديد .

وهكذا وجد الصليبيون انفسهم مسوقين برؤمهم  
وراء المغامر ، لان غارات المسلمين لم تقتصر على أرض  
أرناط .

وفي عام 1182 م ، ذهب صلاح الدين لمصر ،  
ليستغند شؤونها ، ولما علم الفرنج بذلك ، عقدوا  
مجلسا حريبا بحضور بودوان ، لمناقشة الموقف .  
وقد ارتأى المغامرون من انصار أرناط ، ان صلاح  
الدين ، سيعود على رأس قوات ، وانه سيهاجم معاقل  
أرناط في الكرك والشوبك ، لينتقم منه ، وان الحكمة

منطقة القحوانة ، قرب سمخ ، قلم يجرؤ الصليبيون على دخول المعركة معه . لانهم كانوا يدركون حقيقة تفوقه عليهم بقواته وبموارده وبانضباط جيشه ، بينما كانت الفوضى والنزاعات الداخلية ، تنخر في جسم الكيان الدخيل .

**وبث صلاح الدين سراياه في المنطقة تميث فيها**  
تحت سمع الجيش الصليبي وبصره ، دون أن يجرؤ على التعرض للمسلمين . وبلغت سرايا المسلمين بيسان وجنين تقتل وتخرب وتحرق ، لعلها تدفع الفرنج الى المعركة ، ولكن الصليبيين لبثوا ساكنين لا يتحركون . واخيرا اطم الجنود صلاح الدين أن ازوادهم قد نفذت وأن مقامهم قد طال ، فقرر صلاح الدين الانسحاب الى دمشق ، بعد أن تأكد من أن الفرنج لن يجازفوا بدخول الحرب .

اغرت ارناط انتصاراته المحدودة على القوافل العابرة في الصحراء ، لجملته يفكر بأمور لم تخطر لغيره على بال ، لما فيها من خطر إيقاف نقمة العالم الاسلامي كله ، ودفع المجاهدين الى التدفق على ميدان المعركة للقضاء على الخطر المهدد لمقدساتهم .

ويقول المؤرخون أن ارناط ، قد بلغ تيماء في عام 1181 م ، في إحدى اتدفاعاته في الصحراء ، وتيماء تقع في قلب الجزيرة العربية ، وأنه كان ينوي التوجه من هناك الى المدينة المنورة لمبايعتها ، والامتداد على قبر النبي عليه السلام ، ولكن هجوما قام به فروخ شاه على حصون ارناط في شرقي الاردن ، اضطره الى الارتداد مسرعا ، مخافة أن يباغته في الصحراء .

وقدر ارناط انه اذا تمكن من الاستيلاء على (ابلا) على خليج العقبة ، فانه يستطيع أن ينشئ اسطولا يسيطر على البحر الاحمر ، ويتحكم بموانئ المسلمين فيه ، وبالتالي فانه يستطيع الوصول الى الاماكن الاسلامية المقدسة في مكة والمدينة ، والإيقاع بالمسلمين وهم في موسم الحج .

وبالفعل نفذ المقامر مخططه ، فانشأ قوارب في مستقلان والكرك ، ونقل اجزاءها مفككة على ظهور الجمال فجمعها في خليج العقبة ، وقذف بمراكبه في البحر ، وبينما اتجهت قوة صليبية تحاصر ابلا ، اتجهت المراكب الاخرى عبر خليج العقبة الى البحر الاحمر ، ومن هناك سارت الى الموانئ الاسلامية الآمنة التي لم تكن تتوقع أن ترى مراكب صليبية ، فاخذت في نهبها ، والاعتداء عليها ، كما مرضت

للمراكب الاسلامية الماخرة في البحر الاحمر ، فاوقمت بها ، ونهبت العديد منها . وكان أول ميناء ظهر الفرنج امامه هو ميناء (عيداب) ، تجاه ميناء جدة ، ثم انتقل الفرنج الى الموانئ الحجازية فيبرون عليها ، حتى بلغوا ميناء الحديدية قرب ينبع ، ومنه اتجهوا الى راينج شمالي جدة ، ينهبون ويقتلون ويأسرون ، ثم أسروا مراكبهم في الجوزاء قرب راينج ، ونزلوا الى البر يعيشون فيما حولها ، ويعدون عدتهم للايقاع في داخل الارض المقدسة والوصول الى مكة ، للايقاع بالحجاج المجتمعين فيها .

**ولفق العالم الاسلامي لهذه الجزاة التي لم يكن احد يتوقعها ، واضطربت نفوس الحكام ، وجاشت نفوس المسلمين بالغضب ، كيف تجرؤ شرادم طارئة على مشرقنا التسامح ، فتفكر في تدنيس المقدسات وترويع الامنين اللاتدين بيت الله وحرمة .**

**وكان أسرع الجميع استجابة لنداء الواجب هو الملك العادل ، شقيق صلاح الدين ونائبه في مصر ، فجهز اسطولا عهد بقيادته الى امير البحر حسام الدين لؤلؤ ، وكلفه بملاحقة الفرنج وردهم عن مقدسات الاسلام . فخرج لؤلؤ مسرعا ، يتبع الفرنج ، ويستقصي اخبارهم ، فأدركهم وقد نزلوا بالحروراء ، فاستولى على مراكبهم الراسية ، ثم نزل ورجاله الى اليابسة ، لقتال الفرنج الهابطين على الساحل . ولما رأى الفرنج فرق سفنهم ووقوعها في أيدي المسلمين ، انقطع أملهم في النجاة بها ، فلجأوا الى شعاب الجبال القريبة من الساحل ، فلحق بهم لؤلؤ وقائلهم في شباط ( فبراير ) 1183 م ، قتالا شديدا حتى افناهم ، واخذ من تبقى منهم حيا اسيرا . فأرسل بعضهم الى منى لينحروا فيها كالاضحي يوم عيد الاضحى ، امام الحجاج ، لتطمئن خواطر الناس ، وليعلموا أن قادة المسلمين لا يمكن أن يتهاونوا مع من يدنس مقدسات الاسلام ، فنحروا هناك يوم العيد ، والناس من حولهم يهللون ويكسرون .**

أما الباقون من الاسرى ، فقد سيقوا الى مصر ، فأمر صلاح الدين بضرب أعناقهم جميعا لكيلا يفكر احد منهم في العودة مع حملات اخرى على الطريق .

لم يكن صلاح الدين يجهل أهمية الخطر الذي يشكله على الاسلام عامة وعلى مملكته بصورة خاصة ، وجود الصليبيين في سوريا ، وخصوصا وجودهم في شرقي الاردن وجنوبي فلسطين . ولكن هذا الوجود

وفي اليوم التالي سار صلاح الدين ونزل على جبل غربي طبرية ، ولبت هناك ينتظر تعرف الفرنج ليقاثلهم ، ولكن الفرنج كانوا مختلفين فيما بينهم حول ما يجب عمله تجاه صلاح الدين . فقد مات الملك بودوان الرابع غير مخلف عقباً ، وأوصى بالملك الى ابنة اخت له ، تزوجها رجل ضعيف الشخصية ، عرف باسم ( جي دولوزينيان ) فأصبح ملكاً على القدس ، وقد أحدث ارتفاع ( جي ) العرش انشقاقاً في صفوف الصليبيين ، يضاف الى الفوضى القائمة بينهم .

ولما اجتمع الفرنج في صفورية ، ونزل صلاح الدين على طبرية ، اقترح المغامرون مهاجمة صلاح الدين لفك الحصار الذي ضربه على مدينة طبرية ، وكانت طبرية ملكاً لزوجة ريموند الثالث أمير طرابلس ، وكان ريموند أكثر الصليبيين خبرة بالحرب ، وأبعدهم نظراً ، وأكثرهم ادراكاً للواقع الصليبي ، وتقديراً لقوة صلاح الدين ، فكان رآيه أن لا يخاطر الفرنج المتفسخون بالاشتباك بالمسلمين ، وهم أكثر ما يكونون قوة ، وتصميماً على سحق العدوان ، والانتقام من محاولة تدينس مقدساتهم . لذلك اترض على رأى القائلين بضرورة الاشتباك بصلاح الدين ، وقال لهم أن طبرية ملك لزوجته ، وأن زوجته وأبنائها موجودون في طبرية ، وأنه إذا أحدث مكروه لطبريا فإن المكروه سيصيبه قبل غيره ، ومع ذلك فإنه يفضل أن يضحي بزوجته وأبنائه وبعض املاكه ، على أن يقامر بمستقبل الممالك الصليبية في المشرق ، فسخر منه المغامرون ، واتهموه بالخيانة والتواطؤ مع المسلمين ، وتطاولوا عليه ، ولما اقنعوا الملك بضرورة السير الى طبريا لفك الحصار ، وترحيل المسلمين عنها ، لأنه ليس من الشهامة ولا الرجولة في شيء ترك الأميرة لمصيرها تدافع وحدها من طبرية .

جرت تلك المناقشات في المعسكر الصليبي في صفورية ، قبل أن يتحركوا من مواقعهم . ولما رأى صلاح الدين الفرنج لا يتحركون ، ترك قوة في المرتفعات ، لمواجهة الفرنج ان تحركوا ، ونزل مسرماً مع قوة خفيفة الحركة ، فهاجم طبرية واستولى عليها سريعاً ، وأسر وقتل وفنم ، ولجأت الأميرة ومن نجا من المعركة ، الى القلعة يتابعون المقاومة ، فحارب صلاح الدين حصاراً حول القلعة ، ولبت ينتظر رد فعل الصليبيين في صفورية .

ولما علم الفرنج بما حل بطبرية ، ارتفعت اصوات المتطرفين ، واقنعوا الملك بضرورة السير لانتقاذ

كان قبل صلاح الدين ، وكان من الممكن أن يستمر ، دون أن يشعر صلاح الدين بأن اقتلاعهم ضرورة ملحة لا يمكن تأجيلها . ولكن مغامرات ارناط في نقض الهدنة وسلب الحجاج والقوافل ، وقطع الطريق بين سوريا ومصر والحجاز ، ومحاولاته لتدينس مقدسات المسلمين ، وترويع أهل الارض المقدسة ، ومن يؤمها من الحجاج المسلمين ، كل ذلك اقنع صلاح الدين ، أنه لا بد من القضاء نهائياً على هذا الخطر المهدد ، في أسرع وقت ، واجتثائه من جذوره ، لكيلا تبقى له في أرضنا باقية . فشرع من ساعد الجد ، واقسم على أنه سينتقم بنفسه من ارناط ، وأنه سيقتله بيديه ان ظفر به ، وقد مكته الله من ذلك .

وتتالت حملات صلاح الدين على قلاع ارناط ، خلال الايام التالية ، وحاصره أكثر من مرة في قلعة الكرك وضيق عليه ، فكانت الجيوش الصليبية تتجمع في كل مرة ، وتسير لنجدة الكرك ، ولكنها كانت ترفض الدخول في المعركة مع المسلمين ، لأنها كانت تدرك أنها ليست كفءة لصلاح الدين وجيشه .



وحيثما حل عام 1187 م ، ( 583 هـ ) ، اهتزم صلاح الدين الدخول في معركة فاصلة مع الفرنج ، فصرف همه لتسوية خلافاته مع اتباعه وجيرانه المسلمين ، كما طلب الى نائبه في حلب وحماه ، بمهادنة الفرنج في امارة انطاكية ، ( اما طرابلس فكان أميرها قد دخل منذ زمن بعيد في حضي صلاح الدين وهادنه ) . ولما تحقق الصلح بين المسلمين وبين فرنج انطاكية في ايار ( مايو ) 1187 م ، ( اواخر ربيع الاول 583 هـ ) . اخذ السلطان في جمع القوات ، واستدعى تابعيه من الامراء في الجزيرة وديار بكر والموصل ، واستدعى قوات من مصر وحلب وحمص وحماء ، وخرج هو من دمشق الى مشترا ( في حوران ) ، واقام هناك ينتظر اجتماع الجيوش عليه . ولما تكامل اجتماعها ، استمرضها في منتصف ربيع الآخر 583 هـ ، وعباها تمبشة القتال ، وسار بها يوم الجمعة في 17 ربيع الآخر ، حتى نزل جنوبي بحيرة طبرية عند قرية الصنبرة .

وكان الفرنج قد علموا باجتماع الجيوش على صلاح الدين ، فأسرعوا بجمع قواتهم ، وحسروا قرب عيون صفورية ، في الجليل ، ينتظرون التعرف على مرامي خطة صلاح الدين .

الاميرة ، فتحرك المعسكر الصليبي كله ، نحو المسلمين  
رغم معارضة ريموند واحتجاجاته .

ولما علم المسلمون بتحريك الفرنج أرسلوا يخبرون  
صلاح الدين ، وكان هذا بالضبط ما قصده هو من  
مهاجمة طبرية ، وهو ان يستثيرهم ، وان يدفعهم الى  
قبول الدخول في المعركة معه . فترك قوة من رجاله في  
طبرية تتابع حصار قلعتها ، واسرع هو بمن معه الى  
المرتفع ، حيث ترك مصكروه ، فوصله مساء الخميس  
في 22 ربيع الاخر . وبعد قليل وصل الصليبيون ،  
واقاموا معسكرهم تجاه المسلمين ، ولم يجر قتال في  
ذلك اليوم .

وفي صبيحة يوم الجمعة 23 ربيع الاخير 583 هـ  
( تموز 1187 م ) ، اشتبك الفريقان في قتال عنيف في  
ارض اللوية ، دام طوال النهار ، وكان الحر شديدا ،  
ولم يكن حول المعسكر الصليبي ماء يمسون اليه ،  
وحاولت قواتهم اكثر من مرة ان تشق طريقها الى  
طبرية لتستقي ، ولكن المسلمين كانوا يردونها ، بعد  
ان ادركوا غايتها .

وبات الفرنج عطاشا ، والمسلمون من حولهم  
يطوفون بمعسكرهم ، يرمونهم بالنبال طوال الليل ،  
حتى لم يتركوا لهم فرصة للراحة .

وذكر الجانبان يوم السبت الى القتال ، والفرنج  
قد انهكهم التعب والعطش والحر ، وجرى عراك رهيب ،  
وصبر الفريقان صبورا عجيبا ، وراى ريموند ان المعركة  
اصبحت خاسرة ، وانه لم يعد لهم امل في نصر ، فحمل  
بمن معه من الفرسان حملة مستقتل يريد النجاة ،  
فامر قائد الفرسان تقي الدين عمر ، رجاله بان يفسحوا  
لهم المجال ، فخرجوا من المعركة ، وتابعوا طريقهم  
الى صور . فاضعف خروج قوات طرابلس ، من عزائم  
المقاتلين ، وحاولت فئة اخرى منهم النجاة ، فلاحقهم  
المسلمون وابدوهم .

اما الملك ( جي ) ومن تبقى معه ، فانهم لم  
يجدوا لهم مهربا ، فانحازوا الى تل حطين ، وتحصنوا  
فيه ، فاحاط بهم المسلمون ، وتجدد القتال على اشد  
ما يكون هنفا حول التل . واستمر حتى تمكن المسلمون  
من الوصول الى خيمة الملك فاخذوه اسيرا ، واسرع  
ارناط يلقي بسلاحه مستائرا ، وفعل غيره مثل فعله .  
وانتهت المعركة مساء السبت باسر الملك واسر ارناط

الذي اثارت مغامراته الحرب ، وفيره من الزعماء  
والقسادة .

ولما انتهى القتال ، جلس السلطان المنتصر ، في  
خيمته فرحا مسرورا ، بما افاء الله عليه من نصر ،  
وجلس من حوله كبار القادة والامراء ، واستدعى اليه  
الاسرى ، فاحضر الملك وارناط ، وقد هددهما  
العطش ، فامر صلاح الدين للملك بشربة من ماء مثلج  
فتناول الكوب وشرب منها ، ثم ناولها لارناط ، وكان  
بجانبه ، فشرب ارناط وصاح صلاح الدين في الترجمان  
ليقول للملك الاسير ، انت الذي سقى ارناط وليس  
انا . وكانت الاعراف تقضي بان الاسير اذا نال من  
طعام آسره ، او من شرابه لم يعد يجوز له قتله . وقد  
سبق لصلاح الدين ان اقسم بانه اذا ظفر بارناط  
ليقتلنه بيديه ، وقد تسبب ارناط بمغامراته وجرائمه ،  
وخياناته لليهود والموائيق ، بهذه الحرب الطويلة  
المتواصلة ، ولم يصر صلاح الدين على الاستمرار في  
الحرب الا ليظفر بارناط ، ليجمله عبرة لكل غادر  
مغامر .

ولم يشأ صلاح الدين ان يقتل ارناط بحضور  
( جي ) ، فآخرجهما من مجلسه ، ثم استدعى ارناط ،  
وعنفه على محاولاته تدنيس المقدسات الاسلامية ،  
وذكره بما كان منه نحو رجال القافلة الذين غدر بهم في  
وقت الهدنة والسلم ، وسخر منهم ومن دينهم ونبيهم ،  
حينما ناشدوه الله ، وذكروه بالصلح القائم بين  
المسلمين والفرنج . ثم قام اليه صلاح الدين ، وقال له  
ها انا انتصر لدين محمد ، واستل سيفه وضربه به  
على كتفه فحله ، وقام من حضر بالا جهاز على ارناط ،  
ثم حملوه الى باب الخيمة والقوه ، ولما راى ( جي )  
صاحبه قتيلا جزع ، وخاف مثل مصيره فاستحضره  
صلاح الدين ، وطيب قلبه وهذا روعه وقال له : ( لم  
تجر عادة الملوك ان يقتلوا الملوك ، واما هذا فانه تجاور  
حده ، فجرى ما جرى ) .

واثر معركة حطين بدأت تنهاى المدن والقلع  
التي كانت للصليبيين ، في ايدي صلاح الدين ، وتابع  
من خلفه خطته في العمل على اجثثات جذور الدخلاء ،  
حتى تمكنوا بعد قرابة مائة وعشر سنين ، من يوم  
حطين ، من القاء آخر الصليبيين في البحر . ولم  
تستطع النجدات الكثيرة التي تلقاها الصليبيون من  
اوروبا من ان تمنع زوال كياناتهم ، الذي قام في غفلة من  
الدهر ، بالعدوان والقهر والغدر .

# دراسة حول نخبة الأدب للنويري

## من موسوعة الأدب واللغة

### هل التعبير الجميل بلغة رصينة هو الأدب؟

عبد الحليم النويري أستاذ بالجامعة المليية الإسلامية  
(رئيسي الجمعية)

توصلنا من حضرة الاستاذ عبد الحليم النويري بهذه الدراسة الشيقة التي شارك بها في مسابقة المكتب الدائم ، الا ان لجنة التحكيم اوتت انها تحيد عن موضوع المسابقة - ونظرا لقيمتها التطلنا منها هذا القسم الذي ننشره شاكرين :

بحركة مباركة يمكن ان نسميها بـ «حركة الموسوعات». وغاية هذه الحركة هو جمع ما يوجد من نتاج العلماء القدماء ، وما وضعوه في مختلف العلوم والفنون من كتب خوفا من ضياعها ، على ايدي الفزاة . ذلك ان التتار قتلوا « كثيرا من علماء المسلمين ببغداد وغيرها ، ومن قتل ببغداد الشيخ محي الدين بن الجوزي واولاده . وكذلك اثلغوا كثيرا من دور الكتب واحرقوها . وقد امر هولاء وقت فتح بغداد بالقاء جميع الكتب التي في دور الخلفاء في نهر دجلة . وبذلك ضاعت على الدين ذخائره ، وعلى العلوم والآداب نفائسها ، فقدت العربية الى الابد آلافا من المؤلفات » (1) فلما رأى العلماء هذه الكارثة الرهيبة وما جرت من ضياع أكبر العلماء واجلهم شأننا « وجدوا أنفسهم - بعد هذه الكارثة الرهيبة - مسئولين أمام الله عن دينه ، وأمام التاريخ عن نهضة العلم وإقالة عثاره ، وأمام ضمائرهم عن معارفها وأمام أوطانهم عن تديمها . فدفعهم شعورهم العميق بهذه المسئولية وضغانتها الى الجهد في العمل لتلافي ما فات ، وبذل الجهد لاعادة هذا الصرح المنهار » (2) ومن هنا نجد طائفة من العلماء في هذا

ولد النويري في أواخر القرن السابع الهجري ، القرن الذي شهد تطورات سياسية هامة ، غيرت مجرى التاريخ الإسلامي بسبب فتنة التتار الجامعة التي اعقبتها ويلات ودمار انجلت عن حركة علمية ، من نوع جديد ، لم يكن للعالم الإسلامي ، بها عهد من قبل . فما ان يكاد فجر القرن السابع الهجري يشرق الا ونرى العقول العربية ، التي لم تزل طوال السنوات الماضية ، تزود المجتمع العربي ، بانتاجها الخصب ، ونتائج قرائنها الفياضة ، قد توقفت او تكاد ، وذلك بسبب تغير الأوضاع والظروف التي قلما تسمح لاصحاب الفكر والعلم والمشتغلين بالأدب والفن ، بمزاولة أعمالهم الفنية ، وممارسة إنتاجهم العلمي والأدبي دون ان يتوجسوا خيفة أو وجلا . وبخاصة بعد ما كان هؤلاء العلماء قد الفوا جوا وظروفا تتنافى والتي ابتلوا بها في هذه الحقبة من الزمن ، فلما نجد انتاجا علميا خصبا ، او مادة أدبية فنية غزيرة ، او شعرا عذبا بليغا ، من ذلك النوع الذي تطرب له القلوب وتترنح له المشاعر والاحاسيس . ولكن ما تكاد تنقشع غياهب هذه الفتنة حتى يبرز رهط من العلماء ، ليقوم

(1) عن مختصر أبي الفداء ج 4 ص 194 ، نقلنا عن كتاب « مصر سلاطين المليك » لمحمود رزق سليم المجلد الثالث ص : 17 .

(2) نفس المرجع السابق .

المعصر قد عكفت على دراسة ما تبقى من هذا التراث الضخم ، واستخلاص موارده ، وجمعه في كتب مطولة ضخمة ضنا به وحفظا له .

والغريب في الامر ان هذا الرهط من العلماء وخاصة النويري ، اتخذ في مرامه هذا ، اسوة حسنة من حياة رهط من الصحابة ، قاموا ، خوفا من الضياع والذهاب ، بأول عمل للجمع والتدوين سم في اللغة العربية وتاريخ المسلمين ، واعني به جمع القراءان الكريم وتدوينه في مصحف مكتوب . فقد نقلوه من الجلود ، والعظام والعصب واللخاف التي كانت سور القراءان الكريم او آياته قد كتبت عليها زمن النبي صلى الله عليه وسلم او من صدور الصحابة من الحفاظ الذين كانوا يسمون القراء عصرئذ . وكان الباعث الهام والاول هو توجس الخيفة من ضياعه او ذهابه مع من ذهب من القراء في الحروب والغزوات ، كما حدث في غزوة اليمامة .

فقد روى المؤرخون ، انه عندما ارتدت بعض القبائل من أهل الجزيرة ابان خلافة سيدنا ابي بكر الصديق ، وارسل القوات الاسلامية لقمع دابهم ، دارت بينهما وبين المرتدين معارك دامية ، استشهد فيها حوالي 1200 مسلم من بينهم 700 قارئ . ففرغ المسلمون كثيرا لهذه الظاهرة التي تمرضت لهم اول مرة في حياتهم . وخافوا اذا ما استمرت الحال على هذه الوتيرة ، ان يحرموا من القراءان الكريم بموت او شهادة حفاظه . وكان منهم اكثر خوفا سيدنا عمر بن الخطاب ، فسعى الى ابي بكر يحاوره في الامر . وأشار عليه ان يقوم بجمع القراءان الكريم حفظا له وضنا به . الا ان ابا بكر تردد في الامر وتريث وقال : « كيف افعل امرا لم يفعله رسول الله ولم يعهد لنا فيه عهدا » . ولكن عمر الح عليه وأصر ، فخضع له آخر الامر ورأى الحكمة في جمعه . فطلب الى زيد بن ثابت وكان من ابرر كتاب الوحي ، في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فجمعه مما وجدته مدونا عند الصحابة ، وما كانوا قد حفظوه في صدورهم ، فجعل مصحفا كاملا وسلمه الى ابي بكر . فلما توفي أبو بكر تسلمه عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء وبعد وفاته في سنة 23 هـ ، انتقل المصحف الى كريمته حفصة ام المؤمنين .

وفي زمن سيدنا عثمان بن عفان ، عندما توسعت رقعة الفتوحات وانتشر المسلمون الى اقطار مختلفة وبلدان عديدة ، مع نسخ من القراءان الكريم يعملون عليه ودخلت في حظيرة الاسلام شعوب وقبائل تنفائر لغاتها

ولهجاتها لهجة قريش ، التي نزل القراءان الكريم بها . وحدث اختلاف في قرائته ، وبدأ في ادراك معناه ، اتصل حذيفة بن اليمان بعثمان ، وانبأه بما رآه اثناء سفره الى ارمينيا واذربايجان في غزوة ، من اختلاف المسلمين في القراءة والتفاخر بها والتمسك بها ، حذره من العاقبة الوخيمة التي قد يؤدي اليها هذا الاختلاف وهذا الوضع الشاذ اذا ما تفشى بين المسلمين وقال قولته المعروفة : « ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى » . ففطن عثمان الى ما في قوله من حكمة واستصوب رايه . وطلب الى حفصة يقول لها : « ارسلني اليها بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك » ففعلت ، فاستدعى عثمان رهطا من الصحابة من كتبة الوحي والمتعلمين في القراءان الكريم ، مثل زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وغيرهم وامرهم ان ينسخوا القراءان ويستمينوا على القراءة بما حفظه القراء . وقال لهم : « اذا اختلفتم وزيد بن ثابت في شيء فاكتبوه بلسان قريش فانما انزل بلسانهم » ، ففعلوا وكتبوا اربعة مصاحف بعث بها عثمان الى الامصار . وبقى عنده نسختين ، احدهما لاهل المدينة والاخرى لنفسه . وسميت هذه الاخيرة « بالامام » . ثم جمع المصاحف والصحف الاخرى وامر باحراقها .

ومن نسخ عثمان المرسله الى البلدان والامصار الاسلامية الكبرى مثل مكة والبصرة والكوفة والشام ، استنسخ المسلمون مصاحف اخرى ، حتى كثرت النسخ ، فاصبحت الى مئات ، الى واقعة صفين بين علي ومعاوية حسب قول المسعودي .

تلك هي الاسوة الحسنة التي جعلها النويري نبراسا له يهتدي به خير مثال يقتفيه . فقد جمع القراءان اول مرة بسبب خوف الضياع وذهاب اهله . فبينه وعمل النويري شبه قريب . فانه ايضا قام بجمع تراث الاسلاف خوفا من الضياع على يد الحدان وخامة بعد ما رأى ما آل اليه امر الكتب والكراسات والنفائس العلمية ، اثر اكنساح التثار الاقطار الاسلامية والمراق منها بصفة خاصة .

ثم جمع القراءان الكريم اتقاء لشر تفشي اللهجات المختلفة وتمدد المعاني والمفاهيم القرائية من اجلها . وتفاديا لوقوع الخلاف والشجار بين المسلمين فيه . فاننا ولو نستبعد قيام النويري بهذا العمل اتقاء لشر تفشي اللهجات وتفاديا لوقوع الخلاف ، الا انه يتبادر الى الذهن ان النويري يمكن ان يكون قد فكر في



الذي لولا « هذا الترديد » لكان قد أصبح في حديث الماضي ، مثل الكتب القيمة الاخرى ، التي لا نجد لها ذكرا . الا بين طيات كتب التاريخ او كتب الطبقات . وان وجدت فانها لا تزال زينة الرفوف في المكتبات ، لم يقدر لها ان ترى النور بعد . او هي مخطوطة نادرة نعرف او لا نعرف لها مقرا .

نشا النويري في هذه الظروف ، وترعرع في هذه الفتنة « واشتغل بوظائف حكومية متعددة ، في بلاط السلطان الملك ناصر ( محمد بن قلاوون ) الا ان نفسه الطموح لم ترضى من مزاوله هذه الوظائف التي كانت قد جعلت منه اداة للجهاز الحكومي ليس الا . دون ان تسمح له بالاستفغال بما جبل عليه من حجب للعلم ، ووله بالمكوف على الادب والفن ، وللانعام بنصيب اوفر مما جادت به قرائح العلماء والناخبين . ورجل هذا شأنه لا يستقر به مقام ، مهما كان ذا عزة عليا ، ومنصب مرموق ذلك لانه دائما يحسب مركزه هذا دون اهليته وما تهوى اليه نفسه ، مهما يكن ضئيلا في نظر الاخرين . فما كان من النويري الا ان ترك وظيفته في بلاط السلطان حيث قال « ثم نبذتها وراء ظهري وهزمت على تركها في سري دون جهري وسالت الله تعالى الفنية عنها ، وتفرغت اليه فيما هو خير منها ، ورفبت في صناعة الادب وتملقت باهدابها وانتظمت في سلك اربابها . فرابت غرضي لا يتم بتلقيها من الهواه الفضلاء شفاها وموردي منها لا يصفو ما لم اجرد العزم سفاها (4) .

ومن ثم حول النويري جهده لمطالعة الكتب بنفسه ، لكي يحقق غرضه من هذا العلم الذي يشواق اليه ، والذي قد ضحى في سبيله بوظيفته الحكومية

الموضوع من هذه الناحية ايضا . فمن يدري لعله رأى انه مند جمعه لهذه المؤلفات يصونها من الضياع من ناحية ، ويصونها ايضا من وقوع الشك والريبة في نصوصها وموادها من ناحية اخرى ، وخاصة عندما يطول عليها الامد . فعمد الى ضبط نصوصها في سجل ولم يمس على وضمها عهد بعيد ، وبتمه يديه وهو العالم الخبير « الفقيه الفاضل والمؤرخ البارع ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة » حسب قول النويري بردي . والواقع ان الكتب التي اختصرها او نقلها في كتابه كانت خليقة بالتغيير والتبديل او للشك والشبهة في نصوصها خلال التيارات السياسية والاجتماعية التي مر منها المجتمع الاسلامي في تلك العصور . (1)

وبما ان القاهرة ، مدينة الماليك ، كانت في مامن من ويلات هذه الفتنة الطاغية ، فلقد اتبعت هذه الحركة - حركة الموسوعات - من هذه الارض الخصبة المطمئنة . فسجل القائلون بها ، ما تركته لنا جهود العلماء من السلف ، من نتاج خصب ، من علم وادب ، وحكمة ومعرفة ، ودين وموعظة ، وتاريخ وسيرة ، وغيرها من الفنون . « فالفضل الاكبر في بقاء آداب اللغة العربية في ذلك العصر يرجع الى مصر والشام ، وهما في حوزة السلاطين الماليك ومن بقي من الملوك الايوبيين . فقد كانت الملجأ الوحيد لابناء هذا اللسان في فرارهم من وجه المغول عند اكتساحهم خراسان وفارس والعراق » (2) ومن بين القائمين بهذا العمل الجليل ، شهاب الدين احمد النويري الكندي البكري صاحب « نهاية الارب في فنون الادب » . حقا ان هذا العمل لا يتعدى « ان يكون ترديدا لما فات ، وجمعا لمتفرق او تفريقا لمتجمع » (3) الا انه ليس من شك بان هذا « الترديد لما فات » له الفضل الاكبر في حفظ ما خلفه لنا آباؤنا واجدادنا من هذا التراث الضخم الغزير

(1) راجع لجمع القرهان وتدوينه :

ا - صحيح البخاري باب جمع القرآن .

ب - الترمذي ابواب التفسير .

ج - اتقان للسيوطي .

د - فتنح البساري .

هـ - المصاحف لابن ابي داود . والكتب الاخرى باللغة الاردية كتبت حول الموضوع .

(2) تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان - ج 2 صفحة : 111 .

(3) ظهر الاسلام لاحمد امين ج 4 صفحة : 191 .

(4) مقدمة نهاية الارب ج 1 صفحة : 3 .

فقال « فامتطيت جواد المطالمة وركضت في ميدان المراجعة ، حيث ذل لي مركبها وصفا لي مشربها (1) .

وبما انه من الشخصيات التي نبئت في مصر كان يمر بالتحليل ، ويماني تدهورا في الانتاج العلمي ، لم تحفزه مطالعته هذه ، وانشفاله بالادب والملم وما اتيح له الانشغال ، الى ان ينتج شيئا من فيض قريحته هو ، ويملي عليه عكوفه على المطالمة ، وتلقي مختلف العلوم والفنون . بل حاول ان يجرد من مطالعته كتابا لا يسهم به في الانتاج العلمي اسهاما - كما يبدو لاول وهلة - وانما ليستانس به هو بنفسه ، ويرجع اليه اذا اضطرت نفسه الى المراجعة فيقول . . . « آثرت ان اجرد منها كتابا استانس به او ارجع اليه واعول فيما يعرض لي من المهمات عليه » ( مقدمة نهاية الارب ) .

وهنا يتبادر الى الذهن ان النويري انما بدأ عمله لجمع ما طالع في الكتب في موسوعته ، ليس بارادة تاليف كتاب بالذات بالمعنى المفهوم ، وانما غرضه استيما ما طالع وضبطه في دفتر ، لكي لا ينساه وان انفلت من ذاكرته شيء سهل عليه الرجوع اليه . وكذا لم يات بهذا الكتاب بعد فكر ودراسة ودوية في الموضوع ، وانما جاء به عفوا كفكرة طارئة ، دون ان يحسب لها حسابا من قبل .

ولكنه يبدو لي ، ان النويري ، بعد ما كان قد اراد ان يضمن كتابه هذا وما يخاف انفلاته من ذاكرته ، وبعد ان مضى فيه فعلا شوطا ، غير رايه لما وجد من أهمية فيما يطالع ، وندرة ما وصلت اليه يدها من النفائس . فمن ثم وطد عزمه على جمع هذه التبدات ، وتسجيل ما يعجب به من المختارات ، لا ليستفيد بها هو وحده ، بل لتكون ذات فائدة للاخرين ايضا ومتمعة لهم لكي يمكن لهم الرجوع اليها والالمام بها عند الحاجة . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، لكي

( 1 ) مقدمة نهاية الارب ج : 1 صفحة : 3 .

راجع للنويري : 1 - مسالك الابصار في ممالك الامصار لفضل الله العمري .

2 - النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة ليوست بن تفرى بردي الاتابكي ج 7 و 9 .

3 - حسن المحاضرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي ج : 1 .

4 - كشف الظنون للجلبي ج : 2 مادة ( ن ) .

5 - الطالع السعيد لجعفر بن ثعلب الادفوي حرف .

6 - تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج : 3 .

7 - الحركة الفكرية في المصريين الايوبي والملوكي للدكتور عبد اللطيف حمزة .

( 2 ) مقدمة الكتاب صفحة : 26 .

يحفظ هذا التراث العظيم الذي كان قد اصبح عرضة للخطر على يد الحدنان . هذا التراث الذي اهمله المجتمع لانشفاله بأموره الخاصة ، التي فرضتها عليه الظروف ، من ضيق اسباب المعاش وتغير الاوضاع المألوفة وهذا العمل يتطلب الى جانب العقل الناضج والدوق السليم ، علما فزييرا ، ثم خطة مرسومة احكمت اصولها ، وترتيب وتهذيب روعي فيهما دقة الاختيار وحسن الانتخاب . فان القينا النظر على كتاب نهاية الارب من هذه الناحية ، وجدناه مستوفيا لهذه الشروط كلها وان خضنا في البحث في صفحات الكتاب ، وجدناه موزعا على ابواب وفصول واقسام في صورة منظمة لا يمدد اليها من يريد جمع اشياء ونبذات خيفة الافلات منه او النسيان ، ليرجع اليها اذا شاء الرجوع . فهذا الترتيب الكامل ، لا يمكن ان ياتي عفوا ، دون اعمال الفكر وتنسيق الخطة ، وبعد طول الممارسة وتدبر استغرق وقتا غير قصير . ليس هذا فحسب ، بل ان هذه الظاهرة تتجلى بوضوح في المقدمات التي يستهل بها الابواب . فهي كلها ائت على غرار مقدمات ، تكتب بعد فكر ودوية بالفين ولا ينطلق بها قلم يجمع لصاحبه مختارات من هنا وهناك ، في صورة «مذكرات» . اذ ان شأنه غير شأن المؤلف او الجامع . فقلما يوجد بها ترتيب محكم ، او تهذيب ملحوظ ، او اختيار منسق ، او خطة مرسومة ونهج معين مضبوط . ثم ان النويري نفسه قد افصح عما كان ينويه من جمع كتابه هذا حيث يقول « وما اوردت فيه الا ما غلب على ظني ان النفوس تميل اليه وان الخواطر تشتمل عليه » (2) فهذه العبارة تبرهن على ان النويري لم يبذل جهوده الجبارة هذه لاجل نفسه وحدها وانما للنفوس وللخواطر بالجمع لا المفرد اي نفوس القراء الى جانب نفسه طبعا . كما كان ينوي ان ياتي بكتاب يكون ذخرا للخلف ، وخرانة لما ورنناه من انتاج اسلافنا من العلماء والفقهاء والادباء النابضين .

الجمع ، قليل الابتكار « فلم يترك السيوطي بابا لفسن لم يطرقه » حتى لقد عدت من تأليفه بثلاثمائة كتاب « (4) .

كانت تلك هي الظروف ، وهذه الاوضاع التي وضع فيها النويري كتابه الشهير « نهاية الارب في فنون الادب » في ثلاثين مجلدا ضخما . وعلى ترتيب حسن بديع يضاهي احسن ترتيب ممكن . اودعه كل مختار ومختب من علوم القدماء ، ومن كل فن وموضوع ، وبقدر ليس بضئيل .

قسم النويري موسوعته الى خمسة فنون ، يحتوي كل فن على خمسة ابواب . ضمنها جميع العلوم والفنون التي كانت معروفة الى عصره ، من الكلام حول السماء والارض العلوية ، والارض والمعالم السفلية ، والانسان وما يتعلق به . من اشتقاقه من كلمة الانس ، الى ما يعرض له العوارض في الدنيا ، وما يعيل اليه من شعر وادب ، وما يرفب فيه من حب وهوى ونزهاته الى حياة مترفة قوامها الخمر والنساء ، والسقاة والندمان ، ومجالس الفناء وغيرها . وما روى عنه من حكم وامثال ، وقصص واخبار . كما نقل مما وجدته حول الحيوانات ، الصناعات منها والناطق . وحول النباتات وما يتعلق بها من اصلها ومختلف اسمائها ووصافها . وما اعجب به في التاريخ من تبدلات ووقائع واحداث ، من مبدأ خلق ابينا آدم عليه السلام تتخلله اخبار يوم القيامة ونفخاته ، وخروج ياجوج وماجوج واهواله ، ونزول عيسى عليه السلام وآثاره ، الى اخبار ملوك الاصقاع وملوك الامم والطوائف ، ووقائع العرب في الجاهلية ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اخبار الخلفاء الراشدين ، فالدول التي تلتهم ، من اموية وهبسية وغيرها الى ان انتهى هذا الباب باخبار ولي نعمته ابي المظفر محمد بن قلاوون الصالحي ، سلطان مصر ، وهنا ينتهي الكتاب .

وقد يتساءل المرء لماذا سمي النويري كتابه هذا ب « نهاية الارب في فنون الادب » مع أننا نراه يضم اليه علوم وفنون لا تتعلق بالادب في شيء ، وانما هي علوم وفنون بذاتها لها اصولها وقواعدها . وانه لمن العجيب ان النويري ، مع غزارة علمه ، وهو كعبه

ومع ان النويري « كان بطبيعته ميلا الى العلم والادب ، شغوبا به مكوبا عليه ، فقيها فاضلا ، مؤرخا بارعا ، له مشاركة جيدة في علوم كثيرة » (1) ولكنه عند نقله هذه الكتاب لم يعتمد على نفسه وعلمه ومعرفته فحسب ، بل اظهر نفسه تابعا للعلماء السلف معتمدا على علمهم ، وانقا في كفاءتهم ، ولذا اقتفى آثارهم في هذا المضمار اذ يقول « ولو علمت ان فيه خطأ لقبضت بنائي ، وفضضت طرفي ، ولو خبرت طريق المترض ، لعطفت عنائي وثبيت عطفي ، ولكني تبعت فيه آثار الفضلاء قبلي ، وسلكت منهجهم فوطلت بحبالهم حبابي » (2) .

وبما ان النويري اقتفى آثارهم ، فطبعي ان يتبرا من الاغلاط التي قد تبدو في الكتاب ، فيحمل مسئوليتها هؤلاء العلماء بقوله « فان يكن اعتراض فعلي عليهم لا على العار » (3) ومن هنا يتضح ان النويري لم يرش لنفسه مركزا الا مركز الناقل الامين ، دون ان يستخدم في المسائل رايه او يعمل علمه او يعرض ما ينقله على محك ليعرف به جودة البضاعة من فحشا ، وخاصة في المسائل الدينية والامور المختلف فيها بين العلماء كما سنرى .

والسبب كما اسلفناه ، هو الانحلال الفكري والاضمحلال الذهني الذي طرأ على العلماء في هذا العصر . ثم الفوضى وهدم الاستقرار الذي كان سائدا في المجتمع الاسلامي . فلم يحفزهم عنهم الى الابداع والابتكار الذي يتطلب راحة البال واستقرار الاحوال . ومن ثم اقتصروا على جمع ما وجدوا امامهم من الكتب ، في شتى الفنون والموضوعات . وذلك ما اشار اليه عميد الادب العربي الدكتور طه حسين في احاديثه اذ قال : « بان عصر المماليك يمتاز بأنه عصر دوائر المعارف والموسوعات الادبية ، الفت فيه الكتب التي جمعت ما كان العرب والمسلمون قد اصنعوه من الكتب الكثيرة مثل لسان العرب ( لابن منظور قبل النويري ) و « مسالك الابصار » لفضل الله العمري ، و « صبح الامشى » ( للقلقشندي ) ، الى ان ينتهي هذا الركب الى السيوطي « الذي » هو اكبر مظهر لهذا العصر ( اي العصر المملوكي ) فهو مؤلف كثير التأليف ، كثير

- (1) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لشعري بردي ج 9 صفحة : 299 .
- (2) مقدمة الكتاب .
- (3) مقدمة الكتاب .
- (4) ظهر الاسلام لاحمد امين ، ج : 4 ، صفحة : 21

فى التمييز بين فن وفن ، قد اباح لنفسه ان يطلق اسم الادب على جميع هذه الفنون التى تتفاير تفايرا كليا ؟ فليس من شك ، بان الكتاب يحوي فنونا وعلوما لا تمت الى الادب بصلة كما قد يتبادر الى الدهن لاول وهنة . كما أن النويري لم يجهل ما بين فن وفن من فرق وتفاير ، ولكنه مع ذلك شملها كلها بالادب .

## الادب ومفهومه

ان الادب ، وان دلت مادته منذ اقدم المصور العربية الاسلامية على رياضة النفس بالتعليم والتمرين على ما يستحسن من السيرة والاخلاق ، والتاثر بهذه الرياضة والاعتناق بها واكتساب الاخلاق الكريمة واصطناع السيرة الحميدة ، تطور مفهومه فى القرن الاول الهجري ، ليشمل التعليم ايضا ، « فالمدب » كان يراد به الشخص الذى يتخذ التعليم صناعة ويكسب به رزقه ، « والادب » كل ما يلقيه المدب ( المعلم ) الى تلميذه من شعر وقصص واخبار وانساب ما عدا العلوم الدينية التى تتعلق بالقرءان والحديث النبوي الشريف .

فلما استهل القرن الثاني والثالث للهجرة ، حيث نشأت علوم اللغة العربية ، من صرف ونحو ولغة وبلاغة وغيرها ، اتمش مفهوم الادب ومراده « فاصبح الادب يدل على الكلام الجيد من المنظوم والمنثور ، وما كان يتعل به ويفسر من الشرح والتفد والاخبار والانساب وعلوم العربية » .

فهل لهذا الكلام الجيد من المنظوم والمنثور محك نختبر به جودته ؟ نعم ، فالكلام الجيد ، من النظم والنثر ، هو ذلك الذى « يحدث فى نفس قارئه وسامعه لذة فنية ، سواء اكان هذا الكلام شعرا ونثرا . وليس كل ما ينظم او ينثر يحدث فى نفس القارئ او السامع لذة فنية . ولذلك نضطر الى تقسيم الادب الى معنيين مختلفين : احدهما « الادب بمعناه الخاص » وهو الادب الفنى الذى يجد القارئ او السامع فى نفسه لذة وممتعة لقرائته او سماعه ، فليتلذذ به ويطرب . والثاني « الادب بمعناه العام » وهو الانتاج العقلى الذى يصدر فى الكلام ويكتب فى الكتب . فالتصيدة الرائعة والمقالة البارة والخطبة المؤثرة والقصة المتارة ، كل هذا ادب بالمعنى الخاص ، لاننا نقراه او نسمعه فنجد فيه لذة فنية ، كاللذة التى نجدها حين نسمع لحنه المظنى وتوقيع الموسيقى ، وحين نرى الصورة الجميلة

والتمثال البديع . فهو اذن يتصل بالدوق والحس والشعور ويمس ملكة تقدير الجمال فى النفس . والكتاب فى النحو او فى الطبيعة او فى الرياضة ادب بالمعنى العام لانه كلام يصور ما انتجه العقل الانسانى من انواع المعرفة ، سواء احدث فى النفس اثناء قرائته او سماعه هذه اللذة الفنية ام لم يحدثها .

على ان الادب ، او الاديب ، ليس من شأنه ، ان يبحث فى هذه العلوم من حيث هي ، فيتعمق فيها ، وانما ياخذ منها الشطر الذى يتعلق بالانسان ومحيطه وبيئته ويتناولها بالقدر الذى يحدث المتعة ويشير الحساسية فى نفس القارئ او السامع . فانه ان تعمق فيها ، قد يفقد الحساسية والانتار فى كلامه ، فصيح انتاجه فى الادب بالمعنى العام ولذلك اصاب الجاحظ عندما نادى « بان الادب » هو الاخذ من كل فن بطرف . وهذا الاخذ من كل فن بطرف ، يجب ان يكون بحيث يعبر من معنى من معاني الحياة بأسلوب جميل . فلا بد لعد الشيء ادبا من ركنين : معان تشير العاطفة والفاظ جميلة اديت بها المعنى ... كذلك لا بد من صياغة وتعبير جميل . وذلك هو مفهوم الادب فى عصرنا هذا .

فان القينا النظر على ما جعله النويري فى كتابه من نبدات واقتباسات فى ضوء هذا التعريف للادب ، نجده يفي به تماما بل يزيد ، اذ انه لم يتعمق فى العلوم والفنون عند النقل والاقتباس ، وانما اخذ منها تلك العينات واللقطات التى تتمتع بها النفس ويتاثر بها الحس وتتلذذ بها المشاعر ، وكل ذلك فى صياغة وتعبير جميل مع الفاظ جميلة . وبدا انشاء بشرط « الاخذ من كل فن بطرف » فجاء فيه ، من ناحية ، الكلام الجيد من المنثور والمنظوم ، كما اشرنا اليه فى الصفحات السابقة ، ومن ناحية اخرى زاد عليه ، نجاء بعاموم وفنون تعتبر من الادب بالمعنى العام ، مثل الكلام على النحو والصرف والبلاغة والتاريخ والجغرافية والسيرة والعلوم الطبيعية وغيرها . وكذا فانه شمل معنى الادب بمفهوميه ، المفهوم الخاص منه والعام فى وقت واحد .

فاننا اذا لم نأخذ هذا التعريف بعين الاعتبار ، فقد نضطر الى شطب بعض الكتب الهامة ، وانتاج بعض الفطاحل من القدماء من عداد الادب ، ولو أننا ما زلنا نعتبرها من امهات الكتب الادبية والاممال الرائعة التى خضعت امامها وما تزال تخضع ، هامات الكبار من العلماء والادباء فى كل عصر ومصر . وانى

الافاعي والمقارب والصب والحرياء حتى الفيران والجرذان . ثم ممد الى الطيور البفاث منها والمقلات والتزود ، وما منها الليلية والنهارية وغيرها من مختلف الاقسام والانواع ، التي قيلت فيها الشعر (2) هذا من ناحية وصف الحيوانات . فاذا فرغ من نقل الاشعار الوصفية ، بدأ ينقل من الاشعار تلك التي فيها ذم للحيوانات ، وردت على سبيل الهجو « كطراف في ذم الغيل والحمير والبغال » اتي فيها باشعار تهجو الخيول لوزلها وضعفها وعدم سيرها او عدم تحملها المشاق وغيرها من المعائب التي تهجر من اجلها الخيول والبغال والحمير . (3) وجميع هذه الاشعار من شعر جزل رائع .

فان انتقلنا الى الفن الثالث والرابع والخامس (3) نجدها كلها توشك ان تكون ادبا خالصا . « فقد اشتمل الفن الخامس منها - بنوع خاص على كثير من الامثال وعلى كثير من اشعارهم التي تجري مجرى الامثال وذلك من لدن امرىء القيس الى العصر الذي هاش فيه النويري » (4) وهكذا نجد النويري قد اتى في جميع الابواب والفنون بطائفة من الاشعار ، فى غاية من الروعة والجمال ، مما تضيف اليها من الصبغة الادبية قدرا يطفى على الفن الذي تخضع هذه المادة اليه وتشتمل هذه النبذة عليه . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ان النويري لم يفكر فى وضع كتابه هذا فى الادب بالمعنى المخصوص الذي حدده النقاد والعلماء قبل القرن الثالث الهجري . بل وسع نطاقه وجعله الادب بالمعنى العام الذي يشمل كل شيء بحيث يأخذ من كل فن بطرف وذلك على غرار التأليف الذي كان شائعا فى مصر فى ذلك العصر .

ومهما يكن من شيء ، سواء نظرنا الى الكتاب بمفهوم الادب قديما او بمفهومه الحديث ، فاننا لن نجد الكتاب خارجا من نطاقه الادبي فى أي شيء . وعلى كل حال فانه يتوجب ان يعزب عن البال ان «النهاية موسوعة» قبل كل شيء ، ليس من شأنها ان تقتصر على فن دون فن فلها رسالة اكثر اهمية وخطورة منه ، وهو ان يكون سجلا حافظا لكل شيء على وجه الارض . وبما ان صاحبها جبل على حبه للادب ، اتي بهذه الاشياء كلها

به ( الكامل للمبرد ) و ( البيان والتبيين للجاحظ ) و ( كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ) و ( طبقات الشعراء ) ( لمحمد بن سلام الجمحي ) وغيرها من الانتاج الادبي الخصب الممتع ، فهذه الكتب جميعها ، تشمل الاخبار والانساب والقصص والسيرة والتاريخ والاساطير . ومع هذا فان احدا لا ينكر انها ليست من الكتب الادبية ، وهذا الانتاج ، ليس من الانتاج الادبي . فاما اذا نتردد فى اعتبار كتاب « نهاية الارب » للنويري فى مداد الادب وحيطته ، والحال ان كتاب النويري يحيط بمفهوم الادب بالمعنيين . ؟

وثمة ناحية جديدة بالانتباه اليها وهي ان النويري لم يدون كتابه هذا باعتباره كتابا فى فن خاص او علم يبحث فى ناحية من فن معلوم معين ، وانما حاول جمع ما ادته مطالعته من العلوم والفنون ، فى كتاب له اجزاء متسلسلة متشابهة ، يجعلها مرجعا لكل هذه الفنون . ثم ان معظم الابواب والاقسام التي يشملها الكتاب يضمن الادب بالمعنى المفهوم منه فى هذا العصر . اما الابواب الباقية منه ، فانها ايضا لا تخلو من نبذات الادب خلوا تماما . فخذ مثلا « باب السماء » تجد فيه من الاشعار التي قالتها الشعراء حول السماء والنجوم والفلك وكلها فى منتهى الروعة والجمال ، تترنح لها المشاعر والاحاسيس وتطرب لها القلوب . مما يجعل من الباب جزءا من الادب له قيمته ووزنه من هذه الناحية . وكذلك حين ينقل لنا صفحات الحيوانات على مختلف انواعها (1) فانه ياتي فى هذا الصدد ، بنخبة مختارة من الاشعار قالتها الشعراء حول هذه الحيوانات ، مثل قول بعض الشعراء على لسان اعرابي يصف الاسد يقول :

مبوس شمس مصلخد مكابر  
جري على الاقران للقرن قاهر

لتعقبه اقوال من الشعراء الاخرين ، مثل ابي الطيب المتنبي وعبد الجبار بن حمديس وبشر بن هوانة وكشاجم وغيره ، وكلها مما تعد من احسن ما يقال فى الموضوع . وهكذا فى سائر الحيوانات : من كلب ونمر وفهد وحمار وبغال وابل وفيل . وما تدب منها مثل

( 1 ) نهاية الارب ، ج : 10 ، صفحة 65 .

( 2 ) نهاية ، ج : 11 .

( 3 ) نفس المرجع .

( 4 ) الحركة الفكرية فى المصريين الايوبي والملوكي صفحة 320 .

باطار من الادب بحيث لا نتمدى الحقيقة اذا ما قلنا ان كتابه موسوعة ادبية .

واننا في قولنا هذا، انما نتبع آثار من سبقنا من العلماء الكبار ممن امقبوه . فلقد وصفوا كتابه هذا بأنه عمل ادبي ، عول عليه الادباء . فيقول ابن فضل الله العمري صاحب « مسالك الابصار في ممالك الامصار » المتوفى سنة 748 هـ « كان الباعث عليها ( أى نقل الكتب القديمة وجمع الفنون في سجل حافل ) كما قلنا هو جمع المعارف الانسانية كلها في اطار من الادب مرة كما في نهاية الارب للنويري ، ومن الجغرافيا كما في كتاب الابصار ، ومن الكتابة الديوانية مرة ثلاثة كما في كتاب صبح الاعشى » (1) .

ويقول جمال الدين يوسف بن نصري بردي الانابكي في كتابه « النجوم الزاهرة في اخبار ملوك مصر والقاهرة » الجزء التاسع ما نصه : « ... وكان يكتب في كل يوم ثلاث كراريس . وتاريخه سماه « منتهى الارب في عام الادب » في ثلاثين مجلدا ، رايته وانتقته ونقلت منه بعض شىء في هذا التاريخ وغيره . وفي عصرنا هذا يقول محمود رزق سليم في كتابه « عصر سلاطين المماليك » « ... ويعتبر ( أى نهاية الارب ) احد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة وهو عمدة بين الكتب كذلك ، اعتمد عليه كثير من المؤرخين والادباء قديما وحديثا . (2)

تلك كلمات اوردها عن المؤلف ، وعن الاوضاع التي الف فيها كتابه ، كما قلنا شيئا عن الكتاب نفسه : كل ذلك بشىء من الايجاز كثير . والان نحاول التاء نظرة في شىء من التفصيل ، على ما اتخذه النويري من منهج لوضع كتابه هذا ، الذي اصبح في العصر الحديث ، ولم يزل منذ الزمن القديم ، من اهم المراجع لما كتبه الاوائل في شتى الفنون والعلوم . والذي له الفضل الاكبر في حفظ ما تركه لنا اسلافنا من تراث علمي عظيم .

يستهل النويري الابواب والفنون عادة ، بمقدمة يكتبها هو بنفسه أحيانا ، او ينقلها من الكتاب الذي يورد منه ماعوماته حول هذا الباب او الفن فيذكر في المقدمة ما حواه هذا الباب او الفن من موضوع ، وهذا

الموضوع من اقسام وابواب ، وما لكل قسم في مادة خاصة ولكل فصل من علم معين .

ولناخذ على سبيل المثال مقدمته حول « الفن الاول » في السماء والارض والعلوية والارض والمعالم السفائية » فقد كتب هذه المقدمة بنفسه يشرح فيها ما يحتوي هذا الفن من موضوعات وفصول واقسام فيقول :

« قد اوردت في هذا الفن نبذة من وصف السماء ، التي هي قبلة الدماء وباب الرجاء ، والكواكب السيارات ، ذوات السن والسنا ، والملائكة الذين هم اولو اجنحة ، مشى وثلاث ورباع ، والسحاب التي تجود بوبنها ، فتعدل في قسمها بين السهل والباق ، والرعد الذي ان دنت يحثها ، والريح الذي ان اجتمعت بيثها ، والبرق الذي يشبه بيتان الحاسب والكف الخضيب والثلج الذي خلع على الارض رداء المشيب ، وقوس السحاب الذي تنكبه الجو فانفرغ عليه مصبغات الحل ، ورمى الجذب بينادق البرد فتباشرت بالخصب اهل الحل ، والذيران وعبادها ومددها ، والسنة وفصولها ، والاعبياد والواسم ومنخذها ، والارض والجبال والبراري والرمال ، والجزائر والبحار والمياه وامدادها ومددها ، والليالي والايام والشهور والاعوام ، والعيون والانهار ، وطبائع البلاد واخلاق من سكنها من العباد ، والمباني والمعامل والقصور والمنازل ... »

... وجعلته خمسة اقسام يستدل بها عليه ويتوصل من ابوابها اليه » (3) .

فلاحظ ان هذه المقدمة تحتوي على جميع الابواب والفصول والمواد التي سيأتي بها في هذا الفن . وذلك لكي يسهل على القارئ معرفة محتوياته بالقاء نظرة خاطفة على المقدمة . فالكلمات المكتوبة بالخط الكثيف تبدي بان هذا الفن تناول في بحث هذه المواد في باب منفرد وبتفصيل واف .

فلناخذ « وصف السماء » مثلا . نجد ان النويري بدأه بفصل يتعلق « في مبدا خلق السماء » وبرهن عليه بآية قرآنية تقول « انتم اشد خلقا ام السماء ، بناها رفع سمكها فسواها وأفضش ليلها واخرج ضحاها » ، ثم ذكر بان السماء تذكر وتؤنث

- 1 ( مسالك الابصار في ممالك الامصار مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 3003 .
- 2 ( الجزء التاسع ، صفحة : 299 .
- 3 ( نهاية ، ج : 1 ، صفحة : 67 .

أيضا . فشاهد التذكير قوله عز وجل « السماء  
منفطر به » ، وقول الشاعر :

فلو رفع السماء اليه قويا  
لحقنا بالسماء مع السحاب

وشاهد التائيث قوله تبارك وتعالى « اذا السماء  
انفطرت » . وقول الشاعر :

يا رب ، رب الناس في سمائه .

ثم أتى بأسماء مختلفة للسماء اطلقتها العرب  
عليها (1) ثم تحدث عن سبب حدوثها . ليبحث في باب  
ثان من هيئتها ، وأسهب فيه اسهابا حول الموضوع  
من الاستدلال بالقرءان الكريم الى الاحاديث النبوية .  
ثم أتى بما ضربت من الامثال حول السماء وما أنشد  
الشعراء من الأشعار في وصفها والتشبيه بها .  
ومعظمهم اسلاميون . وذلك لان الجاهليين يندر  
عندهم وصف السماء والتشبيه الرائع بها في كلامهم .  
ولقد ساق الامثلة على التشبيه بالسماء من اقوال  
مختلف الشعراء منهم عبد الله بن المعتز حيث يقول :

كان سماؤنا لما تجلست

خلال نجومها عند الصباح

رياض ينفج خضل نداه

تفتح بينه نور الاقحاح

وفي النجوم قول ظافر الحداد :

كان نجوم الليل لما تبلجت

توقد جمر في خلال رماد

حكى فوق ممتد المجرة شكلها

فواقع تطفو فوق لجة وادي

ومما قيل في الفلك ، قول أبي الملا المعري :

يا ليت شمري ، وهل ليت بنافمه

ما ذا وراك ، أو ما انت يا فلك

وأحسن ما أورد في هذا الصدد قول أبي عبادة  
البحري :

أناة أيها الفلك المدار

أنهب ما تصرف أم خيار

ستبلى مثل ما نبلى وتفننى  
كما تفننى ويؤخذ منك نثار

وبعد الاستدلال بالأشعار ، يبدأ الباب الاخر ،  
وينهج فيه نفس هذا المنهج حتى يأتي عليه .

وقد يأتي أحيانا بـ « ذكر الشيء على طريق الدم »  
مثلا فصله الذي يقول فيه « ذكر شيء مما قيل في  
الشمس على طريق الدم » ، وأورد فيه بعض الأشعار  
للشعراء يجهنون الشمس أو يذكرونها بطريق الدم  
كقول ابن سناء الملك :

لا كانت الشمس ، فكم أصدات

صفحة خد كالحمام الصقيل

أو « ذكر القمر على طريق الدم » كقول ابن الرومي:

رب عرض منزله عن قبسح

منسته معرضات الهجاء (الآبيات)

وهكذا يأتي بالأشعار لفحول الشعراء يهجون بها  
الشيء المعين أو يميوننه بأقوالهم .

ومن المقدمات التي كتبها النويري بنفسه على  
هذا النحو ، مقدمته على الانساب ، حيث بدأها قائلا  
« يقول الله سبحانه وتعالى « يا أيها الناس أنا خلقناكم  
من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ... »  
ومعرفة انساب الأمم مما افتخرت به العرب على المعجم  
لأنها احتزرت على معرفة نسبها وتمسكت بهتيس  
حسبها وعرفت جماهير قومها وشعوبها ... الخ (2)

فهذه المقدمة أوضح فيها النويري بإيجاز ، ما  
يحتوي عليه هذا الباب من الموضوعات والمسواد  
والفصول . ثم سار نفس المنهج الذي سبق ذكره في  
نقل ما ضمن هذا الباب .

وأحيانا يضيف النويري في مقدماته الى الآيات  
القرآنية ، بعض الاحاديث أيضا التي تطابق الموضوع .  
مثلا مقدمته على « القسم الثاني من الفن الثاني - في  
الامثال المشهورة » . فبعد أن بين الموضوعات التي  
أوردها في هذا القسم يقول في الباب الاول - ( في  
الامثال ) ضرب الله عز وجل الامثال في كتابه العزيز  
في آي كثيرة فقال تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل  
فاستمعوا له » وتكرر ذكر الامثال . ثم يورد حديثا

(1) ومنها : الجرباء والخلفاء وبرقع والرقيع وغيرها

(2) نهاية الأرب ، ج : 2 ، صفحة : 276 .

يناسب هذا الباب حيث يقول : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب الله صراطا مستقيما ، وعلى جنبي الصراط أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى رأس الصراط داع يقول أدخلوا الصراط ولا تخرجوا » (1) ثم فسر الكلمات التي وردت في هذا الحديث . وبعد ذلك أخذ في نقله عن الميداني من الأقوال حول الامثال وبيان ذلك . وكتابه المنقول منه الأقوال هو « مجمع الامثال » .

والمجيب أن النويري مع جلاله قدره وعلو كعبه في العلوم الدينية أيضا فقد وصفه معاصروه بأنه فقيه بارع ، لا يتحاشى الاستدلال بالأحاديث الموضوعة أيضا . وائني بعد الدراسة والاستقصاء للأحاديث التي أوردها في كتابه بلغت الى هذه النتيجة وهي انه انما يأتي بمثل هذه الاحاديث الموضوعة او الضيقة ويستدل بها ، في امكان ومسائل لا تتصل بأى ركن من أركان الاسلام ، وذلك ان العلماء قد اجازوا الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والضعيفة ، طالما لم تكن تنافي نصا قطعيا عن القرآن الكريم او مسالة متفقا عليها باجماع الامة ، وبخاصة في المسائل التي لا صلة لها بالدين ، مثل الادب ومثله من العلوم الاخرى .

وقديما أخذ على الامام الغزالي وبعض العلماء الاخرين الاستدلال بالأحاديث الموضوعة والضعيفة في كتبهم . وقد اجيب عنهم ، انهم انما جاءوا بمثل هذه الاحاديث في كتبهم في مواضع ومسائل وامور لا تمس بالدين والمعتقدات الاسلامية المتفق عليها بسوء ، ابطلا او الفاء . بل جاءوا بمثل هذه الاحاديث في مواضع الذكر والعظمة والمبرة ، لكي يدعموا اقوالهم بقول النبي ولو كان ضعيفا . فلم ير العلماء بأسا في الاستدلال بمثل هذه الاحاديث في موضع النصيحة والعظة والتذكير ، فهي بمثابة « الحكمة ضالة المؤمن ، فابنما وجدها فهو احق بالانتفاع منها والاستفادة بها .



وبعد المقدمات التي يستهل بها النويري الفنون والفصول يبدأ بنقل ما يطيب له من الكتب الهامة . وطريقته فيه انه يطالع الكتاب بدقة وتدبر وتفكر ، ثم يختار المينات والنبدات التي يفضلها على غيرها حسب الخطة التي قد اعددها من قبل ، ثم ينقلها في كتابه .

( 1 ) نهاية الارب ، ج : 3 ، صفحة : 2

وطريقته في النقل انه احيانا يذكر المرجع او الكتاب الذي نقل عنه العينة او العبارة او المسألة . واكثر الاحيان لا يذكره . كما نجد ذكر المرجع بصراحة تامة حينما ، ويشير اليه اشارة خفيفة حينما آخر . وهنا نقف وقفة قصيرة ، لنذكر نبذة من الفصول التي اخدها من مختلف الكتب ولكنه لم يذكرها على الاطلاق ، لا اشارة ولا صراحة .

قال النويري : « واما ما ورد في ذم الشيب » قال قيس بن عاصم رحمة الله عليه : الشيب خطام المنية . وقال غيره : « الشيب نذير الموت »

وقال : « قد ورد في بعض التفاسير في قوله تبارك وتعالى « وجاءكم نذير » قيل هو الشيب .

الى قول عبد الملك بن مروان : شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن .

أورد النويري هذه المقتطفات من المقدم الفريد لابن عبد ربه ( الجزء الثاني ) ولم يذكر هذا المرجع على الاطلاق .

وهناك امثلة كثيرة نقل النويري الفصول والابواب من المقدم الفريد باجزائه دون ان يذكر المرجع او يشير اليه .

ومن امثلة عدم ذكر المرجع ما نقله النويري في « فصل في الوزارة واصحاب الملك » في (نهاية الارب ج 6 ص 92) فآثره منقول من كتاب «قوانين الوزارة» للماوردي . اما « وصايا اصحاب السلطان » في نفس الجزء السابق ، فانها مأخوذة من « الادب الكبير » لابن المقفع .

وكذلك فصل « في وصف امضاء الانسان » وفصل « ظهور الشيب » فانهما منقول لفظا وحرفا من « فقه اللغة للشعالي » . وكذلك الفصول « في أسماء شعير الانسان من فوق لتحت » و « مما قيل في الحواجب » « وما قيل في العيون ووصفها » و « فصل ترتيب الصمم » وغيرها من فصول كثيرة ، منقولة من كتاب فقه اللغة للشعالي دون الاشارة اليه .

وقد قال « الوزير ابو المغيرة ابن حزم عندما عرضت عليه رسالة بديع الزمان في الغلام الذي خطب اليه وده بعد ان علو قال :



« ورد كتابك ينشد ضالة ودنا ويرقع خلق  
مهدنا ويطلب ما افاته جريرتك اينا وذهبت به جنابتك  
علينا ايام فضك ناصر ، وبدرك زاهر لا نجد رسولا  
اليك ، غير لحظة تخرق حجاب الدموع ... الخ »  
( نهاية ج 2 ص 87 ) .

نقل النويري هذه الرسالة بشماها ضمن فصل  
« مما وصف به العذار على طريق الدم » في الفن الثاني  
- الباب الاول . ولكنه لم يذكر او يشر الى انه نقلها  
من كتاب « الدخيرة في محاسن اهل الجزيرة » لابن  
بسام ، الجزء الاول صفحة 117 (1) .

ثم ان النويري اورد الكتاب المشهور الذي كتبه  
سيدنا علي رضي الله عنه الى مالك بن الحارث الاشر  
عندما ولاه مصر ، والذي يتضمن نصائح واصولا غالية  
الشم ، ( نهاية ج 6 ص 19 ) نقتنه من كتاب « نهج  
البلافة » للسيد الشريف الرضي (الجزء الثاني ص 79)  
دون ان يشير الى هذا الكتاب



وهناك فصول وابواب ، يذكر النويري مراجعها .  
وذكرها في مثل هذه الابواب ينحصر في طريقتين :

احدهما : ان يكتفي بذكر اسم المؤلف دون ان  
يذكر كتابه الذي نقل منه العين . ومثاله حين يقول :  
« وروى ابو الفرج عن احمد بن عبيد الله بن همار قال :  
كنا عند ابي العباس المردي يوما ، وعنده فتى من ولد ابي  
البحثري وهب بن امرد حسن الوجه » ثم الحكاية التي  
اوردتها في ص 229 من النهاية ج 4 . اورد هذه  
الحكاية نقلا عن الاغانى ، ولكنه لم يذكر اسم الكتاب  
بل اكتفى بذكر المؤلف .

وقد نقل النويري اشياء كثيرة من كتاب الاغانى لابي  
الفرج الاصفهاني وبخاصة حياة واخبار الكرام ( نهاية  
ج 3 ص 211 ) واخبار المغنيين الذين نقلوا الفناء من  
الفارسية الى العربية ، واخبار وحياء اشهر المغنيين ،  
وحكايات القيان واول من هنى من النساء ، وحياء  
اولاد الخلفاء ومن كان منهم يجيد او يميل الى الفناء

وقرض الشعر مثل ابراهيم المهدي وعلية بنت المهدي  
وابو ميسى وابن المعتز وعائشة بنت طلحة وغيرهم .

على ان النويري لا ينقل من الاغانى كل ما ورد  
فيه ، بل يقتصر على الذي يطيب له ويصح عنده ، وما  
يطابق خطه من الموضوع . اما باقي المينات فانه  
يحذفها عن وهي وادراك وبصيرة وقصد .

ومن امثله اكتفاء النويري على ذكر اسم واضع  
الكتاب دون الكتاب نفسه ، ما نقتنه عن ابن المتفح  
حيث قال « وقال ابن المتفح « عود نفسك الصبر على  
من خالفك من ذوي النصيحة والتجرع لمرارة قولهم  
وعذلهم ... الخ »

ثم ان النويري لا يهتم احيانا بذكر الاسم الكامل  
للمؤلف او الجامع ، فيكتفي بذكره اما ناقصا او باختصار  
كبير يصعب على الباحث معرفة اسمه الكامل ،  
وخاصة اذا كان للاسم المذكور لقب وكنية يعرف بها .

ونلاحظ ، ونحن نبحث في الكتاب ، ان النويري ،  
الى جانب اقتصاره على ذكر اسم المصنف ، او كنيته  
او لقبه باختصار شديد او اهمال ذكر اسم المؤلف  
بماتا او الكتب التي ينقل منها ، ان هناك شواهد تدل  
على ان النويري يعترف بصدر رحب وبصراحة تامة ،  
بان نقل هذا الفصل او الباب من كتاب بسميه ، ولمصنف  
ينتمه نعتا واضحا . وذلك عند نقله من الميداني مثلا ،  
حيث يقول « ومن امثال العرب ما نقله من كتاب  
« الامثال » للميداني .

وكذلك صرح بنقله من كتاب ابي البركات الجواني  
النسابة ، في الباب الرابع ، في الانساب . ويعترف  
بنقله منه قائلا « وقد وفقت على المقدمة التي وضعها  
الشريف ابو البركات الجواني ، فرفعت له علما  
ونصبت له الى المعالي سلما » . ويبدو انه قرأ معظم  
الكتب الموجودة مصرلد في هذا الفن ، ثم بعد ذلك  
اختار كتاب الجواني ، لانه « اتقن اصولها وحرر  
فصولها واورد فيها من الانساب ما ينتفع به اللبيب  
ويستغنى بوجوده الكاتب الارب » واكثر منه مراحة  
قوله « على الشريف الجواني العمدة فيما اورده  
والعمدة فيما نقلته ، فمن تأليفه نقلت وعلى مقالته  
اعتمدت » (2) ثم بدأ ينقل منه بقوله « قال السيد

( 1 ) الدخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، لابن بسام - مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم 2348 - ادب  
( 2 ) نهاية الارب ج 2 صفحة 276 .

الشريف نقيب النقباء ابو البركات بن اسعد علي بن  
معمر الحسيني الجواني النسابة رحمة الله : ان جميع  
ما بنت عليه العرب في نسبها اركانها ، وانست عليه  
بنيانها عشر طبقات « . الا ان النويري فيس ترتيب  
الجواني ، « وسرد النسب من اصله اي آدم عليه  
السلام » فالجواني بدأه بمحمد صلى الله عليه وسلم .

وبصفته الناقل المحض ، يعمد النويري الى  
بعض النبدات من كتاب انتخابه لموضوعه ، فينقلها  
لفظا وحرفا دون التصرف فيها بكلمية . ومثال ذلك  
ما اورده من كتاب « ادب الكتاب » لابي بكر محمد بن  
يحيى الصولي ( النهاية الجزء السابع صفحة 14 ) في  
فصل « وما قيل في حسن الخط وجودة الكتابة ومدح  
الكتاب الكتاب » حيث يقول « سئل بعض الكتاب من  
الخط متى يستحق ان يوصف بالجوادة ؟ قال : « اذا  
امتدلت اقسامه وطالت الفه ولامه واستقامت  
سطوره ... » فلقد وردت هذه الكلمات بعينها في  
كتاب « ادب الكتاب » للصولي ( صفحة 50 ) لفظا  
وحرفا .

ومن امثله « رسالة التقيفة » التي بحث بها  
ابو بكر الصديق الى علي رضي الله عنه عند توليته  
الخلافة . نقل النويري هذه الرسالة من « رسائل ابي  
حيان التوحيدي » . ولقد اتى بها لفظا وحرفا دون  
ان يعلق عليها بحرف ، مع العلم ان هذه الرسالة  
مشكوك فيها ومطمعون عليها . (1)

وانما يعمل النويري كل هذا حسب خطة  
مرسومة محكمة التنسيق يضمها بمد فكر وروية  
وتدبر . فلقد رامى في تأليفه هذا ، ان يضع الابواب  
والفصول على ترتيب حسن منتظم ، حيث يسهل  
تناوله والاستفادة منه . فلم يكن يجمع كل رطب  
ويابس قراه او وصلت اليه يداه ، دون ان يفكر فيه  
من ناحية جودته والاستفادة منه والافادة وتقسيم  
فنه . حتى لا يدخل شيء في شيء لا يوافقه ، او فن  
في فن يغايره ، كما فعله الجاحظ في معظم كتبه . بل  
كان منهج النويري فيه ، منهجا يسهل منهج العصر  
الحديث في توظيف التأليف وتنسيقه . فكان ينتخب  
فنا خاصا من الفنون ليطالعه ، فيجمع الكتب المتعلقة  
به اولا ، ثم يطالها مطالعة دقيقة وافية ، ومد ذلك

يضع لهذا الباب او الفن خطة مرسومة واضحة دقيقة .  
يثبت فيها ترتيب كتابته ، وكيفية نقله من هذا الكتاب ،  
حيث ياتي بكل نبذة في محلها ويثبتها حيث يقتضي  
المقام الباطن . فيبدأ نقله مثلا من كتاب ، ويستمر  
فيه الى كلام او بحث خاص يحب نقله ، ثم يترك هذا  
الكتاب ليواصل نقله من كتاب آخر انتخب فصلا منه  
لنقله في كتابه وفي محل خاص منه . وهكذا يمد ما  
ينتهي من نقله من هذا الكتاب الى البحث او الفصل  
الذي يريد ، ينقل الى كتاب ثالث ، ليستأنف نقله  
منه الى ان ينتهي الباب من كتابه .

وخير مثال لطريقته هذه ، ما اورده في القسم  
الخامس « في الملك وما يشترط فيه وما يحتاج اليه  
وما يجب له على الرمية ، وما يجب للرمية عليه ،  
ويتصل به ذكر الوزراء وقادة الجيوش واوصاف  
السلاح وولاية المناصب الدينية ، وفيه اربعة عشر  
بابا .

ورمة ظاهرة اخرى ، جديرة بالذكر ، وهي ان  
النويري للغرض المنشود من وضع خطته يتصرف  
أحيانا في النقل أيضا . وذلك ما نلاحظه عند نقله  
شروط الامامة من الاحكام السلطانية للماوردي . اذ ان  
الماوردي ذكر شروط الامامة بسبعة شروط ، اما  
النويري فقد جعلها ثمانية بجمل الذكورية والبلوغ ،  
صفتين منفردتين ، بحجة قول الله عز وجل وقول  
النبي صلى الله عليه وسلم .

ثم انه لاجل هذه الخطة المرسومة ، يعمد فيغير  
أحيانا ترتيب الكتاب المنقول منه ، عند ما ينقله في  
كتابه ، لكي ياتي حسب ما يشاء منه في خطته .  
ويطابق الاصول التي وضعها لنقله . وخير مثال لهذه  
الظاهرة ما نجده عند نقله من كتاب « اصول الاحساب  
وفصول الانساب » للجواني النسابة فنراه اورد كل  
شيء في قسم الانساب من هذا الكتاب ، الا انه فيس  
ترتيبه حتى جملة ظهرا لبطن .

فقد سرد الجواني النسب من ابينا آدم عليه  
السلام وانتهى به الى نبينا صلى الله عليه وسلم ،  
فنسب بني هاشم الذي اورده الجواني في اول كتابه ،  
نقله النويري في آخر كتابه هذا الباب . (2)

(1) جمع الدكتور ابراهيم الكيلاني هذه الرسائل ونشرها في دمشق عام 1951 .  
(2) اصول الاحساب صفحة 14 ونهاية ج 2 صفحة 360 .

ولا فعل . قال الفراء يقال : هونت تموينا وهي هوان بينة التموين والخمرة من الاختمار كالجلسة من الجلوس ، اسم للهيئة والحال ، اي انها لا تحتاج الى تعاميم الاختمار ، يضرب « للرجل المجرب » (3) .

اما النويري فقد اورد المثل وحذف ما قيل حوله من الاختلاف في كلمة الموان وتشرح معنى الاختمار ، لانه ليس يكتب كتابا في علم النحو او اللغة او المعاني ، وانما ياتي بما يستفاد به من هذا المثل وهو مدلوله فاكتفى بنقل مضرب المثل وموقمه (4) .

وكذلك يحذف النويري بعض الاحيان ، ما يورده الميداني من تفسيرات لغوية لبعض الكلمات الواردة في المثل .

ثم ان النويري عند نقله لامثال من الميداني لا يهتم بالقصص التي اوردتها حول الامثال . والسبب فيه هو ان النويري يقصد بنقل هذه الامثال ابرز معالم الادب وخفاياه والامثال احدى دعائمه . ولذلك نراه يقتصر على الحد ، سواء من القصة او شرح الكلمة . يرى فيه ان المثل اصبح واضحا بحيث لا يصعب فهمه . فان رأى بان المثل غامض لا يمكن فهمه بدون اتيان القصة المشهورة حوله ، فانه ياتي بالقصة تاركا الحشو والزوائد ، مقتصرًا على لبها وخلاصتها .

وكذلك اختصر النويري القصص والحكايات التي اوردتها صاحب الاغانى منذ الكلام عن المغنيين والشعراء واصحاب الظرف الفكاهة مثل ابن سريج ومعيد وابن محرز وغيرهم . فقد اتى في كتابه ، من هذه القصص والحكايات ، تلك التي تفيد غرضه وتسنخ نهجه وتلائم خطته ، من غير الانغماس في تطويل مممل ، والاخذ من الميئات والاقبياسات التي قد تكون موضع الشك والشبهة تاريخيا . فقد تكون لا تعتمد على برهان تاريخي او حجة لا تقبل الشك والريبة (5) .

وهناك امثلة يحذف النويري فيها القصة او الحديث كله ، ويكتفي بذكر موقع استعمال المثل

وفي الكتاب امثلة كثيرة تدل على ان النويري يغير ترتيب النصف ، وينقل نضه بترتيب وخطه وضعها هو . ومنها انه ما نقل من كتاب « دم الهوى » لابن الجوزي (1) حوالي مشرين بابا في « باب الحب والهوى والمشق والفزل وغيره » الا انه قدم بابا واخر آخر ، حسب رغبته وخطته .

وكان النويري الى جانب اختصاره للابواب والفصول من الكتب يختصر المطولة . فيورد منها ما يظنه انفع واكثر فائدة . فمن الكتب التي اختصرها كتاب « مجمع الامثال » للميداني بجزئيه .

فقد اودع الميداني كتابه «مجمع الامثال» حوالي ستة آلاف مثل ونيف (2) وطريقته في نقل مثل ، هو انه ياتي بالمثل ، ثم يسرد سبب اطلاق هذا المثل وقصته ، والشخصيات المتعلقة بها ، ومختلف الروايات والافاويل التي يتناقلها المؤرخون والادباء حوله . ثم يورد اقوال النحاة والمتكلمين في اللغة حول الكلمة ان كان هناك اختلاف في نطقها ، او تصريفها او فصاحتها ، وكل ما يتعلق من الناحية النحوية والصرفية واللغوية ، ويسهب فيه اسهابا ملحوظا .

اما النويري فانه عادة ينتخب من الامثال ، السائرة او كثيرة الاستعمال في الادب او الكتب المتداولة ، او الامثال التي وردت بكثرة في الاشعار ، او التي خفيفة على اللسان غزيرة في المعنى ، دقيقة في التعبير ، ثم يسرد المعنى الذي يستعمل فيه هذا المثل ، ولا يهتم بتحقيق الميداني فيما اورده من الكلام حول تصريف الكلمة وصحتها من الناحية اللغوية والادبية ، ومختلف الاقوال في هذا الصدد . وان اخذ منها شيئا ، فذلك التي لا مندوحة له منها ، لفهم المثل وفهم مدلوله .

فلتر مثلا « ان الموان لا تعلم الخمرة » فلقد قال الميداني ، وهو يصف مختلف الاقوال حول كلمة « الموان » قال الكسائي : لم نسمع في الموان بمصدر

- (1) كتاب « دم الهوى » لابن جوزي ( ابو الفرج ) مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم 286 - ادب تيمور ( في مجلدين ) .
- (2) مقدمة مجمع الامثال صفحة 5 .
- (3) مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 16 .
- (4) نهاية ج 3 صفحة 9 .
- (5) راجع الاغانى للاصفهاني ، الجزء الاول صفحة 101 فما بعد . ونهاية الارب الجزء الثاني صفحة 225 فما بعد ، لاخبار المغنيين وغيرهم .

ومعناه فقط . وذلك عند نقله المثل « عند جهينة الخبير اليقين » . فبعد أن أورد الميداني هذا المثل ، نقل قصة طريفة ، رواية عن هشام بن الكلبي ، يذكر فيها بأن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب ، ورجلا من قبيلة جهينة يسمى الاخنس بن كعب خرجا يريدان قطع الطريق فسلبا رجلا لقياه في الطريق . فقال الرجل : ان تركتاني وشاني دلتكما على رجل تحت شجرة معه مغنم كثير فخلبا سبيله . واتيا الرجل وهو من لحم . وكانت شجرة يستظل بها وامامه طعامه وشرايه ، فحياهما واشركهما طعاما . فأكلا وشربا . ثم ان الاخنس ذهب لقتاء بعض حاجاته . فلما عاد رأى حصين قد قتل النخمي واستولى على ماله . فجلسا يشربان وكل منهما يخفي في نفسه ربيبة لصاحبه . وبعد قليل قال الحصين للاخنس هل تعرف زجر الطير ؟ فقال الاخنس ماذا ترى ؟ قال ارى مقابا كاسرا ، وأشار اليه ومد عنقه الى الجهة التي كان المقاب فيها . فافتنم الاخنس هذه الفرصة وضرب عنقه بفتة . ثم انطلق هائدا الى بيته فاذا بامرأة حصين تفتقه ، فقال لها ، انه قتلها ولكنها لم تصدقه وقالت : « كذبت ما مثلك يقتل مثله اما لو لم يكن الحي خلوا ما تكلمت بهذا » . فمضى الاخنس واتى قبيلته وصالحها وكان غاضبا منهم ، ثم عاد الى امرأة حصين وقبيلتها ، وانشد حيث تسمع القبيلة :

وكم من ضيفم ورد هموس  
أبي شبيلين مسكنه الميرين

الى ان قال :

تسائل عن حصين كل ركب

وعند جهينة الخبير اليقين

قال الاصمعي وابن الأعرابي : هو جفينة بالغاء ، وكان عنده خبر رجل مقتول وفيه يقول الشاعر :

تسائل من أيبها كل ركب

وعند جفينة الخبير اليقين

قال : فسألوا جفينة فأخبرهم خبر القتييل . وقال بعضهم هو جفينة بالحاء المهملة ، يضرب في معرفة الشيء حقيقة (1) .

هذه هي القصة ، ومختلف الأقوال ، أوردها الميداني في كتابه حول المثل ، سردنا ها باختصار . الا ان التويري لم يذكر من هذه التفاصيل شيئا . بل

اكتفى بإتيان معنى المثل وموقع ضربه . فقال : « يضرب في معرفة الشيء حقيقة » (2) .

والواقع ان التويري كان يتحاشى إتيان الرطب واليابس في كتابه ، والروايات التي لا يتأكد من صحتها ، أو التي هي منحولة موضوعة ، أو تقبل الشك والشبهة حتى لا يلقي بنفسه في اطناب ممل وأن لا يكون موضع النقد بجمع كل ما وصلت اليه يده دون أعمال الفكر والروية ، واختبار النبدات على محك علمي ، من شأنه أن يميز الصدق من الكذب والفش والوضع . ثم ليأتي بالقصص والنبدات ، التي لها علاقة بالأدب بصورة مباشرة .

ومن الكتب التي اختصرها التويري على هذا اتنحو ، « فقه اللغة للشعالي » و الاحكام السلطانية للمواردي « و « قوانين الوزارة للمواردي » ، وكتاب حسن التوسل الى صناعة التوسل ، لمحمود بن سليمان الحلبي الحنفي و « ذم الهوى لابن جوزي » و « فصول الاحساب للجواني » و « كتاب المنهاج لتعليمي الجرجاني » وغيرها (3) .



وفضلا عما يفعم به كتابه « نهاية الأرب » من الموضوعات الطريفة ، والمواد الممتعة الشيقة ، التي تفيض علما وادبا وفنا ، مما استقاها من مواردها الاصيلية ، فقد أودع كتابه هذا ، من اجمل الاشعار واهلها ، مما فاضت بها قرائح الشعراء ، حسن السبك وطلاوته ، وفزارة المعاني وعمقها ، ودقة البيان وحلاوته ورسانة التركيب واحكامه ، مما تتلذذ بها الطبايع ، وتطرب لها القلوب وتهتز لها المشاعر . كما تدل على ما أوتي التويري من حفظ وافر في حسن الاختيار ، وعلو كعبه في الذوق الشعاري اللطيف ، ومعرفته الواسعة بدواوين الشعراء والكتب ، واستخلاص الدرر الغرر من هذا البحر الزاخر . ثم تركيبها في مواقعها بحيث انتظمت في سلك ، تتلالا حسنا وجمالا . فلا يمل القارئ ، وهو يمضي بادق فن واصعب في كتابه ، بل ينسى ما كابده من جهد وتعب اثناء قرائته لمثل هذه الفنون الدقيقة ، المسيرة الفهم والادراك عندما يبلغ به المطاف الى هذا الجزء

(1) مجمع الامثال للميداني ج 1 صفحة 391 .

(2) نهاية ج 3 صفحة 39 .

(3) الكتب الاخيرة الثلاث مخطوطات بدار الكتب المصرية ، لم تطبع بعد .

من الكتاب الذي ضمنه النويري الأشعار ، المتعلقة بهذا الفن ، ومنها كان دقيقاً أو صحيحاً . ويجد به متعة وبهجة فلما تضاهيها متعة وبهجة . كأنه وصل أرضاً ناعماً سهلة نضرة ، بمد طوال الشقة ، قضاها في أرض وهرة المسالك .

ومنهج النويري في نقل الأشعار هو ، أنه يأتي بباب أو فصل من قسم خاص مثلاً ، فينقل في هذا الباب أو الفصل ما طاب له أن ينقل فيه من الكلام حول الموضوع الذي يبحث فيه الباب ، لكبار الأدباء الناثرين والعلماء ، فلما ينتهي من نقله يحاول أن يطبق على ما كتبه من أقوال الشعراء وكلامهم ، فيخوض في دواوين الشعراء والكتب الأدبية الأخرى لكي يلتقط منها جميع الأشعار التي تطابق ما أورده من النثر في الفصل السابق فيثبتها في محلها اللائق ، لكي لا يجد القارئ في نفسه كلالاً وتعباً من الاقتصار على موضوع صعب جاف . وحتى يجمع كل ما قاله الكبار من الأدباء من نثر ونظم حول الموضوع . وبدا يضيف إلى ما أورده في كتابه صبغة أدبية ، تميزه من سائر الكتب الأدبية . ولكي يسجل مقال الشعراء في هذه الموضوعات بترتيب خاص ، يمكن الاستفادة منها والرجوع إليها في مكان واحد دون الخوض في الدواوين المختلفة ومجموعات كلام الشعراء ، دون ضياع الوقت وتحمل المشقة للبحث والتنقيب . وطريقته فيه أنه يحاول جهده أن يبدأ بنقل الأشعار من الجاهلية فالإسلاميين إلى المولدين والمحدثين ، ولو اختلف هذا الترتيب في بعض الأجزاء من الكتاب ، لعدم تمكنه من الاستمرار على هذه الطريقة ، أما لضالة الأشعار عند القدماء في هذا الفن أو الموضوع ، وأما ، أن كانت لديهم ، فهي ليست من الجودة بحيث يشبهها النويري في كتابه ، مثل التشبيهات الرائعة التي فشت في عصر المولدين ، أو الأشعار في صفة الرياحيين والبساتين والقصور أو تصوير المناظر الخلابة ، مما لا نظير لها في الشعر الجاهلي . ثم إن النويري لا يزيد من عدد الأبيات مخافة الإطالة ، بل يقتصر عادة على بيتين أو ثلاثة أبيات ، ومنها أيضاً على البيت القصيد في معظم الاوقات .

ولتقف برهة عند « الباب الثاني من القسم الأول من الفن الثاني » لنرى منهج النويري في نقل الأشعار . وذلك لأن هذا الباب خير مثال لطريقته فيه . وهذا الباب يبحث في « أمضاء الإنسان » وتشبيهها .

ابتدا النويري هذا الباب من شعر الإنسان . فنقل من فقه الكوفة للثعالبي أسماء المشهور بمختلف أسمائها . فلما فرغ من اسمائها وتفصيلها وضع فصلاً ، جمع فيه ما قالته الشعراء حول الشعر عامة وحول شعور النساء بوجه خاص . وأحسن ما أورد في وصف شعر الرجال قول ابن الرومي :

وفاحم وارد يقبل تمننه  
شاه اذا اختال مرسلأ غدده  
اقبل كالليل من مفارقه  
منحدرا لا يلزم منحدره  
حتى تناهى السى موطنه  
يلثم من كل موطنه عفره  
كانه ماشق دنأ شفقتنا  
حتى قفى من حبيبه وطوره  
وقول فتح الدين بن عبد الظاهر :

حل لانا يوم حمامه  
ذوآبا يبق منها الفوال  
فقلت ، والقصد ذوآباته  
يا سهري في ذي الليالي الطوال  
وقول آخر :

رايت على قد الحبيب ذؤابة  
فيعني على تلك الذؤابة تمع  
يقول لي الواشون : مالك باكيسا  
فقلت : يميني شعرة فهي تدمع  
ومن أحسن ما انتخبه في وصف شعر النساء :  
قول بكر بن النطاح :

بيضاء تسحب من قيام فرمها  
وتغيب فيه فهو جشل أسهم  
فكانها فيه نهار ساطع  
وكانه ليل عليها مظلم  
وقول آخر :

نشرت على ذؤابا من شعرها  
حذر الكواشح والعدو المحنق  
فكانني وكأنها وكانه  
صبحان بانأ تحت ليل مطبق  
ومن قول المتنبي :

نشرت ثلاث ذؤاب من شعرها  
في ليلة ، فارت ليالي أربعتا

واستقبلت قمر السماء بوجهها  
فارتنى القمرين في وقت معا

وقد ألم في ذلك بقول ابن المعتز :

سقتني في ليل شبيهة بشعرها  
شبيهة خديها بغير رقيب  
فأمسيت في ليلين بالشعر والدجى  
وشمسين من خمر وخذ حبیب

وقول ابن الدريد الأزدي :

غراء لو جلت الخدود شعاعها  
للشمس عند طلوعها ، لم تشرق  
عمن على دعم تالق فوقه  
قمر تالق تحت ليل مطبق  
لو قيل للحسن : احتكم لم يعدها  
أو قيل : خاطب غيرها ، لم ينطق  
فكاننا من فرعها في مضرب  
وكاننا من وجهها في مشرق (1)

وفي الكتاب أبيات أخرى قيلت في شعر النساء،  
إلا أنني اخترت أحسن ما وجدته تعبيراً ووصفاً .

فلما فرغ من نقل الأشعار حول الشعر ، أتى  
بفضل آخر ، بين فيه بمناسبة الشعور ، « ما قيل  
في الشيب والخضاب من مدح وذم » أورد في هذا  
الفصل من النثر ما كتب حول الموضوع . أرفقه  
بأشعار تدم الشيب والخضاب وأخرى تمدحه وترحب  
بمقدمه . ثم ذكر نظرة المرأة إلى الشيب وعوارضه  
ثم بدأ بأهضاء الإنسان من نثر ونظم . فأجمل ما قيل  
في وجه المذكور قول الوجيهي :

ومستقبل بالذي يهوى ، وإن كثرت  
منه الإساءة ، معذور بما صنعنا  
في وجهه شافع يمحو أساءته  
من القلوب ، وجيها حيثما شغفنا  
ومنه أجمل ما قيل وجه المؤنث قول ابن سكرة :

في وجه إنسانة كلفت بها  
أربعة ما اجتمعن في أحدد  
فأخذ ورد والصدغ غانبيبة  
والريق خمر والثغر من برد

( 1 ) نهاية الأرب ج 2 صفحة 20 .

( 2 ) راجع لهذا الموضوع نهاية الأرب ج 2 من صفحة 21 فما بعد .

لكل جزء من حسنها بدع  
تودع قلبي ودائع الكمد

ومن أجمل ما قيل في الحواجب قول الزاهي :

واغيد مجدول القوام جبينه  
سنا القمر البدري في الغصن الرطب  
تنكب قوس الحاجبين نسمة  
لواحظه المرضي ، وبر جاسه قلبي

وما قيل في العيون بلفظ التكبير قول عبد الله  
ابن المعتز :

عالم بما تحت الصدور من الهوى  
سريع بكر اللحظ والقلب جازع  
ويجرح أحشائي بعين مريضة  
كما لأن مس السيف والسيف قاطع

واقعد أجاد جرير في وصف عين مريضة إذ قال :

إن العيون التي في طرفها حور  
قتلنا ثم لم يحيين قتلنا  
بصر من ذا اللب حتى لا حراك به  
وهن أضعف خلق الله أركاناً (2)

وكذلك أتى بنخبة ممتازة من الأشعار حول  
الخمر والمشى واليئان وغير ذلك من الأمضاء .  
فأبدع فيه وأجاد الاختيار .

ولقد أبدع ابن الرومي عند ما جمع أكثر المزايا  
والأوصاف التي تستحسن من المحبوب حيث قال :

مخففة مثقلة تراها  
كان لم يعد نصفها غلداً  
إذا الإغياب جدد حسن شيء  
من أشياء جردها اللقاء  
لها ريق تشف له الثنايا  
ويروى عنه - لا منه - الظماء  
وانفاس كأنفاس الخزامي  
قبيل الصبح ، يلتها السماء  
تنفس نشرها سحراً فجاءت

به سحرية المسرى رخاء  
وقد اعتمد التويري في انتخاب أشعاره على  
دواوين الشعراء أولاً ، ثم « كتاب المنتحل » للشعالي ،  
فالعقد الفريد لابن عبد ربه ، فعيون أخبار لابن قتيبة ،

« وزهر الآداب » للحصري القيرواني و « ديوان  
العماني » لابي هلال العسكري وكتاب « نفع الطيب »  
ولغيرهم من المصنفين والادباء .

ولاحظنا ، عند تصفح الاشعار التي اوردها  
النويري ، انه عند نقله الاشعار من الجامعين وكتبهم ،  
يقتصر على ما اورده الجامع ، وحيانا يضيف عليه  
بيتا او بيتين . وطورا نراه يترك ما اورده المصنف  
بتاتا ، ويأتي بشعر من انتخابه هو يلائم الموضوع .  
وذلك ان النويري اديب يحظى بقسط اوفر من حسن  
الدوق الشعري والادبي وله ملكة حسنة في الاختيار ،  
فهو عندما يرى ان الجامع لم يحسن الانتخاب من كلام  
الشعراء حسب الموضوع او المنسبة ، يقوم هو  
بنفسه في البحث في الدواوين ومجموعات كلام  
الشعراء ، عن كلام يناسب الموضوع والمناسبة ، ثم  
ينتخب احسنه ويثبته في محله . وخير مثال لهذا ما  
نقله من الاشعار في تمثيل الامثال ، التي اقتبسها من  
كتاب المنتحل للشعالي من الباب العاشر « في الامثال  
والحكم والآداب » . فنراه انه لم يقتصر على ما اورده  
الشعالي في هذا الصدد ، وانما اختار بنفسه وازاد  
عليه . فالشعالي مثلا لم يتمسك بترتيب مصور  
الشعراء وزمانهم ، فخلط فيما بينهم ، حيث اورد  
شعر الجاهلي ، اقبله بمولد ، ثم مخضرمي اسلامي ،  
وهكذا في سائر كتابه . اما النويري فانه اهتم اهتماما  
بالغا في ذكر الاشعار حسب ترتيب عصر الشعراء .  
فابتدأ بالجاهليين ثم العباسيين فالمحدثين والمولدين ،  
الى ان بلغ الى عصره .

فاذا القينا نظرة على ما اورده النويري ، من  
الاشعار المنتخبة في كتابه يتضح لنا بانها تشمل نخبة  
قيمة ممتازة من روائع الشعر في شتى اصناف  
العماني والموضوعات ، يتمدّد وجوده في كتاب واحد .  
وهذه الصبغة تصفي على نهاية الارب صبغة تجمله  
- حقا - موسوعة شعرية ، تشمل كلام الاوائل والجدد  
في مختلف العماني والموضوعات والمواد ، بترتيب  
حسن وبنظام منسّق مقبول . فالباحث يستطيع ان  
يستخرج من هذا الكتاب اشهر بيت قالته العرب  
وفي اي معنى شاء ، دون جهد او مشقة بالغة ،  
ولشعراء جميع المصور التاريخية المختلفة . وتلك  
مييزة ينفرد بها هذا الكتاب . فضلا من هذا فان هذه  
الاشعار تشير الى ان النويري كانت له يد طولى في  
انتخاب اشعار وذلك بفضل هذا الدوق الرفيع والحس  
الشامري اللطيف الذي يتمتع به . فاننا نراه لم يات  
بشعر مهلهل متفكك ، وانما جاء بنخبة كلها من الطراز

الممتاز . ومن جميع النواحي ، من ناحية جودة الالفاظ  
وحسن سبكها وروعة نظمها ومن ناحية المعنى واداء  
الفرض والمطلب الذي اورده لاجله . وهذا خير  
دليل على سعة علم النويري بفنون القريض والشعر  
واسراره ، ودقة نظره في خبايا هذا الفن واستخراجه .  
ومدى اطلاعه على المصادر الشعرية والمراجع . وعلى  
هذا الوله الادبي ، الذي حفزه على ان يتعمق نفسه  
ويبدل كل جهوده ، في جمع هذه الاثبات المبعثرة في  
الكتب والدواوين المختلفة الكثيرة ، حتى قدمها لنا  
في صورة باقة جميلة تزينها انواع واشكال من الزهور  
والسورود .

وهكذا يتضح لنا من دراسة كتاب « نهاية الارب  
في فنون الادب » ، وما سلكه النويري من منهج  
لتأليف موسوعته هذه ، التي لها اكبر فضل في حفظ  
قدر ملحوظ من تراثنا القديم ، مما تركه لنا اسلافنا  
خلال القرون الست التي مضت على التاريخ الاسلامي  
الحافل . فمنهج النويري قيم ، لا نجار عليه ، يقوم على  
فكرة وروية واضحين . وقد تم التأليف بطريقة يمكن  
الاستفادة منه استفادة تامة . ما عدا عدم ذكره المراجع ،  
مما يكابد الباحث والدارس لمراجعته ، مشقة العثور  
عليها في مختلف الكتب ، فتقسيم الكتاب على فنون ،  
وهذه الفنون على ابواب وفصول ، وكل فصل ضمن  
علم خاص او نبذة معينة ، ليسهل على الطالب مهمة  
البحث المضي ، اذا لم يكن مدونا بهذه الصورة .  
ككتب الجاحظ التي هي الاخرى موسوعة مجموعها .  
ولكن المرء يحترق امام هذه المجموعة غير المرببة  
ترتيباً لانها ، فلا يبلغ مناه الا بعد طول المشقة وكبير  
مناه . ثم يمتاز كتاب النهاية بعدم اخلاط موضوع في  
موضوع آخر ، كالذي تجده في كتاب « الكامل  
لنبرد » او لسان العرب لابن منظور . فانهم يتكلمون  
عن موضوع ويسهبون فيه اسهابا حتى يخيل الى  
القارئ ، انهم نسوا الموضوع الحقيقي ، ولكنهم  
يرجعون الى الموضوع الحقيقي بقولهم « رجع القول  
الى . . . » . اما النويري فانه لا يعتمد الى موضوع  
ثان ما لم ينته من الموضوع الاول الذي كان يتكلم  
حوله . ولقد بالغ النويري في نزاهة كتابه من هذا  
النوع من « الخلط بالبحث » الى حد ، انه اثناء نقله  
من الكتب ، اذا وجد شيئا عارضا ، على الموضوع  
الاصلي الذي يتناوله ، يحذفه بتامه ، ويواصل نقله  
من الجزء الذي يتصل الكلام فيه بالكلام الحقيقي .  
ولاجل هذا نراه يحذف صفحات كثيرة متتابعة من  
الكتب المنقول عنها ، او نجده ينتقل من جزء الى جزء

آخر من الكتب ، ليواصل موضوعه الاصلي بدون عارض ، او « الخطأ بالبحث » . ونلاحظ هذه الظاهرة واضحة ، عند نقله « اخبار المغنين والمغنيات » من الاغانى التي يسهب صاحبها احيانا في سرد اخبار لا تتعلق بالشخصية التي يتكلم عنها وانما هي عوارض اما النويري ، فانه يحذف هذه الزوائد والحشو . ويقتصر على الموضوع الذي يتناوله بالكلام .

وقد حاول النويري اثناء نقله ، تسديد الخطأ الذي وقع فيه بعض المصنفين . فروى الشمالي مثلا . بان الشعر القائل :

وما ينهض البازي بغير جناحه

ولا يحمل الماشين الا الحوامل

اذا انت لم تعرض على الجهل وانحنى

اصبت خليما او اصابك جاهل

قال « انه لعبيد الابرس » (1) الا ان النويري ضبطه لاوز بن حجر . ولقد تصفحت ديوان عبيد الابرس بنفسي ، فلم اجد فيه هذا الشعر ، وما قاله النويري فيه هو الصحيح .

ثم ان النويري لا ينفس في المسائل المختلف فيها . مثل مسألة سماع الغناء ، او مزاوله الاكسار والادعية ، وخاصيتها التي يعتقد بها الطائفة الصوفية . فانه في مثل هذه المسائل يقتصر على نقل آراء الجانبين دون ان يبدي رايه ، فيرجح هذا ويسفه ذلك . او يعيل الى هذه النظرية ، ويتفاضى عن تلك . بسل بترك القارئ حرا يتصرف فيه - بعد معرفة راي الجانبين - كيف شاء وبآية طريقة يفضاها عن غيرها .

والى جانب هذه المزايا التي تمتاز بها موسوعة نهاية الارب ، هناك اغلاط لم يسلم النويري من اقترافها . ولكنها اغلاط بسيطة ، لا يؤبه بها . مقارنة بعلمه العظيم هذا فقد ذكر النويري مثل اسم « سمونيل بن العاديا » بين الشعراء المخدلين ، والحقيقة انه من شعراء الجاهلية دون اختلاف . والغريب في الامر ان مصححي الكتاب ايضا لم يثبثوا الى هذا الخطأ الفاحش ، فطبع الكتاب حاملا هذا الخطأ . ثم ان النويري ذكر اسم خصي معاوية بـ

« رقيق » في قصة تزويج معاوية يزيد (2) . ولقبه اخذ هذه القصة من « الامامة والسياسة » لابن قتيبة الا ان ابن قتيبة ذكر اسمه بـ « رقيق » . وذلك هو الصحيح ، كما ورد في جميع النسخ الموجودة ، المطبوعة في مختلف المطابع . وكذلك اورد اسم مخبوية يزيد بانها « زينب بنت اسحق » الا ان اسمها الصحيح هو « زينب بنت اسحاق » (3) .

وهناك غلطة عجيبة وقع فيها النويري لم ادر كيف . ومن اين وهو استعمال كلمة « السبا » بدل كلمة « الجسا » بمعنى « ان يمسر على الانسان فتح عينيه » . اذ ان كلمة « السجا » لا توجد بالقواميس وليس لها اي مدلول او معنى (4) ويبدو لي بان هذه الاغلاط وقعت من الناسخ اذ ان النويري مع فزارة علمه ووفرة اطلاعه ، يستبعد ان يقع في مثل هذه الاغلاط .

والعيب الاساسي الذي يؤاخذه الباحث عليه ، هو انه لا يذكر المرجع عادة ، وخاصة في العلوم الادبية ، وعدم ذكره له يجعل الباحث في حيرة من امره . حيث يضيع الوقت في البحث . فكثيرا مما تستغرق نبذة وجيزة للبحث عن مصدرها ساعات واياما في بعض الاوقات ، مثل ما حدث لي عند البحث عن العيين الذي اتخذه من اللخيرة لابن بسام . فقد استغرق من هذا الاقتباس منى حوالي ثمانية ايام . ثم انه عندما يضيف شيئا الى ما نقله من كتاب آخر لا يشير اليه ، مما يوهم الباحث انه ايضا من اصل الكتاب ، والحال انه من هنده . كما حصل عند جعل شروط الامامة ثمانية شروط ، بدل سبعة شروط كما اوردها الماوردي .

ومهما يكن ، فليس من شك ، بان منهج النويري في كتابه هذا ، منهج يضاهي احسن مناهج عصرنا الحديث ، الذي تقدمت فيه صناعة التأليف اى تقدم . ولمنهجه الواضح المفيد ، ولما يحوي من الموضوعات الفزيرة والعلوم النافعة المتنوعة « يعتبر احد الكتب الجامعة الهامة ، ذات المواد العامة وهو عمدة بين الكتب كذلك . اعتمد عليه كثير من المؤرخين والادباء قديما وحديثا » (5) .

(1) المنتحل للشمالي صفحة 171 .

(2) نهاية ج 6 صفحة 183 .

(3) راجع الامامة والسياسة ، لابن قتيبة .

(4) راجع لهذه الكلمة : اقرب المواردة لسعيد الغوري الشرتوني اللبناني وناج المروس : لمحمد مرتضى

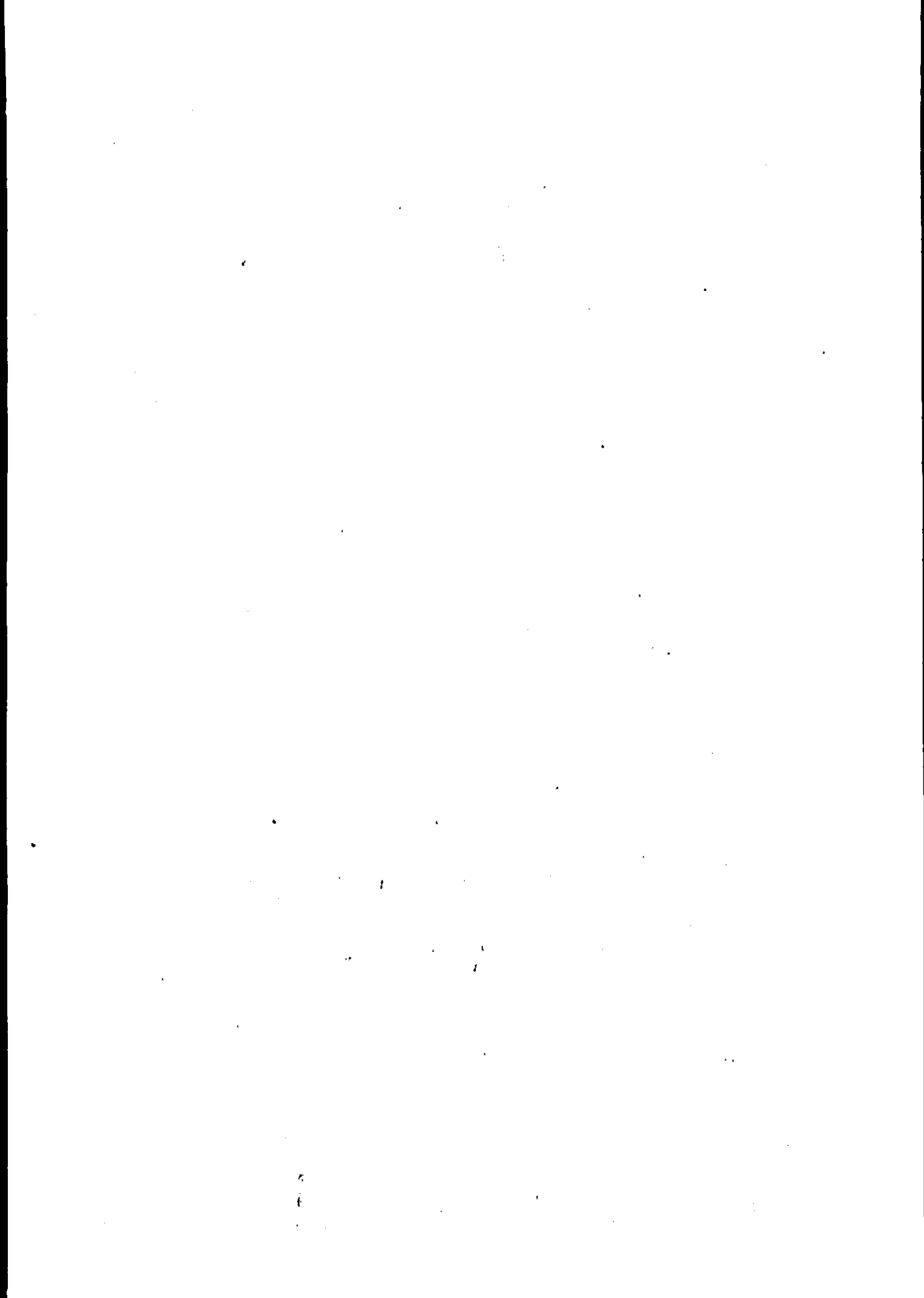
الحسيني الوبيدي ( فصل النجم من باب الهمزة ) واللغات الاخرى .

(5) عشر شلاطين المائيك : محمود رزق سليم ج 3 صفحة : 125 .



# تحقيقات

- ♦ الكشف عن معجم لغوي ملغود في بغداد  
للاستاذ عبد الهادي التازي
- ♦ متخير الاغناط ( ل احمد بن مارس )  
حققه وقدم له : الاستاذ هلال ناجي
- ♦ ابن خالويه اللغوي ونسبة كتاب « الحجة » اليه  
للاستاذ عبد العال سالم مكرم
- ♦ نسبة « الحجة » الى ابن خلوويه لا تصح ..  
للاستاذ العابد الفاسي
- ♦ حول تحقيق كتاب ابن الجوزي : « تنوير اللسان »  
للاستاذ محمد ابراهيم الكتاني



# الكشف عن معجم لغوي مفقود في بغداد

الأستاذ عبد الهادي التازي  
سفير المملكة المغربية في العراق

فحققه على مخطوطتين : الأولى تعود للقرن السادس الهجري ، والثانية كتبها جده العلامة السيد عبد الوهاب بن عبد الرزاق الحنسي البغدادي أمير الخطاطين في عصره في بواكير القرن الرابع عشر الهجري ، والكتاب المذكور ، ذكره ياقوت في معجم الادباء 84/4 والانباري في نزهة الالباء ص 321 ، كما ذكره ابن فارس في عداد مؤلفاته في آخر الجزء الثاني المخطوط من معجم ( الجمل ) .

رتب ابن فارس معجم ( متخير الالفاظ ) على ابواب المعاني في مائة وأربعة عشر بابا ، ويميزه الاساسية انه قد حفل بالالفاظ المفردة المنتقاة والالفاظ المركبة التي ابتكرها الشعراء في تشبيهاتهم ومجازاتهم واستعاراتهم ، كما حفل بالامثال المنتقاة ، والاقوال الجارية مجراها ، مؤكدا ان اول ما يجب على الكاتب والشاعر اجتناب السهل من الخطاب ، واجتناب الوهر منه ، والانس بانيسه والتوحش من وحشيه ، وهو كثير الاستشهاد بالشعر ، وشواهده من ميون الشعر العربي لفظا ومعنى .

وقد بدل الاستاذ صدر ناجي في تحقيق هذا المعجم جهدا ضخما حتى ناهزت مصادره ومراجعته الاربعمائة كتاب ، من بينها عدد فيسر قليل من المخطوطات .

ويعتبر عمله هذا اول محاولة يقوم بها باحث عراقي في نشر معجم عربي قديم .

حركة التأليف المعجمي عند العرب مرت عبر القرون بمراحل متعددة ، اولها : مرحلة كتب الصفات او الفريب المصنف ، ومنها جمعت مفردات الباب الواحد وضمت الي بعضها ، ومن نماذجها كتاب المطر والسحاب لابن دريد البصري والفريب المصنف لابي عبيد ، والمخصص لابن سيده الاندلسي .

وثانيها : مرحلة معاجم الالفاظ ، ومنها رتبت المفردات بالنسبة لحروفها لا الى معانيها ، واولها معجم العين للخليل بن احمد البصري ، وتلاه التهذيب والمحيط والمحكم والقليبين والجمل والجمهرة والصحاح والعباب واللبن والقاموس المحيط وتاج العروس .

وثالثها : مرحلة معاجم المعاني ، وقد رتبت فيها الالفاظ الخاصة بمعنى من المعاني في باب واحد ، وبرز نماذجها كتاب الالفاظ لابن السكيت ، وجواهر الالفاظ لقدامية بن جعفر ، والالفاظ الكتابية للهمداني ، وفقه اللغة للثعالبي .

وكانت بعض المراجع القديمة تذكر كتابا مهما من هذه الكتب ، وهو معجم ( متخير الالفاظ ) تصنيف العالم اللغوي الجليل احمد فارس الرازي المتوفى سنة 395 هجرية ، ولكنه كان يعد في المعاجم التي عدا عليها الزمن وفقدت مع ما فقد من آثار السلف .

ومؤخرا نشر الباحث العراقي الثبت الاستاذ صدر ناجي على المعجم المذكور ضمن مخطوطات أسرته ،

ضياح استمر الف عام ، وفاء للعربية واحياء لبعض تراث الاسرة ، وهكذا صاحبت - المتخير - قرابة عام ، كان فيه سميري كل ليلة ونجي كل دجنة ، وكان منه صاحبنا ومحدثنا واليفاء ، اصوب منه ما حرف محرف وصحف مصحف فلا يسام ولا يضجر ، واقطع الليل اخرج بيتا لشاعر او قالة لناثر فلا يحول ولا يتغير ، وكم لعبت من دنياى وانا امراض نصا على مصدر ، حتى اذا ضجعت للفور تالية النجم ، واخذ الليل فى طي الربط ، وتبين الخيط من الخيط ، ردتى الى دنياى مؤذن ينادي : ان حى على الفلاح . . قد قامت الصلاة . فانساخ من مقعدي اذ يسليخ النهار من الليل ، واذ ينشق النور عن الظلمة ، وعلى مثل هذا كان تقاؤنا وافتراقنا قرابة عام .

بمثل هذا الاسلوب الشعاري المتدفق قدم المحقق الصديق لهذا المعجم الفريد .

ومجمل القول ان نشر هذا المعجم سيكون اضافة قيمة للمكتبة اللغوية .

وفى تقديري ان هذا المعجم بالذات لا غنى عنه لكل كاتب وشاعر ، وعلى ان نراه فى عالم المطبوعات قريبا .

والكتاب معد للطبع حاليا ، وقد قدم له الصديق المحقق بمقدمة موسعة ، تحدث فى ختامها بلغة شعرية مؤثرة عن نوافعه فى تحقيق هذا المعجم فقال ما نصه : « حققت قبل هذا عددا من الكتب ونشرتها وشهرتها فى تحقيق اخرى ، لكنى لم اشعر ابدا ان كتابا غير المتخير اصبح جزءا من كيائى لسوذا فى جنائى وبمضا من بيائى ، ذلك ان روابط ممتدة الجدور موفلة عبر الزمن كانت تشدني اليه شدا بوشائج روحية غير منظورة ، من هذه الروابط ، ان مخطوطته الام الفريدة حفظها للعربية عم ابي السيد احمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وان مخطوطته الثانية كانت بخط جد ابي المرحوم عبد الوهاب ابن عبد الرزاق بن محمد بن ابراهيم الحسنى البغدادي امير الخطاطين فى عصره ، فبيئى وبين المخطوطتين نسب ووشيجة ، وبينى وبينهما رحم وآصرة وقربى . ثم ان من هذه الروابط ما عرف من عنابة اسرتنا بمعاجم اللغة جيلا بعد جيل « ثم عرض لنفائس مخطوطات اسرتهم اللغوية حتى قال : « ان هذه العناية كانت تدفعني دفعا وتحفزني حفزا ، لاني اصل جبل النسخ والحفظ فى اسرتنا بجبل التحقيق والنشر ، فاقوم باخراج متخير الالفاظ الى عالم المطبوعات بمد



# مختصر الألفاظ

تصنيف

أحمد بن فارس

المتوفى سنة ٣٩٥ هـ

مفقه وقدم له

هلال ناجي

(بغداد)

## بسم الله الرحمن الرحيم

### تقديم

#### عصر المصنف :

ولد ابن فارس ومات في القرن الرابع الهجري وهو ترمزق الوطن الاسلامي فيه الى امارات ودويلات يغير بعضها على بعض ويسمى بعضها للاطاحة ببعض . ففي نهاية الربع الاول من هذا القرن اصبح المغرب والبريقية بيد الفاطميين ومصر والشام بيد ابن طنج الاخشيدي وديار بكر وديار ربيعة ومصر والموصل بيد الحمدانيين والبصرة وواسط والاهواز بيد البريديين واليمامة والبحرين في يد القرامطة وفارس والري واصبهان وهمذان في يد بني بويه وكرمان في يد محمد بن الياس وطبرستان وجرجان في يد الديلم وخراسان في يد نصر الساماني ولم يبق للخليفة العباسي سوى بغداد واعمالها فاصبح رمزا دينيا لا سلطانا دنيويا ولا سيفا بعد ان دخل البويهيون بغداد سنة 334 هـ .

وشاع الخلع والسمل والقتل الذي تعرض له خلفاء العباسيين في هذا القرن . خلع القاهر وسمل ، وخلق المتقي لله وسمل وخلق المستكنى لله وسمل وجرت في تلك الايام حروب وفتن ونهبت دار الخلافة وفي عام 334 هـ سيطر بنو بويه سيطرة تامة وصار الخليفة المطيع لله لا امر له ولا نهى ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر . هذا غير الخلفاء الذين قتلوا كابن المعتز وسواه .

ويصف البيروني بمباراة صادقة ومؤثرة فتدان العباسيين لسلطانهم الدنيوي وسيطرة بني بويه على الدولة والملك بقوله :

« وان الدولة والملك قد انتقل في آخر ايام المتقي واول ايام المستكنى من آل العباس الى آل بويه والذي بقي في ايدي الدولة العباسية انما هو امر ديني امتقادي لا ملك دنيوي فالتائم من ولد العباس الان انما هو رئيس الاسلام لا ملك » .

وهكذا خرج الامر من يد العباسيين وصار في يد الدخلاء من بني بويه حتى سنة ( 451 ) هـ .

ويصف المقدسي بغداد في هذا القرن فيقول : « أما المدينة مخراب والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب .. وهي في كل يوم الى وراء أخشى انهما تعود كسابرا مع كثرة الفساد والجهل والنسق وجور السلطان » .

### الحالة الاقتصادية والاجتماعية :

تردت الاحوال الاقتصادية في هذا العصر ترديا بالغا وشامت المصادرات ، وكانت المصادرة اكبر خطر تعرضت له الملكية الخاصة في القرن الرابع الهجري وكانت تصيب الثرين ولا سيما الموظفين منهم وكان التجار والأغنياء من الأهلين مرضية للمصادرة أحيانا وقد حفظ مسكويه لنا قائمة بالمصادرات بين سنة 296 هـ - 381 هـ . وفي فترة التغلب البويهي هبط مستوى المعيشة لسكان العراق .

وتاسى الفلاحون بصورة خاصة من كثرة الضرائب ومن جشع الموظفين وعدم ضبطهم ومن خراب نظام الري الشيء الكثير .

وتضائلت الخدمات الاجتماعية التي تقوم بها الدولة في هذه الفترة وتسئم الغرياء أحسن الوظائف وأصبح مستوى الأهلين في عداد الطبقات المتوسطة والفقيرة . وانخفض دخل الخليفة والوزير والموظفين المنين عامة في الفترة البويهية في حين ارتفع دخل رجال الجيش . وتعرض العراق لفترات غلاء ومجاعات ، ويمكن القول على وجه الإجمال بأن التغلب البويهي كان حدا فاصلا بين فترتين إذ انه اثر على الاقتصاد الزراعي ومقرق نمو المؤسسات التجارية والمصرفية .

وفي هذا القرن اشتد الصراع المذهبي وأدى الى مصادمات دموية هلك فيها كثيرون ويذكر ياقوت في معجم البلدان ان بلدانا كثيرة خربت ودثرت بسبب هذا الصراع البغيض .

### الحالة العلمية والأدبية :

ان السوء الذي انتهت اليه الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المملكة الإسلامية خلال هذا القرن لم يصاحبه سوء مماثل في الحالة العلمية والأدبية وكسان العكس هو الصحيح . ففي هذا القرن بلغت الحركة العلمية والأدبية أوجها واتت ثمارها . ولعل مرد ذلك ان التمزق السياسي أتاح ظهور مراكز علمية وثقافية متعددة . صارت تتنافس وتتبارى في اجتذاب العلماء والأدباء ، وتبع ذلك تنافس خير جنت منه الحركة الأدبية والعلمية خيرا كثيرا وشامت العناية بالكتب وجمعها لدى الأمراء والوزراء والعلماء والأدباء شيوما كبيرا ونشأت الخزائن الكبرى التي يجدها منها المؤرخون وفي هذا القرن ظهرت الكتب الجامعة في شتى العلوم والآداب والفنون . كان بعض سلاطين بني بويه أدباء شعراء أمثال عز الدولة وعهد الدولة . وتاج الدولة

وكانوا يؤثرون استيزار واستكتاب العلماء والأدباء فكان من وراثهم وكتابهم : ابن  
المعبد والصاحب بن هباد والمهلب وسابور بن أردشبر .

وقد عاصرت الدولة البويهية التي امتد سلطانها لتشمل العراق ومصر  
وخراسان . الدولة السامانية في تركستان وبرزت بخارى ونيسابور كمركزين ثقافيين  
استقطبا العلماء والأدباء والشعراء واشتهر من أمرائها منصور بن نوح الذي استوزر  
البلخي الذي ترجم تاريخ الطبري الى الفارسية .

وابنه نوح بن منصور هو الذي شد نظر شاعره الدقيقي لنظم الشاهنامه منظم  
الدقيقي الف بيت من الشاهنامه كانت هي الأساس الاكيد لشاهنامه الفردوسي في  
عصر الغزنويين وكانت لنوح المذكور مكتبة ضخمة انتفع منها ابن سينا ، ومنهم منصور  
الساماني الذي الف له أبو بكر الرازي كتاب - المنصوري - في الطب .

وفي طبرستان ظهرت الدولة الزيارية وكان من أمرائها شمس المعالي قابوس بن  
وشمكير ، الأديب الشاعر والفيلسوف الرياضي وصاحب رسالة الاسطرلاب . وكان  
في خوارزم أمير محب للعلم والأدب هو أبو العباس المأمون بن مأمون خوارزمشاه ،  
كان من رجال مجلسه ابن سينا الفيلسوف والبيروني المؤرخ الرياضي وأبو نصر  
الرياضي والفيلسوف أبو سهل المسبجي ، والطبيب أبو الحسن الخوارزمي وسواهم .

وقد استطاع السلطان محمود الغزنوي سلطان الدولة الغزنوية ضم بعضهم  
الى بلاطه وبرزهم البيروني . وحين استطاع السلطان المذكور اسقاط الدويلات  
والامارات التي تضايقه جدت في مملكته نهضة أدبية نشيطة شجعها السلطان الغزنوي  
بمعاياها ففي الشعر الغنائي برز منوچهري والعنصري والفرخي وراعبة التصديرة .  
وفي الشعر الملحمي برز الفردوسي في شاهنامه التي بلغت الستين الف بيت .

وترجم أبو المعالي نصر الله كتاب « كليله ودمنة » الى الفارسية فوضع التقاليد  
الفنية للنثر الفني عند الفرس .

وكانت دولة الحمدانيين في هذا القرن تلمة من قلاع الثقافة والأدب وكان بلاطهم  
حاشدا بمعالجة الشعراء أمثال أبي الطيب المتنبي وأبي نواس الحمداني وسواهما ،  
بل انهم اجتذبوا حتى كبار الفنانين مثل أبي عبد الله الحسن بن علي بن مقلة الخطاط  
الشهير وشقيق الوزير محمد بن علي بن مقلة ، فومفروا له جواً فنياً ملائماً وانقطع  
اليهم وأبدع ما شاء .

روي ياتوت في معجم الأدباء ( 32/9 ) ما نصه : « كان أبو عبد الله منقطعاً الى  
بني حمدان سنين كثيرة يقومون بأمره أحسن القيام وكان ينزل في دار توراه حسنة ،  
وفيها مرش تشاكلها ومجلس دست وله شيء للنسخ وهو ضئيل محابر وأتسلا ،  
فيقوم ويتمشى في الدار اذا ضاق صدره ، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالس



وينسخ ما يخف عليه ، ثم ينهض ويطوف جوانب البستان ، ثم يجلس في مجلس آخر وينسخ اوراتا آخر على هذا ، فاجتمع في خزائنهم من خطه ما لا يحصى .  
 وفي مصر كانت الدولة الفاطمية دولة علم وأدب ، وقد اشتهر من خلفائها العزيز بالله والحاكم بأمر الله بخزائن كتبهما الشهيرة .  
 وبالاختصار ففي هذا القرن لممت في سماء الآداب والعلوم والفنون أبرز الأسماء التي حفظها لنا التاريخ عبر مسجرتة الطويلة .

\* \* \*

### مصادر الفصل :

- (1) تجارب الأمم — مسكوية .
- (2) تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري — الدوري .
- (3) الوزراء — الصابي — نشره آدمروز — بيروت 1904
- (4) الاوراق — اخبار الرازي والمتقي لله — الصولي
- (5) صلة الطبري — مهيب القرطبي
- (6) الآثار الباقية — البيروني
- (7) مروج الذهب — المسعودي
- (8) الفخري — ابن طباطبا
- (9) ظهر الاسلام — أحمد أمين
- (10) الخضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري — آدم متر
- (11) احسن التقاسيم الى معرفة الاتاليم — المقدسي — نشره دي خويه 1877 م .
- (12) الادب الفارسي في العصر الفزنوي — الدكتور علي الشابي — تونس
- (13) معجم الادباء — ياقوت .

### من هو ابن فارس ؟

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي . هكذا نسبته أغلب المصادر ، وشذ من ذلك ابن الاثير في الكامل وابن الجوزي في المنتظم ، وكان أبوه مقيما شامعيا لغويا روى عنه أبو الحسين في مقاييس اللغة وفي صاحبي وفي متخير الالفاظ وفي اللامات . والرازي نسبة الى الري ، مدينة في بلاد الديلم والرازي زائدة عليها كما زادوها في الروزي عند النسبة الى مرو الشاهجان ، ومسقط رأسه قرية اسمها كرسف جياتاباذ ، وضبطها ياقوت في معجم الادباء — كرسفة — وهي قرية من رستاق الزهراء .

ذكروا ان رجلا اتاه لسأله عن وطنه ، فقال : كرسف ، فتمثل ابن فارس :

بلاد بها شددت علي تئامسي . . . وأول أرض مس جلدي ترابها (1)

لم تفكر لنا المصادر سنة ولادته ولكن يمكن القول على وجه التقريب انها تدور حول عام 312 هـ وسندنا في هذا الاستنتاج ما ورد في معجم الادباء 221/12 نقلا عن كتاب أمالي ابن فارس ، وفي آخره : « قال ابن فارس : حدثني ابن الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان رحمه الله يتزويين في مسجدهم يوم الاحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة » .

فإذا كان ابن فارس قد روى عن القطان سنة 332 هـ وافترضنا ان ذلك كان في اول شبابه أي في العشرين من عمره ، صح ما ذهبنا اليه من ان ابن فارس من مواليد سنة 312 هـ او نحوها . وتذكر المصادر ان ابن فارس رحل الى تزويين للاخذ عن القطان وابراهيم بن علي ورحل الى زنجان واخذ من احمد بن الحسن بن الخطيب ورحل الى ميانج في بلاد الشام واخذ من احمد بن طاهر بن النجم كما رحل الى بغداد في طلب الحديث ، واستوطن الموصل فترة وزار مكة في حجه واستوطن همذان ومنها شعر بالوحدة والضياع ونسيان ما كان يعلم .

ثم حمل منها الى الري ليتلمذ عليه مجد الدولة أبو طالب بن فخر الدولة مسكنها واكتسب مالا وتوفى بالمحمدية وهي محلة في الري ودفن مقابل مشهد القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني . وفي تاريخ وفاته خلاف كثير وأصح الأقوال انه توفى سنة 390 هـ رحمه الله .

وقد زعم بعضهم انه من اصل اعجمي (2) ، وهو وهم لا دليل عليه ، غير ما قيل من انه كان يتكلم بلسان القزاونة . والواقع ان ايران في القرون الاسلامية الاولى كانت تزخر بالقبائل العربية التي رحلت أيام الفتوح واستوطنتها ، وليس في سلسلة نسب ابن فارس ، اسم غير عربي ، فإذا أضفنا لذلك ان تكلمه بلسان القزاونة أمر طبيعي تلميه ظروف المجاورة للسكان الاصليين ، اتضح ان لا دليل يدعم زعم الزاعمين انه غير عربي بل العكس هو الصحيح ، ذلك ان أبي فارس كان شديد المعسبة للعرب

(1) انظر البيت في بلاغات النساء : لاحمد بن أبي طاهر البغدادي ص 199 ، وروايته فيه . — بلاد بها حل الشباب تئامسي — وهو منسوب فيه لجارية طائية وقبله :

أحب بلاد الله ما بين منمع الى وسلس ان يصوب سبحانه  
والبيتان في أمالي القالي 83/1 ونسبتهما فيها لرقاع بن تيس الاسدي ورويا في اللسان مادة ( تم ) 336/14 منسوبين لرقاع الاسدي ، وهما في اللسان في مادة ( نوط ) ، ورواية البيت فيه : بلاد بها نيطت .. وفي المصون من غير عزو ص 206 وهو كذلك من دون عزو في الكامل 406 ، 676 وفي معجم البلدان مادة ( منمع ) وزهر الاداب 682 .. وقد نسبا لامرأة من طيء في سبط اللالي 272 ومحاضرات الرافغ 676/2 .

(2) منهم بروكلمان انظر 265/2 ومحمد بن شنب 247/1 دائرة المعارف الاسلامية .

والعربية في مصر استنقلت فيه دعاوي الشعبين، يكشف من ذلك كتابه — الصحابي في لغة الفقه وهو تمصب يميله الانتساب اليهم على الأغلّب .

وبالإجمال فإن انتسابه للعرب أقرب للصواب في رأينا من أخباره انه قال (3) : دخلت بغداد طالبا للحديث ، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليس معي تارورة ، فرأيت شابا عليه سمة جمال فاستأذنته في كتب الحديث من تارورته : فقال : من انبسط الى الإخوان بالاستئذان ، فقد استحق الحرمان .

وهي رواية تدل على مراعاة الخلق البغدادي في الترحيب بالغريب ورفع الكلفة عنه .

ومن أخباره : انه كان يناظر في الفقه ماذا وجد نقيها أو متكلما أو نحويا كان يأمر أصحابه بسؤالهم آياه ، وينظره في مسائل من جنس العلم الذي يتعاطاه فان وجده بارما جدلا جره في المجادلة الى اللغة ، فيغلبه بها ، وكان يحث الفقهاء دائما على معرفة اللغة ويلقي عليهم مسائل ، ذكرها في كتابه — نقيها نقيها العرب — ويخجلهم بذلك ، ليكون خجلهم داعيا الى حفظ اللغة ويقول : من تصر عليه من اللغة وفولط غلظ (4)

وكان شاعري المذهب ، ثم صار مالكيًا في سنواته الأخيرة وقال (5) : دخلتني الحمية لهذا البلد ، يعني الري ، كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل المقبول القول على جميع الألسنة .

وفي نزعة الألباء انه قال حين غير مذهبه (6) : دخلتني الحمية لهذا الإمام المقبول القول على جميع الألسنة ، أن يخلو مثل هذا البلد — يعني الري — عن مذهبه ، فعمرت مشهد الانتساب اليه ، حتى يكمل لهذا البلد مخره ، فان الري أجمع البلاد للمقاتلات والاختلافات في المذاهب على تضادها وكثرتها .

ورواية الخبر في بغية الوعاة (7) انه قال : — أخذتني الحمية لهذا الإمام ان يخلو مثل هذا البلد من مذهبه .

ونراه في الصحابي يسخر من بعض فقهاء الشافعية فيقول : (8) : « ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراه من لغة الشافعي بالرتبة العليا في القياس فقلت له : ما حقيقة القياس ومعناه ؟ ومن أي شيء هو ؟ فقال : ليس على هذا ، وإنما على

- 
- (3) معجم الأدياء 89/4 .
  - (4) أنباء الرواة على أنباء النحاة 94/1 .
  - (5) معجم الأدياء 83/4 — 84
  - (6) نزعة الألباء 321
  - (7) بغية 352/1
  - (8) الصحابي 66

اتمامة الدليل على منحنه . نقل الآن في رجل يزوم . اقامة الدليل على صحة شئ ما لا يعرف معناه . ولا يدري ما هو ؟ ونعموذ بالله من سوء الاختيار ! »

وفي الموضع ذاته ينقل نصا لابن داود في تقدمه الأمام الشامي وتزبيته للإمام مالك بن انس .

وهو في موضع آخر من — الصاحبى — برد على منكري قول الإمام مالك في الجائحة فيقول (9) : « قال احمد بن فارس : واترض قوم بهذا الذي ذكرناه على ابي عبد الله مالك بن انس في قوله في الجائحة . لان مالكا يذهب الى ان الجائحة اذا كانت دون الثلث لم يوضع لانها قليل بمنزلة ما تناله العراني من الطير وغيرها وما تلقبه الريح ، فاذا بلغت الجائحة الثلث — وما زاد — فهي كثيرة ، ولزم وضعها للحديث الروي فيها . قال المعترض على ابي عبد الله مالك — رحمه — : فقد دفع هذا الفصل المعنى الذي ذهب اليه مالك لان قوله — جل ثناؤه — ( تم الليل الا قليلا ) قد جعل النصف قليلا فاذا كان نصف الشيء قليلا منه وجب ان يكون كثيره ما فوق النصف فالجواب عن هذا ان مالكا انما ذهب في جملة الثلث كثيرا الى حديث حدثناه على بن ابراهيم عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن ابي عبيدة عن الزهري عن عامر بن سعد عن ابيه قال : « اي رسول الله ! ان لي مالا وليس يرثني الا ابنتي ، امانصدق بثلثي مالي ؟ قال : لا . قات : فالشطر ؟ قال : لا . قلت : فالثلث ؟ قال الثلث — والثلث كثير — انك ان تترك ورثتك اغنياء خير من ان تتركهم يتكفون الناس . فيقول رسول الله — صلعم — اخذ مالك ، ورسول الله — صلعم — اعلم بتأويل كتاب الله — جل ثناؤه » .

وبمثل هذا الكلام المعطل المدلل رد ابن فارس على منكري قول مالك في الجائحة ، فاذا عرفنا انه الف ( الصاحبى ) في الشطر الاخير من حياته ادركنا صحة ما نقل من انه كان شاميا ثم صار مالكيا وفي هذا يقول القنطري : « وكان من رؤساء اهل السنة المجودين على مذهب الحديث » (10) .

غير ان بعض مؤرخي الشيعة الاماضل ذهبوا الى انه تستر بالشامية والمالكية وانه كان شاميا (11) .

وذا درس آثار ابن فارس يلاحظ بوضوح الحب العميق الذي كان يكنه ابوالحسين لامير المؤمنين — علي بن ابي طالب — ، مماثر الامام تدور على لسانه في الصاحبى وفي المتخير وربما في غيرهما مما ضاع من آثاره .

(9) الصاحبى 137 — 138

(10) انباه الرواة 95/1 .

(11) انظر تنقيح المقال 76 واهيان الشيعة ص 216 — 217 .

جاء في المتخير : « وذكر ابن عباس عليا — عليهما السلام — فقال : سطة في العسيرة وصبر بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وعلم بالتنزيل ، وبقته في التأويل ، وصبر اذا دعيت نزال . »

وقال في الصحابي (12) : « نصاروا بعدما فكرناه الى ان يسأل امام من الائمة وهو يخطب على منبره عن مريضة نيلتي ويحسب بثلاث كلمات ، وذلك قول أمير المؤمنين علي — صلوات الله عليه — حين سئل عن ابنتين وابوين وامرأة : « صار لثمنها تسعا » فسويت المنبرية ، والى ان يقول هو — صلوات الله عليه — على منبره ، والمهاجرون والانتصار متواترون : « سلوني لو الله ما من آية الا وانا اعلم ابليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل » ، وحتى قال — صلوات الله عليه — وأشار الى ابنه : « يا قوم استنبطوا مني ومن هذين علم ما مضى وما يكون . »

وجاء في الصحابي (13) : « وروى السدي عن عبد خير علي — رضه — انه رأى من الناس طيرة عند وفاة رسول الله — صلعم — فاقسم الا يضع على ظهره رداء حتى يجمع القرآن ، قال : مجلس في بيته حتى جمع القرآن ، فهو أول مصحف جمع فيه القرآن ، جمعه من قلبه ، وكان عند آل جعفر . فانظر الى قول القائل : « جمعه من قلبه » . وحدثنا علي بن ابراهيم عن علي بن عبد العزيز قال : قال أبو عبيد : حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن أبي عبد الرحمن السلمي انه قال : ما رأيت أحدا أترا من علي — صلوات الله عليه — ، صلينا خلفه فأسوا برزخا ، ثم رجع لقرأ ثم عاد الى مكانه . قال أبو عبيد : البرزخ ما بين كل شيئين ، ومنه قيل للميت : « هو في برزخ » ، لانه بين الدنيا والآخرة . فإراد أبو عبد الرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي أسقط علي — صلعم — منه ذلك الحرف الى الموضع الذي كان انتهى اليه .

من هذه الاموال المبررة عن حب ابن فارس آل البيت الكرام ، ومن تعيينه مؤدبا واستاذا للامير البويهى ، والبويهيون شيعة آل البيت استنتج الطوسسى والماتاني والعاملي امر تشيع ابن فارس في الفترة الاخيرة من حياته .

وانا لا استبعد هذا ، ذلك ان ابن فارس صار مالكا بعد ان كان شامعا هبة لرجل — على حد قوله — فلم نستبعد تشييعه اقتناعا بفكرة مع ملاحظة سرعة تنقله من مذهب الى مذهب ومع اكباره لشخصية الامام علي ومآثره .

\* \* \*

(12) الصحابي من 78 — 79 .  
(13) الصحابي من 200 — 201 .

## مصادر الفصل :

- (1) معجم الادباء — ياقوت 80/4 .
- (2) المزهري — السيوطي 414/1 .
- (3) بغية الوعاة — السيوطي 352 /1 .
- (4) مرآة الجنان — اليانعي 442/2 .
- (5) وفيات الاميان — ابن خلكان 100/1 .
- (6) شذرات الذهب — ابن العماد 132/2 .
- (7) نزهة الالباء — الانباري 320 .
- (8) انباء الرواة — القفطي 92/1 .
- (9) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق المجلد 42 ج 2 — نيسان 1967 ص 236 — 244 .
- (10) الديباج المذهب — ابن نرحون ص 35 .
- (11) مفتاح السعادة 109/1 .
- (12) معجم المطبوعات العربية — سركيس 199 .
- (13) بتيمة الدهر — النعماني 400/3 .
- (14) مقدمة تمام نصيح الكلام — الدكتور مصطفى جواد .
- (15) المنتظم — ابن الجوزي 103/7 .
- (16) الكامل — ابن الاثير 711/8 .
- (17) البداية والنهاية — ابن كثير 535/11 .
- (18) النجوم الزاهرة — ابن تغري بردي 212/4 .
- (19) معجم البلدان — ياقوت 212/4 .
- (20) الآثار الباقية — البيروني 338 .
- (21) دمية التمر — البخارزي 297 .
- (22) مقدمة معجم المتاييس — عبد السلام هارون .
- (23) فهرست ابن النديم ص 80 .
- (24) الفلاحة والملوكون — النلجي — 141 .
- (25) العبر في خبر من خبر — الذهبي — 58/3 .
- (26) الاعلام الزركلي 184/1 .
- (27) معجم المؤلفين — كحاله 40/2 .
- (28) تاريخ آداب اللغة العربية — جرجي زيدان 357/2 .
- (29) دائرة المعارف الاسلامية — محمد بن شنب 247/1 .
- (30) روهمات الجنات — الخوامنساري 64 .
- (31) طبقات المفسرين — السيوطي ص 4 .

- (32) عيون التواريخ — ابن شباكر الكتبي مخطوط 12 : 1/258 — 1/261 .
- (33) الوافي بالوفيات — الصفدي — مخطوط — 111/6 .
- (34) المختصر في أخبار البشر — أبو اللداء 142/2 .
- (35) سيد النبلاء — الذهبي — مخطوط — 22/11 و 23 .
- (36) مقدمة الصاهبي في فقه اللغة طبعة مصر 1910 وطبعة بيروت 1963 .
- (37) منهج المقال — ميرزا محمد الاسترابادي ص 40 — طهران 1302 هـ .
- (38) المهرست — الطوسي ص 36 .
- (39) منتهى المقال — أبو علي الحائري ص 39 .
- (40) تنقيح المقال — عبد الله المامقاني 76/1 .
- (41) أميان الشيمة — العاملي 215/9 — 228 .
- (42) مخطوطات الموصل — داود جلبي ص 67 .
- (43) طبقات النحاة واللغويين — ابن قاضي شعبة — مخطوط — 189 و 190 .
- (44) تلخيص ابن مکتوم — مخطوط — 15 — 16 .
- (45) ايضاح المكنون — البغدادي 421/1 .
- (46) دائرة المعارف — البستاني 419/3 .
- (47) تاريخ الادب العربي — بروكلمان — ترجمة عبد الحليم النجار 265/2 .
- (48) كشف الظنون — حاجي خليفة : 33 ، 89 ، 90 ، 173 ، 690 ، 722 ، 827 ، 828 ، 1068 ، 1069 ، 1279 ، 1454 ، 1574 ، 1605 ، 1615 ، 1804 ، 1848 .
- (49) سلم الوصول ص 113 .
- (50) مقدمة الاتباع والمزاوجة — طبعة كمال مصطفى .

### شيوخه :

- 1 — والده ( مارس بن زكريا ) ( ت 369 هـ ) : روى عنه ابن مارس كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت كما ذكر في المعاييس . وروى عنه كذلك في الصاهبي وروى عنه في مخير الالفاظ في مواضع عدة وفي اللامات . وقد ذكر ضمن شيوخه في بغية الوعاة 352/1 وفي نزهة الالباء 321 وكان المذكور نقيبها لغويا شامعيا .
- 2 — علي بن ابراهيم بن سلمة القطان ( 254 — 345 هـ ) : روى عنه ابن مارس في مخير الالفاظ كثيرا كما روى عنه في المعاييس وفي الصاهبي في مواضع عديدة . وذكر ضمن شيوخه في بغية الوعاة 352/1 وطبقات المسريرين ص 4 ومعجم الادباء 82/4 .
- وانظر ترجمة القطان في المعبر للذهبي 367/2 وغاية النهاية لابن الجوزي 516/1 ومعجم الادباء 218/12 .

- 3 — علي بن عبد العزيز المكي ( ت 286 او 287 هـ ) : روى عنه ابن فارس في المقاييس كثيرا كما روى عنه كتابي ابي عبيد القاسم بن سلام — غريب الحديث ومصنف الغريب . وذكر ضمن شيوخه في طبقات المفسرين ص 4 ومعجم الادباء 83/4 . وللمكي ترجمة في المعبر للذهبي 77/1 وغاية النهاية 549/1 ونزهة الالباء 216 .
- 4 — احمد بن طاهر بن النجم الميانجي : روى عنه ابن فارس في المقاييس وقد ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباء الرواة 95/1 . وللميانجي ترجمة في المعبر للذهبي 320/2 .
- 5 — احمد بن الحسن بن الخطيب : ذكر ضمن شيوخه في نزهة الالباء 320 ومعجم الادباء 82/4 وانباء الرواة 95/1 وطبقات المفسرين 4 .
- 6 — ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن سلمة بن مخر : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس في انباء الرواة 95/1 .
- 7 — سليمان بن احمد بن ايوب الطبراني ( ت 360 هـ ) : ذكر ضمن شيوخ ابن فارس في معجم الادباء 83/4 وطبقات المفسرين 4 . وللطبراني ترجمة في المعبر 315/2 وغاية النهاية 311/1 والنجوم الزاهرة 59/4 .
- 8 — احمد بن محمد بن اسحاق الدينوري : روى عنه ابن فارس في المقاييس وانظر ترجمته في المعبر للذهبي 332/2 .
- 9 — ومن شيوخه علي بن احمد الساوي .
- 10 — ومن شيوخه ابو بكر محمد بن احمد الاصفهاني .
- 11 — ومن سمع عنهم ابن فارس : ابو احمد ابن ابي الثيار ( معجم الادباء 90/4 ) وعبد الرحمن بن حمدان ( الصحابي 29 ) . واحمد بن محمد بن بندار ( الصحابي 43 ) . وعلي بن محمد بن مهروية ( الصحابي 47 ) . وابو الحسن احمد بن محمد مولى بني هاشم ، وقد حدثه بقزوين ( الصحابي 52 ) . وابو عبد الله احمد بن محمد بن داود الفقيه ( الصحابي 83 ) . وابو بكر احمد بن علي بن اسماعيل الناقد ( الصحابي 129 ) . وابو الحسن المعروف بابن التركية ( الصحابي 155 ) .

### تلاميذه :

أبرز تلاميذه الذين تذكرهم المصادر :

- 1 — صاحب بن عباد ( التولى سنة 385 ) انظر ترجمته في الاعلام 312/1 وفي معجم المؤلفين 274/2 .



وهو القائل — شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف .

2 — بديع الزمان الهمذاني ( المتوفى سنة 398 ) انظر ترجمته في الاعلام 112/1 وفي معجم المؤلفين 209/1 .

3 — أبو طالب مجد الدولة بن نصر الدولة علي بن ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي .

4 — علي بن القاسم القرني — وقد قرأ عليه كتابه ( أوجز السير لخير البشر ) ويضم من هذا الكتاب أن ابن مارس سكن في الموصل زمنا وقرأ عليه القرني فيها كتابه هذا .

5 و 6 — وقد روى عنه ليما ذكر ابن مرحون في الديباج المذهب — أبو ذر والقاسي أبو زرعه وهو نقيه مالكي واسمه عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة القرني .

7 — أبو العباس أحمد بن محمد المعروف بالفخبان .

8 — أبو محمد نوح بن أحمد الأديب اللوباساني .

9 — أبو الفتح سليم بن أيوب الرازي ( ت 447 هـ ) — طبقات الشافعية الكبرى 388/4 .

10 — أبو زرعه روح بن محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق الرازي ( ت 423 هـ ) — طبقات الشافعية 379/4 .

#### صلته بتلاميذه :

وليس بين أيدينا ما يساعد على تتبع هذه الصلة تفصيلا باستثناء صلته بالصاحب وبالهمذاني .

أما صاحب بن عباد فقد كان منحرفا عن أبي الحسين بن مارس ، لانتسابه إلى خدمة ابن العميد ، وتمصبه له ، فانفذ إليه من همذان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال صاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه ، وأمر له بعلة (14) . ثم لما انتقل ابن مارس إلى الري ليقرا عليه مجد الدولة ذكرت المصادر أن صاحب تلمذ على ابن مارس وأنه كان يكرمه ويقول : شيخنا أبو الحسين ممن رزق حسن التصنيف ، وأمن فيه من التصحيف (15) .

\* \* \*

(14) يتيمة الدهر 204/3 ، وانظر الخبر في معجم الأدباء 87/4 وانباء الرواة 93/1 .  
(15) انظر : معجم الأدباء 83/4 وبغية الوعاة 352/1 ونزهة الألباء 321 .

وأما بديع الزمان الهمذاني فيبدو انه كان يكن ودا صادقاً لاستاذة وهرماتاً  
لجميله . فقد ذكر الهمذاني في مجلس أبي الحسين بن مارس مقال ما معناه (16) :  
ان البديع قد نسي حق تعليمنا آياه وعقنا وشمخ بانفه عنا ، فالحمد لله على مساد  
الزمان وتغير نوع الانسان ، مبلغ ذلك البديع ، فكتسب الى أبي الحسين ،  
« نعم اطل بقاء الشيخ الامام ، انه الحما المسنون ، وان ظننت الظنون  
والناس لادم ، وان كان العهد قد تقادم واركتبت الاضداد واخطط الميلاد ، والشيخ  
يقول : مسد الزمان ، أفلا يقول : متى كان صالحاً ؟ أمي الدولة العباسية وقد رأينا  
آخرها وسمعنا أولها ، أم المدة الروائية وفي أخبارها :

لا تكسع الشول باغيارها .

أم السنين الحربية :

والسيف يمسد في الطلبي      والرمح يركز في الكلي  
ومبيت حجر في الفلا      والحر تان وكسريلا

أم البيعة الهاشمية وعلي يقول : ليت العشرة منكم برأس من بني نراس . أم  
الايام الاوية والننير الى الحجاز والميون الى الامجاز ، أم الامارة المدوية وصاحبها  
يقول : وهل بعد البزول الا النزول ، أم الخلافة القبية وصاحبها يقول : طوبى لمن  
مات في نائاة الاسلام ؟ أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل : اسكتي يا فلانة فقد  
ذهبت الامانة ؟ أم في الجاهلية ، وليبد يقول : وبقيت في خلق كجلد الاجرب أم قبل ذلك  
وأخو عاد يقول :

بلاد بها كنا وكنا نجبها      اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروي لادم عليه السلام :

تغيرت البلاد ومن عليها      فوجه الارض مفسر تبيح

أم قبل ذلك والملائكة تقول لبارئها : (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)..  
وما مسد الناس وانما اطرد القياس ، ولا اظلمت الايام ، انما امتد الاظلام ، وهل  
يفسد الشيء الا من صلاح ، ويمسي المرء الا من صباح ، ولعمري ان كان كرم العهد  
كتاباً يرد ، وجواباً يصدر ، انه لقريب المنال ، واني على توبيخه لي لفتير الى لقائه ،  
شفيق على بقاءه ، منتسب الى ولائه ، شاكراً لآلائه .

وان له على كل نعمة خولنيها الله نارا ، وعلى كل كلمة علمنيها منارا . ولو  
مررت لكتابي موقعا من قلبه لا فتنت خدمته به ، ولرددت اليه سور كآسه ، وفعل  
نفاسه . ولكني خشيت ان يقول : هذه بضامتنا ردت الينا ، وله ايده الله العتي ،

(16) انظر يقية الدهر 270/4 والبيان من رسائل بديع الزمان ص 415 ونهاية  
الارب 262/7 .

والمودة في القربى ، والرياح ، وماضيه الجلد وناله الباع ، وما ضمنته المشط :

ووالله ما هي عندي رضى ولكنها جل ما أملاك

واثنان قلما يجتمعان الخراسانية والانسانية ، وأنا وان لم أكن خراساني الطينة ،  
ماني خراساني المدينة ، والرء من حيث يوجد ، لا من حيث يولد ، والانسان من حيث  
ينبت ، لا من حيث ينبت ، فان انضاك الى خراسان ولادة همدان ارتفع القلم وسقط  
التكليف ، فالجرح جبار ، والجاني حمار ، ولا جنة ولا نار ، فليحتلني الشيخ على  
هناسي ، اليس صاحبنا يقول :

لا تلمني على ركافة عقلي ان تيقنت انني همداني

\* \* \*

وكتب بديع الزمان يستعطفه : « اني خدمت مولاي ، والخدمة رقى بغير سر  
اشهاد ، وناصرته ، والمناصحة للود اوثق عماد ، وناديته ، والمناداة رفيع ثان ،  
وطاعته ، والمطامية نسب دان ، وسافرت معه ، والسر والاخوة رضيعا لسان ،  
وقمت بين يديه ، والقيام والصلاة شريكا عنان ، واثنيت عليه ، والثناء عند الله بمكان ،  
واخلصت له ، والاخلاص مشكور بكل لسان . »

والذي نخلص اليه من كل ما تقدم ان بديع الزمان الهمداني كان برا باستعاذه  
بتمسكا بحبل ولائه ، ذاكرا وشاكرا فضله .

**اخلاقه وطباعه :**

وكان كريما جوادا ، تريبا وهب السائل ثيابه ومرش بيته ، وكان له صاحب  
يقال له : ابو العباس احمد بن محمد الرازي المعروف بالفضبان ، وسبب تسميته  
بذلك انه كان يخدم ابن فارس ويتصرف في بعض اموره .

قال : كنت ريبا دخلت لاجد مرش البيت او بعضه تد وهبه ، فاماتبه على  
ذلك ، واضجر منه ، لمضحك من ذلك ، ولا يزول من عادته ، فكتبت متى دخلت عليه  
ووجدت شيئا من البيت تد ذهب ، علمت انه تد وهبه ، فامبس ، وتظهر الكآبة في  
وجهي ، فبيستلني ويقول : ما شان الغضبان ؟ حتى لصق بي هذا اللقب منه ، وانما  
كان يمازحني (17) .

وكان مليفا . جاء في الديباج المذهب (18) انه افنى بنوع من يفتح حانوتا قبالة دار رجل .

وكان ابن فارس متواضعا شديد التواضع يكشف عن طبيعته هذه قوله في آخر  
(تمام لمصيح الكلام) « هذا آخر ما اردت اثباته في هذا الباب ولم اعن ان ابا العباس

(17) نزعة الالباء ص 321 - 322 .

(18) الديباج المذهب ص 37 .

تصر عنه لكن المشيخة آثروا الاختصار وحقا أتول أن جميع ما فكرته من علم أبي العباس جزاء الله عنا خيرا « (19) .

وتتضح هذه الخصلة الطيبة فيه حين يقول في الصحابي (20) : « والسذي جمعناه في مؤلفنا هذا مغترق في أصناف مؤلفات العلماء المتقدمين - رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء - وإنما لنا فيه اختصار مبسوط أو بسط مختصر أو شرح مشكل أو جمع مغترق » .

ومن خلانته روح السخرية والتندر التي تبدو في شعره أوضح ما تبدو ، كما يشف عنها ما رواه بديع الزمان الهمذاني حين قال (21) : سمعت أبا الحسين أحمد بن مارس يقول : التفتخ عند الأطباء كناية عن الضرب والفسو ! والتقطع عند المنجمين كناية عن الموت ! والنصيحة عند العمال كناية عن السعاية ! والوطء عند الفقهاء كناية عن الجعاب ! وطبيب النفس عند الظرفاء كناية عن السكر ! والعلق عند اللاطة كناية عن الواجرة ! والزوار عند الكرام كناية عن السؤال ! وما أماء الله عند الصوفية كناية عن الصدقة !

تلك المامة موجزة بخلائق هذا الرجل وبابرز صلته .

\* \* \*

### شاعريته :

الى جانب قدرات ابن مارس النثرية المتنوعة المجالات ، فقد كان شاعرا أصيلا وأنه لن المؤسف ان التاريخ لم يحفظ لنا سوى نماذج قليلة من شعره شأنه شأن الكثيرين ممن غلب جانب من جوانب شهرتهم على شاعريتهم الاصيلة . وتفلسف النماذج القليلة التي وصلت الينا من شعره روح السخرية من متناقضات زمنه فهو في همدان يدعو لها بالسقيا واهشأوه تلتهب ، ولم لا يدعو لهذه البلدة وقد نسي بها ما كان يعلم وفرق في ديونه ! ان السخرية المرة تكاد تطفح منها حيث يقول :

سقى همدان الغيث لست بقائل      سوى ذا وفي الاحشاء نار تضرم  
ومالي لا أصلي الدماء لبلدة      أفدت بها نسيان ما كنت أعلم  
نسيت الذي أحسنه غير أنسى      مدين وما في جوف بيتي درهم

\* \* \*

(19) تمام نصيح الكلام ص 25 .  
(20) الصحابي 31 .  
(21) المنتخب : الجرجاني ص 120 .

على ان سخريته هذه تتجلى في هزئه من تيم مجتمعه الذي يوتر الفنى لغناه  
ومالك الدرهم لدرهيه فيقول :

يا ليت لي الف دينار موجهة وان حظي منها فلس ائلاس  
قالوا : فما لك منها قلت يخدمني لها ومن اجلها الحمقى من للناس

وانطلاقا من قاعدة توتير الدينار والدرهم نراه يقول :

اذا كنت في حاجة مرسلا وانت بها كلف مفسرم  
مارسل حكيميا ولا تومسه وذاك الحكيم هو الدرهم

ونراه في موضع آخر يلح على هذه الفكرة شرحا وايضاها ويعرضها عرضا  
جديدا اذ يقول :

تد قال فيما مضى حكيم ما المرء الا باسفريه  
نقلت قول امرئ لبيسب ما المرء الا بدرهميه  
من لم يكن معه درهميه لم تلتت عرسه اليه  
وكان من ذلله حقيرا تبول سنورهم عليه

وتأسيسا على ما تقدم فقد واجه ابن فارس مأساته وجها لوجه .. فالعلم والادب  
لا يجلبان غير الفقر فليطلب الانسان اي مورد من موارد الرزق الا العلم والادب فليس  
فيهما مورد رزق :

وصاحب لي اتاني يستشير وقد اراد في جنبات الارض مضطربا  
قلت اطلب اي شيء شئت واسع ورد منه الموارد الا العليم والادب

لقد كان شعوره بالغربة والضياع .. ضياع الابداء والعلماء في عصره جميعا  
وجديا وموشحا بالكآبة ولذلك قرانا له قوله :

وتالوا كيف حالك قلت خير نقفي حاجة وتكوت حاج  
اذا ازحمت هموم الصدر قلنا عسى يوما يكون لها انفراج  
نديبي هرتي وانيس نفسي دناتر لي وممشوقي السراج

ويسلمه هذا الشعور الاسيان بالضياع الى رضا بما يكتبه القدر :

تلبس لباس الرضا بالقضا واخل الامور لمن يملك  
تقدر أنت وجاري القضا و مما تقدره يفحك

ويقول أيضا :

مشيئتها خطي كتبت هلينا      ومن كتبت عليه خطي مشاهدا  
وما غلظت رقاب الأسد حتى      بانفسها تولت ما عناها

وبمثل هذه الروح القائمة بالقضاء المستسلمة الى حكمه يتوجه الى ربه بصلاة  
خاشعة وتوبة من الأخطاء تبيل وفاته اذ يقول :

يا رب ان ذنوبي قد أحطت بها      علما وبها وباعلامي واسراراي  
انا الموحد لكلي المتر بها      فهب ذنوبي لتوحيداي واتراري

\* \* \*

ان ابن فارس الذي تضى حياته قارئا كاتبا قد عجب للذين يردهم حر الصيف  
وبرد الشتاء من طلب العلم فنراه يعبر عن ذلك بقوله :

إذا كنت تأذى بحر الصيف      وييس الخريف وبسرد الشتاء  
ويلهيك حسن زمان الربيع      ناخذك للعلم تل لي متى ؟ ؟

\* \* \*

وهو بحكم تجربته المرة قليل الثقة بالثقات فنراه يحذرك قائلا :

اسمع مقالة نامح      جمع النصيحة والمثبه  
اياك واحذر ان تبني      ست من الثقات على ثقة

\* \* \*

ويقول متأثرا بشاعر سبقه :

عتبت عليه حين ساء صنيمه      وآليت لا أمسيت طوع يديه  
فلما خبرت الناس خبر مجسرب      ولم أر خيرا منه عدت اليه

\* \* \*

وتبقى بعد هذا أبيات من الغزل المتكلف هي من غزل العلماء الذين لم يمانوا  
تجربة الحب من أماتهم فبقي غزلهم سطحيا استمع الى قوله :

قالوا لي اخترت فقلت ذا هيف      بي عن وصل ومده برح  
بدر مليح القوام معتدل      تلهاه وجهه ووجهه ربح

وتوليه :

مرت بنا هيفاء متدودة      تركيبة تنبي لتركبي  
ترنو بطرف فاتن فاطر      كأنه حجة نحوي

وتوليه :

كل يوم لي من سل      هي عتاب وسبب  
وسادني ما الاتي      منهما يودي الشبب

وتظل بعد هذا تصيدة عينية قالها في معاني كلمة ( العين ) في اللغة رأينا من  
الجدير اثباتها ها هنا استكمالا للبحث فهي النموذج لاستعمال الشعر في تقييد مسائل  
اللغة ، قال ابن فارس :

يا دار سعدى بذات الضال من أضم      سكاك صوب حيا من واكف العين  
العين سحاب ينشأ من قبل العجلة .

انني لأذكر أياما بها ولنا      في كل اصباح يوم قرة العين  
العين هاهنا : عين الانسان وغيره .

تدني معشقة منا معشقة      تشجها عذبة من نابح العين  
العين هاهنا : ما ينبع منه الماء .

اذا تمزها شيخ به طرق      سرت بقوتها في الساق والعين  
العين ها هنا : عين الركبة ، والطرق : ضعف الركبتين .

والزق ملان من ماء السرور فلا      تخشى توليه ما فيه من العين  
العين ها هنا : ثقب يكون في الزادة ، وتوله الماء : ان يشرب .

وهاب هذالنا منا فلا كدر      في عيشنا من رقيب السوء والعين  
العين ها هنا : الرقيب .

يقسم الود فيما بيننا تسما      ميزان صدق بلا بغس ولا عين  
العين ها هنا : العين في الميزان .

وفائض المال يفئنا بحافره      فنكتفي من ثقل الدين بالعين  
العين ها هنا : المال الناض .

والمجمل المجتبي تفتنى نوائده حفاظه من كتاب الجيم والعين

\* \* \*

وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال : قدم عبد الصمد بن بابك الشاعر السري ، في أيام صاحب فتوح أبو الحسين أحمد بن فارس أن يزوره ابن بابك ، ويقضي حق عليه وفضله ، وتوقع ابن بابك ، أن يزوره ابن فارس ، ويقضي حق مقدمه ، فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه ، فكتب ابن فارس إلى القاسم بن حسولة :

تعديت في وصلي عمدي عتابك	وأدنى بديلا من نواك أيابك
تيعنت أن لم أحظ والشمل جامع	بأيسر مطلوب فهلا كتابك
ذهبت بقلب عيل بمعدك صبره	غداة ارتنا المرتلات ذهابك
وما استمطرت عيني سحابة ريبة	لديك ولا مست يميني سخابك
ولا نقيت والصب يصبو ليلها	من الوجنات الغانيات نقابك
ولا قلت يوما عن قلبي وسامة	لنفسك : سلي عن ثيابي ثيابك
وأنت التي شبيت قبل أوائسه	شبابي سقى الفر الغوادي شبابك
تجنبت ما أومئى وهاتبت ما كنسى	الم يأن سعدى أن تكسى عتابك ؟
وقد نبحتني من كلابك عصبية	فهلا وقد حالوا زجرت كلابك
تجانيت من مستحسن البر جميلة	وجرت على بختي جفاء ابن بابك

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الأبيات ، أرسلها إلى ابن بابك ، وكان مريضا ، فكتب جوابها بديها : وصلت الرقعة - أطال الله بقاء الأستاذ - وفهمتها ، وأنا أشكو إليه الشيخ أبا الحسين فإنه سيرني نصلا لا وصلا ، وزجا لا نصلا ، ووضعني موضع الحلاوى من الموائد ، وتمت من أواخر القصائد ، وسحب اسمي منها مسح الذيل ، وأوقمه موقع الذنب المحذوف من الخيل ، وجعل مكاني مكان القفل من الباب ، ومثل ذلك من الحساب ، وقد اجبت عن أبياته بأبيات ، أعلم أن فيها ضمنا لعلتين علتني ، وعلتها ، وهي :

ايا اثلاث الشعب من مرج يابس	سلام على آثاركن السدوارس
لقد شاتني والليل في شملة الحيسا	اليكن ترجيع النسيم المخالسس
ولمحة برق مستنفسه كأنه	تردد لحظ بين أجفان ناعسس
نبت كائسي ممعدة يمينية	تزعزع في تقع من الليل دامسس
الا حبذا صبح اذا أبيض انعسه	تصدع عن ترن بين الشمس وارسس
ركبت من الخلاء أرتب سيلها	ورود المطي الظلمات الكوانسس
فيا طارق الزوراء قل لفيومها	أهلي على مغنى من الكرخ آنسس



وقل لرياض القمص تهدي نسبيها  
 الا ليت شعري هل ابين نيلسة  
 وهل ارين الري دهليز بابك  
 ويصبح ردم السد تفسلا عليهما  
 فلت على بعد المزار بأبيس  
 لقي بين اقراط المها والمحابس  
 وبابك دهليز السى أرض مارس  
 كما صرت تفسلا في قواني ابن مارس

نعرض ابو القاسم الحسولي المتطوعتين على صاحب ، وعمره الحال قتال :  
 البادية اظلم ، والقادم يزار ، وحسن العهد من الايمان .

### مصادر الفصل :

- (1) معجم الادباء — ياقوت 81/4 — 98 .
- (2) بنية الدهر — الثعالبي 400 — 407 .
- (3) وبيان الاميان — ابن خلكان 100 — 101 .
- (4) بغية الوعاة — السيوطي 352 — 353 .
- (5) المنتظم — ابن الجوزي 103/7 .
- (6) انباء الرواة — القفطي 93 — 95 .
- (7) الفلاحة والفلاكون — الدلجي 141 — 142 .
- (8) النجوم الزاهرة — ابن تغري بردي 213/4 .
- (9) الكامل — ابن الاثير 711/8 .
- (10) الآثار الباقية — البيروني ص 338 .
- (11) التذكرة السعدية — العبيدي — مخطوط —
- (12) شذرات الذهب — ابن العماد 133/3 — مصورة الاستاذ عبد الله الجبوري  
 من نسخة كوبرلي بالاستانة .
- (13) اعيان الشيعة — العاملي 226/9 .
- (14) نزهة الالباء — الانتباري 322 .
- (15) دائرة معارف — البستاني 419/3 .

### آثاره :

ضرب ابن مارس يسهم والمرفق حركة التأليف في عصره ، وفي ألوان متعددة من  
 فنون المعرفة . وقد حفظت لنا أسماء تأليفه الكثار . وهذه التأليف ثلاثة أصناف :  
 المطبوع ، والمخطوط ، والمفقود . وبما يلي ثبتا بهذه التأليف طبقا لاصنافها :

### أولا : آثاره المطبوعة :

1 — أبيات الاستشهاد : نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الثانية من نوازل

المخطوطات — مطبعة السعادة — القاهرة 1951 وقد حققه على نسخة مريـدة  
محفوطة في الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية تحت رقم 445 ادب .

2 — الإنباع والمزاوجة : ذكره السيوطي ضمن تأليف ابن مارس في بغية الوعاة 352/1 رقم  
الترجمة 680 كما ذكره مرة ثانية في كتابه المزهري 414(1) وقال انه اختصره وزاد عليه  
ما فات المصنف في تأليف سماه « الإلماع في الإنباع » . وكتاب الإنباع والمزاوجة يبحث  
فيما ورد من كلام العرب مزدوجا . وقد نشر أولا بتحقيق المستشرق رودولف برونو في  
جيسن بالمانيا سنة 1906 على نسخة خطية مؤرخة في 626 هـ . ثم أعاد نشره  
كمال مصطفى في القاهرة سنة 1947 بمطبعة السعادة محققا على نسختين نسخة  
برنو المذكورة ونسخة خطية محفوطة في دار الكتب المصرية ومؤرخة في 711 هـ وهي  
من كتب العلامة الشنتيطي .

3 — تمام نصيح الكلام : ورد في معجم الأدباء 82/4 باسم ( المصيح ) وفي هدية العارفين  
68/1 باسم ( تمام النصيح في اللغة ) وفي تاريخ الأدب العربي لبروكلمان 268/2 ورد  
باسم ( تمام نصيح الكلام ) . وذكر بروكلمان انه في مكتبة كرنكو نسخة منه عن  
مخطوط في النجف كتبه ياقوت الحموي في مروروذ يوم 7 من ربيع الثاني 616 هـ عن  
نسخة بخط المؤلف سنة 393 هـ .

وقد نشر هذا الكتاب المستشرق الانكليزي أ . ج . آربري في لندن سنة 1951  
بطريقة التصوير عن مخطوطة جستر بتي في دبلن مع مقدمة بالانكليزية . ومن ملاحظة  
النسخة المصورة وجدت انها هي بالذات النسخة النجفية التي تحدث عنها بروكلمان  
ويبدو انها تسربت الى دبلن مع غيرها من نفائس تراثنا . ويلاحظ ان النسخة المذكورة  
ضمن مجموع يضم نصيح ثعلب ثم تمام النصيح لابن مارس ثم مقتطفات من كتاب  
لحن العامة للسجستاني وكلها بخط ياقوت الرومي الحموي . و ( تمام نصيح الكلام )  
أعاد نشره الدكتور مصطفى جواد في بغداد سنة 1969 ضمن كتاب رسائل في النحو  
واللغة — سلسلة كتب التراث 11 الصادرة من وزارة الثقافة والأعلام العراقية  
— طبعة الجمهورية ، الا انه لم يشر الى الطبعة الاولى للكتاب خلافا للامانة العلمية .

4 — خلق الانسان : ذكره ياقوت في معجم الأدباء 84/4 كما ذكره السيوطي في بغية الوعاة  
352/1 وطبقات المسردين 4 وورد ذكره أيضا في كشف الظنون عمود 722 وهدية  
العارفين 68/1 ومصباح السعادة 110/1 وذكره بروكلمان 267/2 باسم مقالة في  
أسماء أعضاء الانسان نشره للمرة الاولى الدكتور داود الجليبي في مجلة ( لغة العرب )  
— 9 — بغداد 1931 ( ص 110 — 116 ) ثم أعاد نشرها الدكتور فيصل دبدوب في  
الجزء الثاني من المجلد الثاني والاربعين من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق —  
نيسان 1967 ص 235 — 245 ولم يشر الدكتور فيصل الى النشرة الاولى خلافا  
للامانة العلمية .

5 — ثم الخطأ في الشعر : ذكره السيوطي في بغية الوعاة 352/1 كما ذكره في كشف الظنون 827 وهدية العارفين 68/1 ومفتاح السعادة 109/1 وبروكلمان 266/2 وقد نشر هذا الكتاب وهو رسالة في أربع صفحات في ذيل كتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبي للمصاحب بن عباد — مطبعة المعاهد — القاهرة 1349 هـ .

6 — سيرة النبي صلى الله عليه وسلم : ورد ذكره في معجم الأدباء 84/4 وطبقات المسريرين 4 ونسخة المخطوطة تحمل عناوين مختلفة لمنسخة الاسكوريال والقاهرة تحمل اسم ( مختصر سيرة رسول الله ) ونسخة برلين عنوانها ( مختصر في نسب النبي ومولده ومنشئه ومبعثه ) وعنوان نسخة الفاتيكان ( راعي الدرر ورامق الزهر في أخبار خير البشر ) وفي هامبورغ ( اخصر سيرة سيد البشر ) وفي بايزيد بالاستانة ( مختصر سيرة رسول الله ) .

وقد طبع هذا الكتاب في الجزائر اول مرة سنة 1301 هـ تحت عنوان ( اوجيز السير لخير البشر ) . ثم طبع ثانية في بومباي سنة 1311 هـ ومنه نسختان بمكتبة الاوقاف العامة في بغداد .

7 — صاحب في لغة اللغة العربية وسنن العرب في كلامها : ذكر باسم ( لغة اللغة ) في نزهة الالباء 321 وبغية الوعاة 352/1 وهدية العارفين 68/1 وكشف الظنون 1288 وذكر باسم ( صاحب ) في معجم الأدباء 84/4 وكشف الظنون 1068 وهدية العارفين 68/1 وسمي بذلك لأنه صنفه برسم خزانة المصاحب بن عباد ، وذكر باسم ( لغة اللغات ) في طبقات المسريرين 4 ومفتاح السعادة 109/1 ، والكتاب واحد وان اختلفت التسميات ، وقد صرح ابن مارس بذلك في مقدمة كتابه اذ قال : هذا الكتاب — صاحب في لغة اللغة العربية .. وانما عنوانه بهذا الاسم لاني لما لفته اودعته خزانة صاحب الجليل كافي الكفاة الخ ... وقد صدر للمرة الاولى بعناية محب الدين الخطيب من المكتبة السلطية بالقاهرة سنة 1910 عن نسخة الشنقيطي . ثم نشره ثانية محققا تحقيقا علميا على مخطوطتي بايزيد واياصوميا الدكتور مصطفى الشويبي في بيروت — 1963 ضمن سلسلة المكتبة اللغوية العربية مطابع ا . بدران — بيروت .

وقد حصل خلط طباعي في مقدمة بحث الدكتور دبدوب اوهم بأن الشيبات والحلي هو كتاب لغة اللغة فوجب التنبيه وعنه نقله مصطفى جواد في مقدمته لتسام نصيح الكلام ، دون أن يتنبه لشناعة الفلظ .

8 — لتيا لغة العرب : ذكره بهذا الاسم الأنباري في نزهة الالباء 321 والعطفي في انبهاء الرواة 94/1 والسيوطي في الزهر 622/1 وسماء ابن خلكان في الوفيات (مسائل في اللغة وتعاييبها الفقهاء ) 100/1 وسماء اليانعي في مرآة الجنان 442/2 ( مسائل في اللغة يتعاني الفقهاء ) وتوهم السيوطي في بغية الوعاة 352/1 غلظه كتابين الاول فتاوى لغة العرب والثاني مسائل في اللغة يغالي بها الفقهاء . وسماء الدلجسي في

( الفلاكة والمفلكون ) ( مسائل في اللغة يمايا بها الفقهاء ) ص 141 ومثله في الديباج المذهب ص 36 . وسمي ( متاوي لقيه العرب ) في هدية العارفين 68/1 ومفتاح السعادة 110/1 .

وقد نشره على نسخة لمريدة محفوظة بدار الكتب الرضوية بمشهد في خراسان الصديق الدكتور حسين علي محفوظ وذلك في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة 1958 كما نشر مستلا من المجلة محققا تحقيقا ممتازا جديرا بالتقدير .

9 — اللامات : ذكره بزوكلمان 267/2 وان منه نسخة مخطوطة بالظاهرية في دمشق وقد نشره المستشرق برجستراسي في مجلة ( اسلاميكا ) 77/1 — 99 الصادرة سنة 1924 — 1925 ويشرف على هذه المجلة المستشرق ميشسر .

10 — متخير الالفاظ — وقد ذكره ابن مارس في آخر الجزء الثاني من ( المجل ) المخطوط المحفوظ في المكتبة العثمانية الحلبية تحت رقم 839 ونص كلامه :

« وهذا آخر مجمل اللغة فاحفظه وتدبر ترتيب ابوابه واعلم اني توخيست الاختصار كما أرغب وآثرت الإيجاز كما سألت واقتصرت على ما صح عندي سماعا ومن كتاب صحيح النسب مشهور ولولا توخي ما لم أشكك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا . ولكني عمدت للاصول التي أسميتها في كتابي فجمعتها فيه بأوجز قول وأتربه ورجوت أن يكون هذا المختصر كالميا في بابه مستعينا في معرفة صحيح كلام العرب وما يتداوله الناس من غريب القرآن والحديث وكثير من غريب الشعر عن غيره وكل ما شذ عن كتابنا هذا من محاسن كلام العرب والالفاظ التي يستعان بها في الأشعار والمكاتبات فقد ذكرناه في الكتاب الذي سميناه ( متخير الالفاظ ) والله أسأل أن يوفقنا وإياك لكل سالحة ويميزنا وإياك من السوء كله » .

وقد ورد ذكر المتخير في معجم الأدباء 84/4 وفي نزهة الالباء 321 كما ذكره الجرجاني في كتابه كنايةات الأدباء باسم مختار الالفاظ ص 145 وسنفرده لهذا الكتاب نصلا مستقلا .

11 — مجمل اللغة : ورد ذكره في معجم الأدباء 84/4 ونزهة الالباء 321 والبداية والنهاية 296/11 و 335/11 وطبقات المفسرين 4 وبغية الوعاة 352/1 ووفيات الأعيان 100/1 والفلاكة والمفلوكون 141 وشذرات الذهب 132/3 والنجوم الزاهرة 212/4 والكمال لابن الأثير 258/8 والديباج المذهب 36 وكشف الظنون 1604 وهديسة العارفين 69/1 ومفتاح السعادة 104/1 وقد ذكر بزوكلمان 265/2 مخطوطاته المتناثرة في مكتبات العالم ويمكن أن نضيف إليها مخطوطة المتحف المرآتي وهي من أنفس مخطوطاته ، ومخطوطة سامراء ، ومخطوطة حلب التي أشرنا إليها . وقد نشر الجزء الأول من هذا المعجم القيم لأول مرة في القاهرة وأوله كتاب الهمزة وآخره باب الدال واللام ، وقد طبع على نفقة محمد ساسي المغربي سنة 1332 هـ — 1914 م

بمطبعة السعادة وعدد صفحاته 319 صفحة . ثم أعيد طبع الجزء الأول بتحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد سنة 1947 بمطبعة السعادة أيضا بمصر وعدتته 319 صفحة أيضا . وآخره باب الدال واللام ولم تنشر أجزاءه الباقية حتى اليوم وقد علمنا أن بعض المرابطين قد نهد إلى تحقيقه فمضى أن يكمل هذا الجهد بالنجاح لينفض عن هذا السفر النفيس غبار القرون وتوهم الدكتور لميصل دبدوب حين ظن أن المجلد بكامله مطبوع .

12 — مقالة كلا وما جاء منها في كتاب الله . ذكرها ابن فارس في كتابه الصحابي ص 162 إذ قال ما نصه . « وكلا كلمة موضوعة لما ذكرناه على صورتها في التثنية وقد ذكرنا وجده كلا في كتاب المرنداه » . وذكرها بروكلمان 267/2 . وقد نشرها عبد العزيز الميمني الراجكوتي ضمن كتاب ثلاث رسائل وأولها مقالة كلا لابن فارس والثانية ما تلحن ليه العوام للكسائي والثالثة رسالة الشيخ ابن عربي إلى الإمام الفخر الرازي ، وقد طبعت في القاهرة سنة 1344 هـ ثم أعيد طبعها في القاهرة سنة 1387 هـ .

13 — مقاييس اللغة : ذكره باتوت في معجم الأدباء 84/4 والسيوطي في طبقات المسردين 4 وذكر في هدية المارمين 69/1 وقد نشر هذا المعجم الجليل في ستة أجزاء الاستاذ عبد السلام محمد هارون في القاهرة 1366 — 1371 هـ — دار إحياء الكتب العربية — عيسى البابي الحلبي وشركاه معتمداً بخطوطه مرو ومخطوطة القاهرة . ومن الكتابين مخطوطتين في لندن .

14 — النيروز — نشره عبد السلام محمد هارون ضمن المجموعة الخامسة سلسلة نوادر المخطوطات — القاهرة — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1373 هـ — 1954م وقد اعتمد في نشرها نسخة مريدة في الخزانة التيمورية بالقاهرة .

15 — رسالته إلى أبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب : وهي رسالة قيمة تعتبر نموذجاً طيباً لنثره الفني وقد تضمنت دفاعاً من الحساسات المحدثه وعن محاسن شعراء عصره. أثبت منها الثمالي مصلحاً مهماً في البيئمة ( 401/3 ) رأينا اثباته في هذا الموضوع لأنه من جيد آثاره المطبوعة . قال ابن فارس :

الهمك الله الرشاد وأصحبك السداد ، وجنبك الخلاف ، وحبب اليك الانتصاف .  
وسبب دهائي بهذا لك انكارك ملي أبي الحسن محمد بن علي العجلي تاليفه كتاباً في الحياصة ، وأعطاك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه ، لاستدرك من جيد الشعر ونقته ومختاره ورضيه كثيراً مما فات المؤلف الأول ، فماذا الإنكار ؟ ولمه هذا الاعتراض ؟ ومن ذا حذر على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولمه تأخذ بقول من قال : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر . كم ترك الأول للآخر ، وهل الدنيا إلا أزمان ، ولكل زمان منها رجال ؟ وهل المعلوم بمد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على مسعى زمان معلوم ، ووقفها على وقت محدود ؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى